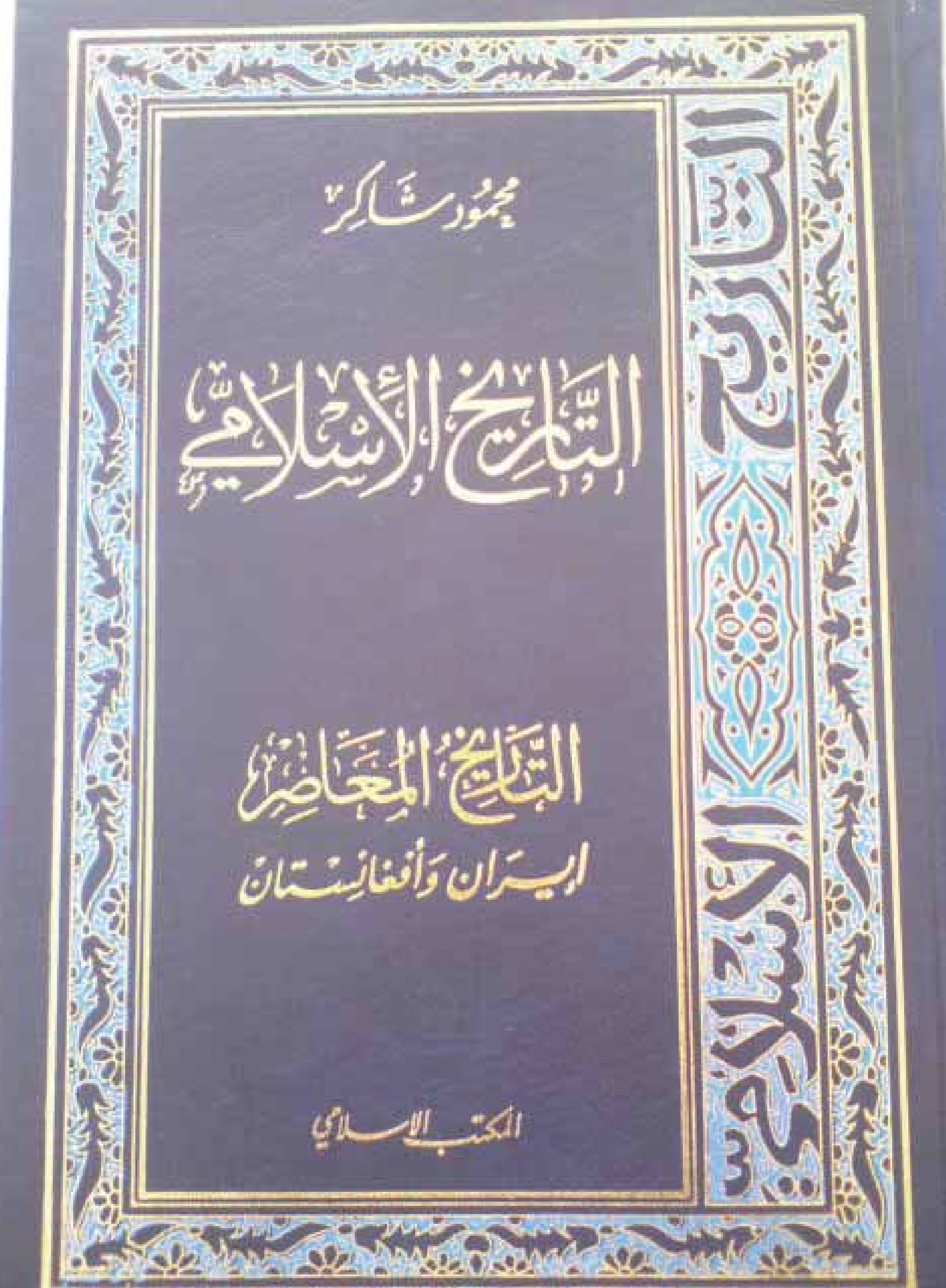
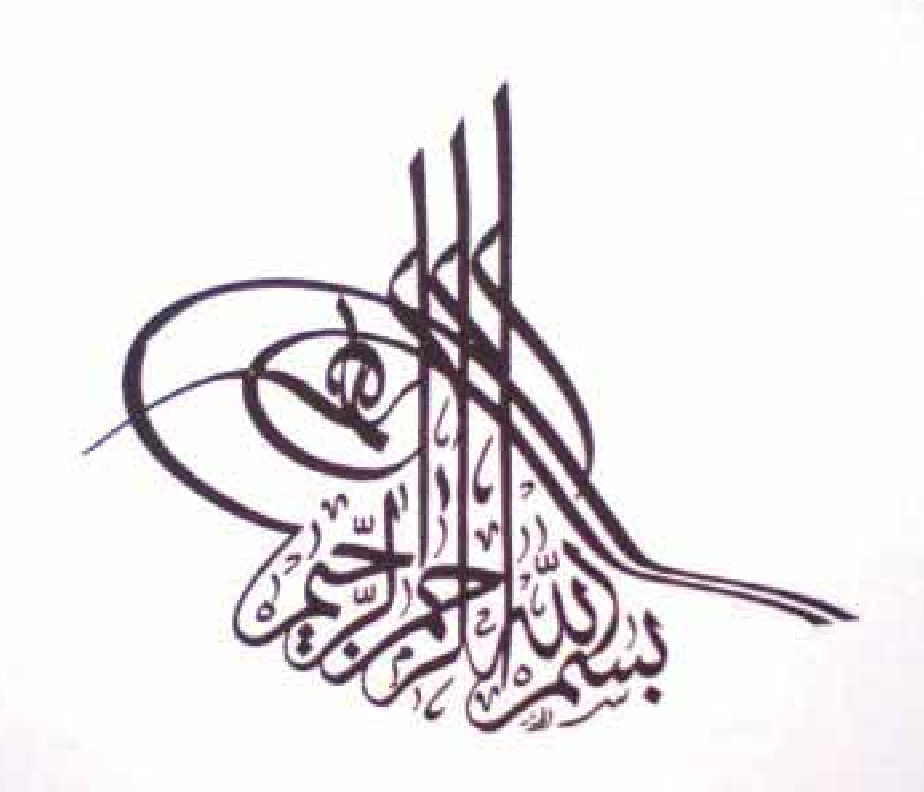

محمود شاكر
التاريخ الإسلامي
التاريخ المعاصر
إيران وأفغانستان
المكتب الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



التاريخ الإسلامي

- ١٨ -

التاريخ المعاصر
إيران وأفغانستان

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١ - برقياً: اسلامياً - تلكس: ٢١٦٠١ - هاتف: ٤٥٠٦٣٨
دمشق: ص.ب: ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧
عمان: ص.ب: ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٦٥٦٦٠٥ - فاكس: ٦٤٨٨٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن منطقة إيران وأفغانستان ذات أهميةٍ خاصةٍ سواء أكان ذلك بالنسبة إلى العالم الإسلامي أم بالنسبة إلى دول العالم الكبرى.

فإيران على الخليج العربي ذي المكانة الخاصة دولياً حيث تضم المناطق المشرفة عليه كمياتٍ هائلةً من النفط الذي يُعدّ اليوم عماد الحياة الاقتصادية إذ تتحرّك وسائل المواصلات كلها على بعض مشتقاته، وتدور آلات المعامل جميعها على بعض أصنافه، وتُضاء المدن مما يُقدّمه من طاقةٍ، وتعمل وسائل التكييف على الكهرباء التي تُولّد من المولدات التي تتخذ النفط مصدراً لحركتها. وتعدّ إيران إحدى هذه البلدان الكبرى المنتجة للنفط، وهذا ما يعطيها تلك الأهمية التي تكلمنا عنها.

وتعيش في إيران أكثرية شيعية بل هي البلد الوحيد في العالم الإسلامي الذي تقطنه أكثرية شيعية، بل وأصبحت الدولة تقوم على أساس هذه العقيدة وخاصةً بعد أن قامت فيها حركة عرفت بالثورة الإسلامية فغدت الحكومة الإيرانية تعمل على مدّ يدها إلى الأقليات الشيعية التي تعيش في البلدان المجاورة لإيران بل، وتُحرّضهم على الحكومات التي يعيشون في ظلّها تحت اسم تصدير الثورة، بل راحت تدعو لعقيدتها في إفريقية التي لم يكن فيها أي تجمعٍ شيعيٍ وذلك عن طريق تقديم المنح الدراسية في

٦ ـ غازان: ٦٩٥ ـ ٧٠٤هـ: ابن أرغون، شبّ على الوثنية، ثم اعتنق الإسلام، وسمّى نفسه «محموداً»، ومع إسلامه إلا أنه بقي يقاتل المماليك المسلمين، وهو الذي التقى مع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وفاوضه.

٧ ـ أولجايتو: ٧٠٤ ـ ٧١٣هـ: ابن أرغون، شبّ على النصرانية، ثم اعتنق الإسلام، واتبع مذهب الرفض، لذا فقد عمل على نشر هذا المذهب في الأجزاء التي كانت تخضع له، وعُرف باسم محمد خدابنده، وإن كان قد أطلق عليه بعضهم «محمد خربنده».

لم تكن منطقة فارس قبل هذا الوقت تكثر فيها الشيعة، وإن وجدت بعض تجمعات أخذت هذا المذهب لا إيماناً بما جاء فيه من أفكار، وإنما في سبيل ضرب الإسلام حقداً على أبنائه، وتعصباً للفرس، فبذروا بذور الرفض، وألقوا فكرة التصوّف والتواكل تحت اسم الزهد، ليتوانى الناس عن العمل، ويسود الكسل، وتضعف الدولة، ويتمكّن أعداؤها من إخضاعها والسيطرة عليها، والتحكم في أهلها، ونشر ما يرغبون نشره بينهم من أفكار تهدم العقيدة، ويسيرون بعدها بالناس حسبما يرغبون، وجاء الحاكم محمد خرابنده وعمل على ترسيخ هذه الأفكار، وأصبح بعدها مبدأ التشيع هو مذهب حكام الدولة الإيلخانية، والتي لم تلبث أن تجزّأت بعد وفاة محمد خرابنده عام ٧١٣هـ، وحكمت المنطقة عدة أسرٍ حتى اجتاحها تيمورلنك عام ٧٨٤هـ، ودانت لحكمه حتى عام ٨٠٧هـ. ثم توزّعت بين أبنائه وأحفاده، ووقع الصراع بينهم وبين التركمان على المنطقة، واستمرّ هذا النزاع حتى ظهر الصفويون على المسرح في مطلع القرن العاشر الهجري.

نشأ تيمورلنك على المذهب الشيعي، واتبعه أبناؤه وأحفاده على ذلك، وهذا ما رسّخ جذور هذا المذهب في المنطقة، وقد اعتاد السكان على دراسة التاريخ من خلال النظرة الرافضة المقررة والمفروضة على

السكان، وخاصةً أن هذه المرحلة كانت مرحلة تأخّرٍ وضعف، وأُمّية، فلا يعرف الناس إلا ما يسمعون وما يُقرّر عليهم.

الصفويون:

استطاع إسماعيل بن حيدر أن يجمع حوله الأتباع، وأن ينتصر على أسرة «الآق قيلونلي» عام ٩٠٧هـ في أذربيجان وفي العراق، ثم انتقل إلى «تبريز» وجعلها قاعدةً له، وأخضع الولاة التيموريين، واتخذ المذهب الشيعي عقيدةً له، واستفاد من حماسة الأقلية الشيعية في قتاله ضد خصومه في ميادين القتال الكثيرة، والتي امتدت على أرجاء واسعة من المنطقة.

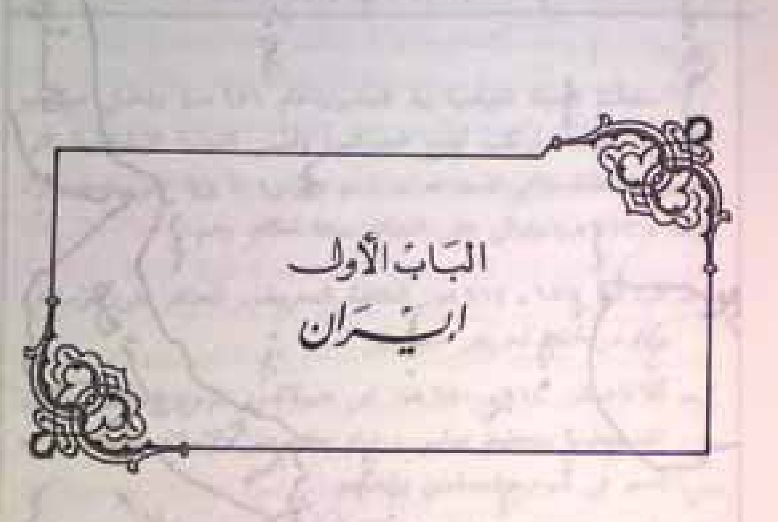
وهكذا مرّ على المنطقة ما يقرب من مائتي سنة والحكام من الشيعة، وكان الناس من أصحاب المصالح يتقربون إليهم، ومن جهةٍ ثانيةٍ يُحاولون نشر هذه الأفكار بين الشعب، وهذا ما جعل الجذور الشيعية تتعمّق في أرض المنطقة. وأحسّ الحكام وأتباعهم من الشيعة أنهم يختلفون مع الوسط الذي يعيشون فيه، وهذا ما جرّهم إلى حربٍ مع الدول الثانية، وربما أحبّ الحكام هذا الصراع لِيُنمّي العاطفة الشيعية، وليُعمّق جذورها أكثر فأكثر.

لقد حارب الصفويون الدولة العثمانية، غير أنهم هزموا أمامها في معركة «جالديران» عام ٩٢٠هـ، كما قاتلوا الأوزبك في الشرق، واستمر هذا الصراع طويلاً، بل إن الصفويين قد دعموا كل عدوٍّ للمسلمين إذ اتفقوا مع البرتغاليين طلائع المستعمرين الصليبيين، وعاونوهم على الدخول إلى الخليج العربي ما داموا ضد العثمانيين، ثم تعاونوا مع الإنكليز عندما وجدوا ضعف البرتغاليين. بقي حكم الصفويين ما يزيد على مائتين وأربعين سنة (٩٠٧ ـ ١١٤٨هـ)، وتوالى على الحكم أحد عشر حاكماً، ويحمل كل واحدٍ اسم «شاه».

١ ـ إسماعيل بن حيدر ٩٠٧ ـ ٩٣٠هـ: أسّس الدولة، التقى مع

أُجبِروا على السير مع هذا الغزو من قتال إخوانهم المسلمين في بلاد الأفغان، وربما كان من دوافع هذا الغزو تلك الصلات التي وجدت بين السكان على طرفي الحدود حيث خشي الروس أن تدبّ الصحوة الإسلامية في نفوس تلك الشعوب التي تُسيطر عليها بالقوة، وتُخضعها بالسيف، وتفرض عليها الإلحاد، وتجبرها على ترك العقيدة، فلو قُدّر للمجاهدين الأفغان النصر، وإقامة حكمٍ إسلاميٍ، والصدق والإخلاص لأمكن التحرّك داخل المناطق الإسلامية التي يُسيطر عليها الروس، وخاصةً بعد أن أفلت الشيوعية، وشُغل الروس بأنفسهم، ومن هنا تأتي أهمية بلاد إيران وأفغانستان. ولو قدّر الإله النجاح لهذا التحرّك لرَفَد العالم الإسلامي بإمكاناتٍ بشريةٍ وطاقاتٍ هائلةٍ، وموارد ضخمةٍ من البلدان التي تخضع حالياً للسيطرة الروسية.

والله نسأل التوفيق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن تاريخ هذا الإقليم، وعمّا يُشجّع أهله للسير في خطٍ سليمٍ، والقارىء لأخذ الدروس والعبر، والفكر الصحيح. والله من وراء القصد، فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الباب الأول
إيران



لمحة عن فارس قبيل إلغاء الخلافة

سقطت الدولة العباسية بيد المغول عام ٦٥٦ هـ، ودخل هولاكو عاصمتها بغداد، وارتكب أبشع الجرائم، وأسّس الدولة الإيلخانية التي حكمت المنطقة، والتي كانت تعرف باسم «فارس» ما يزيد على نصف قرن (٦٥٦ ـ ٧١٣ هـ) وتوالى على الحكم سبعة حكامٍ وهم:

١ ـ هولاكو: ٦٥٦ ـ ٦٦٤ هـ: الطاغية المعروف، الحاقد على الإسلام، وزاد من حقده تحريض الصليبيين له.

٢ ـ أبا قاخان: ٦٦٤ ـ ٦٨٠ هـ: ابن هولاكو، تزوّج ابنة إمبراطور القسطنطينية بتخطيطٍ صليبي، فزاد حقده على الإسلام، ودفعته زوجه للسير في ضرب المسلمين وإبادتهم.

٣ ـ تكودار: ٦٨٠ ـ ٦٨٣ هـ: ابن هولاكو، اعتنق الإسلام، وسمّى نفسه «أحمد»، وأعطى المسلمين بعض المناصب، تمرّد عليه ابن أخيه، وقتله، وتسلّم الأمر.

٤ ـ أرغون: ٦٨٣ ـ ٦٩١ هـ: ابن أبا قاخان، اضطهد المسلمين، وتحالف مع الأرمن بل مع كل صليبيٍ ضدّ المسلمين، وضدّ أبناء عمومته المغول من القبيلة الذهبية التي استقرّت في بلاد الروس، وعرفت باسم مغول الشمال، واعتنقت الإسلام، وتحالفت مع المماليك ضدّ الدولة الإيلخانية المغولية.

٥ ـ كيخاتو: ٦٩١ ـ ٦٩٥ هـ: ابن أبا قاخان.

٦ ـ غازان: ٦٩٥ ـ ٧٠٤ هـ: ابن أرغون، شبَّ على الوثنية، ثم اعتنق الإسلام، وسمّى نفسه «محمود»، ومع إسلامه إلا أنه بقي يقاتل الممالك المسلمين، وهو الذي التقى مع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقاومه.

٧ ـ أولجايتو: ٧٠٤ ـ ٧١٣ هـ: ابن أرغون، شبَّ على النصرانية، ثم اعتنق الإسلام، واتبع مذهب الرفض، لذا فقد عمل على نشر هذا المذهب في الأجزاء التي كانت تخضع له، وعُرف باسم محمد خدابنده، وإن كان قد أطلق عليه بعضهم «محمد خربنده».

لم تكن منطقة فارس قبل هذا الوقت لتكثر فيها الشيعة، وإن وجدت بعض تجمّعات أخذت هذا المذهب لا إيماناً بما جاء فيه من أفكار، وإنما في سبيل ضرب الإسلام حقداً على أبنائه، وتعصباً للفرس، فبذروا بذور الرفض، والقوا فكرة التصوّف والتواكل تحت اسم الزهد، ليتوانى الناس عن العمل، ويسود الكسل، وتضعف الدولة، ويتمكّن أعداؤها من إخضاعها والسيطرة عليها، والتحكّم في أهلها، ونشر ما يريدون نشره بينهم من أفكار تهدّم العقيدة، ويسيرون بعدها بالناس حسبما يرغبون، وجاء الحاكم محمد خربنده وعمل على ترسيخ هذه الأفكار، وأصبح بعدها مبدأ التشيع هو مذهب حكام الدولة الإيلخانية، والتي لم تلبث أن تجزّأت بعد وفاة محمد خربنده عام ٧١٣ هـ، وحكمت المنطقة عدة أسر حتى اجتاحها تيمورلنك عام ٧٨٤ هـ، ودانت لحكمه حتى عام ٨٠٧ هـ. ثم توزّعت بين أبنائه وأحفاده، ووقع الصراع بينهم وبين التركمان على المنطقة، واستمرّ هذا النزاع حتى ظهر الصفويون على المسرح في مطلع القرن العاشر الهجري.

نشأ تيمورلنك على المذهب الشيعي، واتبعه أبناؤه وأحفاده على ذلك، وهذا ما رسّخ جذور هذا المذهب في المنطقة، وقد اعتاد السكان على دراسة التاريخ من خلال النظرة الرافضة المقررة والمفروضة على

السكان، وخاصةً أن هذه المرحلة كانت مرحلة تأخرٍ وضعفٍ، وأُميّة، فلا يعرف الناس إلا ما يسمعون وما يُقرَّر عليهم.

الصفويون:

استطاع إسماعيل بن حيدر أن يجمع حوله الأتباع، وأن ينتصر على ألوند (الآق قيونلي) عام ٩٠٧ هـ في أذربيجان وفي العراق، ثم انتقل إلى (تبريز) وجعلها قاعدة له، وأخضع الولاة التيموريين، واتخذ المذهب الشيعي عقيدة له، واستفاد من حماسة الأهالي الشيعية في قتاله ضد خصومه في ميادين القتال الكثيرة، والتي امتدت على أرجاء واسعة من المنطقة.

وهكذا مرّ على المنطقة ما يقرب من مائتي سنة والحكام من الشيعة، وكان الناس من أصحاب المصالح يتقربون إليهم، ومن جهة ثانية يُحاولون نشر هذه الأفكار بين الشعب، وهذا ما جعل الجذور الشيعية تتعمّق في أرض المنطقة. وأحسّ الحكام وأتباعهم من الشيعة أنهم يختلفون مع الوسط الذي يعيشون فيه، وهذا ما جرّهم إلى حربٍ مع الدول الثانية، وربما أحبّ الحكام هذا الصراع ليُثير العاطفة الشيعية، وليُعمّق جذورها أكثر فأكثر.

لقد حارب الصفويون الدولة العثمانية، غير أنهم هزموا أمامها في معركة «جالديران» عام ٩٢٠ هـ، كما قاتلوا الأوزبك في الشرق، واستمر هذا الصراع طويلاً، بل إن الصفويين قد دعموا كل عدوّ للمسلمين إذ اتفقوا مع البرتغاليين طلائع المستعمرين الصليبيين، وعاونوهم على الدخول إلى الخليج العربي ما داموا ضد العثمانيين، ثم تعاونوا مع الإنكليز عندما وجدوا ضعف البرتغاليين. بقي حكم الصفويين ما يزيد على مائتين وأربعين سنة (٩٠٧ ـ ١١٤٨ هـ)، وتوالى على الحكم أحد عشر حاكماً، ويحمل كل واحدٍ اسم «شاه».

١ ـ إسماعيل بن حيدر ٩٠٧ ـ ٩٣٠ هـ: أسس الدولة، اتفق مع

البرتغاليين الصليبيين، وحارب العثمانيين، وهُزم أمامهم، وحارب الأوزبك، وانتصر عليهم في بداية الأمر، وكانوا يدعونه للعودة إلى الإسلام، وتفاهم مع ظهير الدين محمد بابر حاكم الهند، غير أن تعصّب الشيعي قد جعل ظهير الدين يترك ذلك التفاهم.

٢" ـ طهماسب بن إسماعيل ٩٣٠ ـ ٩٨٤ هـ: تولى الأمر صغيراً، وهو في العاشرة من عمره، فتولّى الوصاية عليه زعماء الشيعة، حتى بلغ سن الرشد. انتصر على الأوزبك، ولكنه لم يلبث أن هُزم، ودخل بغداد حتى جاءت جيوش العثمانيين فطردت الصفويين منها.

٣" ـ إسماعيل (الثاني) بن طهماسب ٩٨٤ ـ ٩٨٥ هـ، واختلف مع إخوته، وقُتل.

٤" ـ محمد خدابنك بن طهماسب ٩٨٥ ـ ٩٩٥ هـ.

٥" ـ عباس بن طهماسب ٩٩٥ ـ ١٠٣٧ هـ، عقد معاهدةً مع العثمانيين عام ٩٩٨ هـ بعد أن تنازل لهم عن بعض الأجزاء من أملاكه، ومنها لورستان، وبلاد الكرج، وتبريز، وبلاد داغستان، وشروان، واتجه بعد ذلك إلى الأوزبك فانتصر عليهم، وانتزع جزءاً من بلادهم. والتفت بعدها إلى العثمانيين فهاجمهم بعد أن هدأت الجبهة معهم مدة خمس عشرة سنةً، وكان الصراع على العراق. واتفق عباس مع الإنكليز ضدّ البرتغاليين، واتفق معهم على تدريب جيوشه، وجعل عاصمته أصفهان.

٦" ـ صفي بن صفي ميرزا بن عباس ١٠٣٧ ـ ١٠٥٢ هـ، هُزم أمام العثمانيين الذين أخذوا العراق وعقدت معاهدة بين الطرفين عام ١٠٤٩ هـ.

٧" ـ عباس الثاني بن صفي ١٠٥٢ ـ ١٠٧٧ هـ، ولم يلتفت إلى شؤون الدولة.

٨" ـ صفي الثاني بن عباس الثاني ١٠٧٧ ـ ١١٠٥ هـ، وعُرف كذلك باسم سليمان الأول، وفي عهده، استولى الهولنديون على جزيرة «قشم» في مضيق هرمز، وأخذ الأوزبك خراسان. وأغار اليعاربة حكام عُمان على مياه «بندر عباس».

٩" ـ حسين الأول بن عباس الثاني ١١٠٥ ـ ١١٣٥ هـ: بدأ في عهده الصراع مع الأفغان.

١٠" ـ طهماسب الثاني بن صفي الثاني ١١٣٥ ـ ١١٤٤ هـ: استمر الصراع مع الأفغان، وأيّده نادر خان، وخرج الأفغان.

١١" ـ عباس الثالث بن طهماسب الثاني ١١٤٤ ـ ١١٤٨ هـ.

الأفشار:

وقد أسس دولتهم نادر خان بن إمام قلي، ودامت دولتهم اثنتين وخمسين سنة (١١٤٨ ـ ١٢١٠ هـ)، وتوالى على الحكم أربعة حكام وهم:

١" ـ نادر خان ١١٤٨ ـ ١١٦٠ هـ، وكان أول أمره من قُطّاع الطرق، ومن أصحاب الطموح، برز اسمه في مرحلة الفوضى، فجمع رجاله، ورأى من مصلحته العمل باسم الشاه الصفوي طهماسب الثاني، وسيطر على (هراة) و(مشهد)، وانتصر على جند الأفغان عام ١١٤١ هـ، ولاحقهم فاعتصم سلطانهم في مدينة (أصفهان) فحاصره نادر خان، واستطاع سلطان الأفغان (أشرف) أن ينسحب نحو (شيراز)، ولكنه قُتل قبل أن ينسحب الشاه الصفوي حسين الذي كان بيده أسيراً. ودخل طهماسب الثاني (أصفهان)، وتابع نادرخان الأفغان حتى أخرجهم من منطقة فارس اليوم عام ١١٤٢ هـ بعد أن بقوا فيها سبع سنوات (١١٣٥ ـ ١١٤٢ هـ). وانتصر نادر خان على العثمانيين، ولكن طهماسب هزم أمامهم، واضطر أن يعقد معهم معاهدةً تنازل فيها عن جزء من أملاكه. وانتقد نادر خان هذه المعاهدة، وقبض على الشاه طهماسب الثاني، ونصّب مكانه ابنه عباس

الثالث الطفل، وجعل نفسه وصياً عليه عام ١١٤٥ هـ، وانتصر على العثمانيين، وعقد معاهدةً مع والي بغداد العثماني استرجع بموجبها ما أخذه العثمانيون في معاهدة عام ١١٤٤ هـ. ولم يرض الخليفة العثماني على ما أبرمه واليه على بغداد، وكان نادر خان قد ثبت وضعه في فارس، فسار إلى العثمانيين وانتصر عليهم، واضطر الخليفة أن يقرّ ما جرى بين واليه على بغداد ونادر خان.

واستردّ نادر خان ما تنازل عنه إلى الروس في معاهدة (رشت) عام ١١٤٥ هـ، وهدّد الروس بالتحالف مع العثمانيين.

وتوفّي الشاه عباس الثالث الطفل، فأصبح نادر خان سيد البلاد، وحارب الأفغان، واستولى على (قُندهار) و(بلخ)، وقاتل الأوزبك، وانتصر عليهم، ثم دخل (كابل) و(بيشاور)، و(دهلي) عام ١١٥١ هـ، وكذلك اجتاح عُمان.

ثم احتلّ (بخارى) عام ١١٥٢ هـ واتبعها بخوارزم. وأخذ العثمانيون يُغيرون على فارس، ولكن نادر خان انتصر عليهم عام ١١٥٩ هـ.

ثار على نادر خان عمه في (سيستان) وأعلن نفسه شاهاً، وثار الأكراد، فسار إليهم ولكنه قُتل عام ١١٦٠ هـ.

أراد نادر خان أن يُؤسس أسطولاً فلم ينجح، وحاول أن يُعيد مذهب السنة إلى فارس فأخفق، فعمل على جعل مذهب الإمام جعفر الصادق مذهباً خامساً فوافق الشيعة على كراهية.

٢" ـ علي بن إبراهيم ١١٦٠ ـ ١١٦١ هـ: وهو ابن أخي نادر خان، وعرف باسم (عادل شاه) وقضى على أسرة عمه كلها سوى حفيده (شاه رخ)، واختلف قادة نادر خان بعضهم مع بعض، وبرز بينهم أحمد خان الدوراني الذي كان يقود الأفغان والأوزبك في جيش نادر خان، وقد تقاتل أحمد خان مع بقية القادة وهُزم، فانسحب إلى (قُندهار) وأسّس فيها مملكةً واحتلّ

(هراة) و(مشهد)، وكشمير، وغزا الهند ودخل (دهلي) مدةً قصيرة.

٣" ـ إبراهيم بن إبراهيم ١١٦١ ـ ١١٦١ هـ: ثار على أخيه علي، وخلعه، ولكنه لم يلبث أن قُتل، كما قُتل أخوه عليّ.

٤" ـ شاه رخ بن رضا قلي بن نادر بن خان ١١٦١ هـ ١٢١٠ هـ، وأمه بنت الشاه الصفوي حسين. ثار عليه مرزا سيد محمد، وأعلن أن شاه رخ شيعي، وقاتله، وتمكّن منه، وقبض عليه، ونصّب نفسه شاهاً باسم الشاه سليمان. وتحرّك يوسف عليّ قائد جيش (شاه رخ)، فقبض على الشاه سليمان وقتله وأولاده، وأعاد (شاه رخ) إلى الحكم، وعيّن نفسه وصياً عليه بصفته كفيف وصغير.

وقام قائدان آخران وهما: علم خان الذي يقود فرقةً عربيةً، وجعفر خان الذي يقود فرقةً كرديةً، وقد قبضا على (يوسف عليّ) وقتلاه، وأعادا شاه رخ إلى السجن. ثم وقع الخلاف بين هذين القائدين، واقتتلا فانتصر علم خان.

وحارب أحمد خان الدوراني ملك الأفغان علم خان وانتصر عليه، وقتله. وبقي شاه رخ في السجن، وانتهى حكم الأفشار.

الزنديون:

وبرز على الساحة في هذه الأثناء من أواخر عهد الأفشار كريم خان الزندي الكردي الذي كان في جيش نادر خان، وتحالف مع زعيم البختيار علي مردان ثم اختلف معه وقتله.

انتصر كريم خان على القاجار.

وهاجم كريم خان أسد خان الأفغاني الذي اعتصم في قزوين، ولكنه هُزم أمامه، وتراجع إلى (بوشهر)، ولكنه عاد إلى القوة، ورجع إلى (شيراز)، وحكم المنطقة ما يقرب من ثلاثين سنة، استقرت فيها الأوضاع، وعمّ الرخاء إذ نشطت التجارة.

تعاون مع الإنكليز، واستفاد من أسطولهم في إخضاع (مير مهنا) المتمركز في منطقة (بندرق) ودخل البصرة، وولّى عليها أخاه صادقاً عام ١١٨٩ هـ، وبقي فيها حتى توفي كريم خان.

انقض على الحكم بعد وفاة كريم خان أخوه من أمه (زكي خان)، ولكن وقف في وجهه ابن أخيه (أبو الفتح بن كريم خان)، وأعلن نفسه شاهاً في شيراز. ولكن لجأ (زكي خان) إلى الحيلة، وأعلن أنه من أتباع أبي الفتح، فلما تمكّن أخذ يحصد في خصومه، وساعده في شيراز ابن أخته (مراد خان).

قام في وجه (زكي خان) (صادق خان) أخو (كريم خان) الذي أوصاه أخوه كريم خان بالوصاية على أبنائه من بعده، ولكن زكي خان هدّد بإبادة أسرة كل من يتعاون مع صادق خان فخاف الناس، وانفضّوا عن صادق خان.

وقام في وجه زكي خان القاجار بقيادة آغا محمد، فبعث إليهم جيشاً إلى أصفهان بقيادة علي مراد خان الذي لم يلبث أن انقلب ضدّه، واغتيل زكي خان عام ١١٩٥ هـ. وبذا خلا الجو لأبي الفتح بن كريم خان فقبض على أكبر خان بن زكي خان وسجنه، وسجن أخاه محمد علي خان زوج ابنة زكي خان، غير أن عمّه صادق خان قد ظهر وفرض نفسه عليه، ثم أقصاه، وانفرد بالسلطة، ولكن تمرّد عليه علي مراد خان، واستولى على أصفهان عام ١١٩٦ هـ، ثم استولى على شيراز حيث يُرابط صادق خان الذي استسلم له، فقتله وأسرته جميعها باستثناء جعفر خان.

اتجه علي مراد خان نحو مازندران حيث يُرابط القاجار، وما أن سار حتى ثار عليه جعفر خان في (زنجان)، فعاد مسرعاً علي مراد خان ليخمد الثورة فمات بالطريق.

انطلق القاجار بقيادة زعيمهم آغا محمد، وانتصروا على جعفر خان،

ودخلوا أصفهان، غير أنهم هُزموا أمام البختيار، فأسرع جعفر خان، ودخل أصفهان، وظهرت قوته، ولكن ثار عليه ابن عمه إسماعيل خان في (همدان)، ومات جعفر خان مسموماً عام ١٢٠٣ هـ، وقام ابنه لطف الله خان من بعده لكنه هُزم أمام القاجار، وأخذ يفرّ من مكان إلى آخر، وحاول التفاهم مع تيمور شاه الدوراني في قندهار، غير أنه لم يسعد، إذ توفي تيمور شاه، فما كان من لطف الله خان إلا أن استسلم للقاجار، فقتلوه عام ١٢٠٩ هـ، وأبادوا أسرة الزندي. وهكذا انتهى الزنديون مع انتهاء الأفشار، وتفرّد القاجار.

القاجار:

ودام حكمهم مائة وخمساً وثلاثين سنة (١٢٠٩ - ١٣٤٤ هـ)، وتوالى على البلاد سبعة حكامٍ منهم، وهم:

١ ـ آغا محمد قاجار ١٢٠٩ - ١٢١١ هـ:

من مواليد ١١٥٥ هـ، وقع بيد الشاه علي الأفشاري (عادل شاه)، وخُصي عام ١١٦٠ هـ، وتزوّج كريم خان الزندي أخته فأكرمه. فلما توفي كريم خان عام ١١٩٣ هـ انسحب آغا محمد إلى الشمال، وأعلن نفسه شاهاً، واتخذ من طهران قاعدةً لحكمه.

وقف في وجه زكي خان الزندي، وانتصر على جعفر خان، واستسلم له لطف الله خان عام ١٢٠٩ هـ، فقضى على أسرة الزندي جميعها.

سار إلى جورجيا، واحتلّ عاصمتها (تفليس) عام ١٢١٠ هـ، كما احتلّ (أريفان) عاصمة أرمينيا، وهرب أخوه (مرتضى) إلى روسيا مغاضباً له.

تقدّم جيش روسي نحو الجنوب، واحتل دربنت (باب الأبواب)، و(باكو)، ثم انسحب بعد أن هلكت القيصرة الروسية كاترين الثانية، وخلفها القيصر (بول) الذي كان مسالماً.

عاد آغا محمد عام ١٢١١ هـ لغزو جورجيا، غير أنه قُتل.

٢" ـ فتح علي شاه ١٢١١ ـ ١٢٥٠ هـ:

وهو ابن أخي آغا محمد، وثار في وجهه صادق خان، غير أنه هُزم، وثار محمد خان بن زكي خان الزندي، واحتلّ (أصفهان)، ولكنه هُزم أخيراً أمام القاجاريين.

اختلف فتح علي شاه مع أخيه حسين قولي خان، فاستغلّ هذا الخلاف سليمان خان قاجار فأعلن العصيان، وعندما اتفق الأخوان، فرّ سليمان خان، ولكن الشاه عفا عنه، وعيّنه حاكماً على أذربيجان.

وجاء من الأفغان نادر مرزا، واستولى على مشهد، فسار إليه الشاه، فاستسلم له، فعفا عنه.

وفي أيام حكم فتح علي شاه، جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٢١٣ هـ، فخشيت إنكلترا من منافستها الاستعمارية فرنسا على طريق الهند، فأشاعت الشائعات وزعمت أن نابليون بونابرت يريد أن يُقيم دولة في المشرق تأتمر بأمر فرنسا، ويريد أن يعطي حكمها لأخيه، وأرادت التفاهم مع الشاه حفظاً على مصالحها في الهند وفي الخليج العربي، وأخذت البعثات الإنكليزية تتوالى على طهران.

وكان الشاه يطمع في ضمّ بلاد الأفغان إليه، وقد عقد معاهدةً مع إنكلترا عام ١٢١٦ هـ، لمقاومة أي غزوٍ أفغاني للهند، وتعهدت إنكلترا أن تمدّ الشاه بالسلاح فيما إذا تعرّضت بلاده لغزوٍ فرنسي، أو أفغاني، ولكن إنكلترا لم توقّع على هذه المعاهدة خوفاً من أن تؤدي إلى تقاربٍ بين روسيا وفرنسا، إذ كانت روسيا تطمع بأرضٍ من أملاك الشاه.

ولما تمنّعت إنكلترا عن توقيع المعاهدة، وقّع الشاه اتفاقيةً مع فرنسا عام ١٢٢٢ هـ، وبعد شهرين من توقيع هذه الاتفاقية، وُقّعت معاهدة (تلسيت) بين فرنسا وروسيا، وتركت فرنسا بموجب هذه المعاهدة لروسيا حق التوسّع في الدولة الفارسية، وفي الدولة العثمانية.

تنازل الشاه للفرنسيين عن جزيرة (خرج) في الخليج العربي، ولكن هجوم روسيا على (أريفان) عاصمة أرمينيا التابعة للدولة الفارسية قد نبّه الشاه إلى السياسة الصليبية فنفض يده من فرنسا، وعاد فاتجه إلى إنكلترا، وعقد معها معاهدةً عام ١٢٢٣ هـ مُوجّهةً ضدّ فرنسا، غير أن إنكلترا كانت قبل قليلٍ قد عقدت معاهدةً مع الأفغان ضدّ أي غزوٍ فرنسيٍ أو فارسيٍ، وتعهّدت فيها بمدّ أمير الأفغان شجاع شاه بالأسلحة.

كان حاكم جورجيا (غورغين) قد فتح بلاده عام ١٢١٥ هـ أمام الروس الذين تقدّموا في أرض الدولة الفارسية، واضطر الشاه إلى توقيع معاهدة (كلستان) عام ١٢٢٨ هـ مع روسيا تنازل فيها عن (دربنت) و(باكو) و(شروان) و(جورجيا) و(داغستان) و(قره باغ) وجزء من (تاليش)، كما وافق على ألا يكون له أسطول في بحر قزوين. وأسرعت إنكلترا وعقدت معاهدةً مع الشاه لتحصل على بعض المغانم، كما حصلت روسيا.

وشنّ الشاه حرباً على الدولة العثمانية عام ١٢٣٥ هـ، واستمرّت الحرب عدة سنوات، وكان القصد منها السيطرة على العراق، وقد استعاد الشاه في هذه الحرب بعض ما سبق له أن فقده من أملاكه، ووقّعت بين الطرفين معاهدة (أرضروم) عام ١٢٣٨ هـ.

شنّ الروس حرباً على الدولة الفارسية عام ١٢٤١ هـ، واحتلّوا مدينة تبريز، وعقدوا معها معاهدة (تركمان جاي) عام ١٢٤٣ هـ، واعتذرت إنكلترا عن دعم الشاه بحجة أنه هو الذي بدأ بالحرب، ولكنها في الواقع الحرب الصليبية.

٣" ـ محمد شاه بن عباس مرزا بن فتح الله شاه (١٢٥٠ ـ ١٢٦٤ هـ):

وهو حفيد الشاه السابق، وثار عليه عمّه، حاكم إقليم فارس، ووقف في وجهه بعض الأمراء القاجاريين، ولكن الشاه انتصر عليهم جميعاً، وثار

أيضاً آغاخان بجماعته من الإسماعيليين في (كرمان) و(لورستان) وعندما لحق فرّ إلى الهند، ومن هناك استمرّت غارات الإسماعيليين على الدولة الفارسية في محاولة الانتقام منها، وكانوا يتلقّون الدعم من الإنكليز سرّاً.

وبدأت الحركة البابية في عهد هذا الشاه بدعمٍ وتخطيطٍ من روسيا التي تريد أن توجد لها أتباعاً تستطيع عن طريقهم التدخّل في شؤون الدولة، وتكون في الوقت نفسه قد عملت على تهديم الإسلام بنشر مبادىء فاسدةٍ، وإيجاد صراعاتٍ في داخل الدولة، وبين صفوف المسلمين ـ حسب قناعتها ـ.

وتوغّل أمير الأفغان (دوست محمد) في إقليم (سيستان). واحتلّ الإنكليز جزيرة (خرج)، وأخذوا يهدّدون ميناء (بوشهر) وذلك عام ١٢٥٨ هـ.

٤ً ـ ناصر الدين شاه (١٢٦٤ ـ ١٣١٣ هـ):

وقامت في عهده ثورة البابيين عام ١٢٦٤ هـ، وفشلت، وأُعدم الباب ميرزا علي محمد رضا الشيرازي، وقرة العين فاطمة بنت صالح القزويني، ونُفي حسين بن علي المازندراني (بهاء الله) الذي أصبح رأس الفرقة الضالة الجديدة البهائية، والتي ارتبطت بالإنكليز، بعد أن كان سيدها في أول عهده من صنائع الروس، كما نفي أخوه يحيى بن علي المازندراني (صبح الأزل).

وساعدت إنكلترا عام ١٢٧٢ هـ أمير الأفغان (دوست محمد)، وفتحت بذلك جبهةً جديدةً على الدولة الفارسية من جهة الجنوب الشرقي، وفي العام التالي (١٢٧٣ هـ) احتلّت إنكلترا ميناء (بوشهر) على الخليج العربي، وميناء (المحمرة) على شط العرب، ففتحت بذلك جبهةً أخرى على الشاه من ناحية الغرب.

اضطر الشاه أن ينسحب من مدينة (هراة)، ومن كل الأراضي التي

عرفت فيما بعد باسم (أفغانستان) بعد معاهدة باريس عام ١٢٧٤ هـ التي عقدت بين إنكلترا والأفغان.

حصلت روسيا على امتيازاتٍ واسعةٍ في شمالي الدولة الفارسية، وجاء الضباط الروس، وعلى رأسهم الجنرال (دوموتوفتش) وشكّلوا ثلاث فرقٍ من القوزاق، وتتألّف كل فرقةٍ من ستمائة جندي. أما إنكلترا فقد حصلت على امتيازاتٍ في أجزاء الدولة الجنوبية، ومن هذه الامتيازات مدّ السكك الحديدية، وخطوط البرق.

وقامت حركة ضدّ استبداد الشاه والتدخّل الإنكليزي، وكانت حركةً سلميةً قادها أحد علماء الشيعة الذي يعرف بالشيرازي الكبير، واضطر الشاه أن يرضخ لمطالب الحركة، وأن يُلغي اتفاقية (التبغ) التي سبق أن عقدها مع الإنكليز عام ١٣١٠ هـ، فرضي العلماء عن الشاه بعد ذلك، إذ حقّق لهم رغباتهم بإلغاء اتفاقية (التبغ) مع شركة (تالبوت) البريطانية.

٥ً ـ مظفر الدين شاه (١٣١٣ ـ ١٣٢٤ هـ):

وفي عهده وجد المجلس التشريعي حيث نُظّم أول قانونٍ انتخابي في فارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٢٤ هـ (١٤ آب ١٩٠٦ م). وكان هذا المجلس يضمّ نصف الأعضاء من طهران، وعشرةٌ يمثّلون التجار، وعشرةٌ يمثّلون الملاك، وأربعةٌ من العلماء، وأربعةٌ من الأسرة القاجارية الحاكمة.

وقامت في وجهه عدة حركاتٍ، فاعتصم عشرة آلاف من المواطنين في دار السفارة البريطانية، واعتصمت أعداد كثيرة في المساجد، وخاصة في مسجد عبدالعظيم في (الري)، وتُوفّي الشاه في شهر ذي الحجة من عام ١٣٢٤ هـ (كانون الثاني ١٩٠٧ م).

٦ً ـ محمد علي شاه (١٣٢٤ ـ ١٣٢٧ هـ):

وفي عهده زاد الترف والبذخ، واستدانت الحكومة الكثير من الأموال على شكل قروض، واتفقت إنكلترا وروسيا على اقتسام مناطق النفوذ في إيران بينهما ـ كما سنرى ـ وحاول الشاه استعادة السلطة، ودعمه الروس،

وقام العميد الروسي (لياخوف) بضرب مبنى المجلس النيابي في تاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ (٢٣ حزيران ١٩٠٨ م)، وفرض نفسه حاكماً عسكرياً، وشكّل حكومة عسكريةً، وألقى القبض على عددٍ من الزعماء، وأعدم بعضهم، وحلّ الشاه المجلس النيابي، وحدثت ثورة في البلاد عام ١٣٢٥ هـ ضدّ التدخّل الأجنبي، واستولى الثوار على مدينة (تبريز) فهاجمها الروس، وسار خمسة آلاف متظاهر من (بختيار) نحو طهران، وهزموا فرقةً من فرق القوزاق، ودخلوا طهران في جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (تموز ١٩٠٩ م)، وكان الاستياء العام من الترف، واضطر الشاه إثر ذلك إلى الرضوخ، ومنح البلاد دستوراً، واجتمع المجلس النيابي في السنة نفسها، ومع ذلك فقد استمرّت الحركات، وكان يقودها (الأخوند محمد كاظم الخراساني) أحد علماء الشيعة، وأُجبر الشاه أن يترك مقرّه في طهران، وأن يلتجىء إلى السفارة الروسية، ثم انتقل إلى مدينة قزوين في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (١٦ تموز ١٩٠٩ م) ومنها هناك فرّ إلى روسيا. واجتمع المجلس النيابي الفارسي، وقرر خلع الشاه محمد علي، وعيّن ابنه الصغير مكانه، واختار عضد الملك وصياً عليه، فلما مات اختار أبا القاسم خان ناصر الملك وصياً، وكان مسنّاً.

٧ً ـ أحمد شاه بن محمد علي شاه (١٣٢٧ ـ ١٣٤٤ هـ):

كان صغيراً، وضع تحت الوصاية عندما آل الأمر إليه، وترك أمر البلاد لغيره من المقربين إليه، وانصرف إلى حياة اللهو، ولم يختلف الوضع عندما تسلّم السلطة بنفسه حيث لم يكن سوى شرطي عند البريطانيين إذ كان يستشيرهم قبل تكليف أي سياسي بتشكيل الوزارة.

كانت إنكلترا قد اتفقت مع روسيا منذ عام ١٣٢٦ هـ على تقسيم فارس إلى ثلاث مناطق:

أ ـ منطقة نفوذ لبريطانيا في الجنوب.

ب ـ منطقة نفوذ لروسيا في الشمال.

جـ ـ منطقة محايدة في الوسط على امتداد خط عرض طهران.

وتعهدت كل من روسيا وإنكلترا على ألا تنافس إحداهما الأخرى لا في الميدان السياسي ولا في الميدان التجاري، ومع ذلك فقد اعترفت كلاهما باستقلال فارس.

نقم الرأي العام الفارسي على روسيا، وكانت إنكلترا تهادن الروس على حساب مصلحة فارس خوفاً من خطر حربٍ تشنّها ألمانيا، فتريد بريطانيا أن يكون لها حلفاء أقوياء في أوروبا ضدّ الألمان. واستمرّ الضغط الروسي يتزايد في فارس حتى قامت الحرب العالمية الأولى.

وفي ٢٧ شعبان ١٣٣٢ هـ بلغ الشاه أحمد سنّ الرشد، وتوّج ملكاً على البلاد، وغادر الوصي السابق ناصر الملك فارس، وتوجّه إلى فرنسا في ١٨ رمضان ١٣٣٢ هـ.

وفي الحرب العالمية الأولى كانت فارس ميداناً للصراع بين الألمان والعثمانيين من جهةٍ وبين الإنكليز والروس من جهةٍ ثانية، فلما انتهت الحرب كانت البلاد في حالة انهيارٍ عسكريٍ وسياسي.

انتهى النفوذ الروسي في فارس بعد قيام الثورة الشيوعية وتسلّمها مقاليد الحكم في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م)، واضطر الروس أن يتنازلوا عن ديونهم، وأن يحسّنوا علاقاتهم مع فارس كي لا يجد الروس البيض، والمعارضين للثورة الشيوعية، والذين سيطروا على أجزاء من روسيا، ومناطق من البلدان التي تقع تحت سيطرة الروس أي دعم من البلدان المجاورة لهم، ومنها فارس.

أرادت إنكلترا أن تحلّ محلّ روسيا فلم تتمكّن، فأرادت أن تجعل من فارس سدّاً منيعاً في وجه التوسّع الشيوعي لذا أسرعت وعقدت مع فارس اتفاقية (المساعدة البريطانية من أجل تقدّم فارس ورفاهيتها) في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م. وإذا كانت هذه الاتفاقية قد اعترفت

باستقلال فارس ظاهراً إلا أنها قيّدتها بقيودٍ جعلتها فيها تحت الحماية البريطانية، ومما جاء في هذه الاتفاقية:

١ ـ تستخدم فارس المستشارين البريطانيين في كل مؤسسات الدولة بما في ذلك الجيش.

٢ ـ لا يُزوّد الجيش الفارسي إلا بالأسلحة البريطانية.

٣ ـ تُشرف بريطانيا على جهاز الحكم الفارسي.

٤ ـ تقوم إنكلترا بإنشاء السكك الحديدية وطرق المواصلات في فارس.

٥ ـ تعمل إنكلترا على تصحيح الحدود الفارسية في النقاط ذات الأهمية الخاصة.

٦ ـ تقدم بريطانيا قرضاً لفارس بمبلغ مليوني جنيه بفائدةٍ قدرها ٧٪.

ووقّع هذه الاتفاقية كل من رئيس وزراء فارس وثوق الدولة، والسفير البريطاني بيرسي كوكس، واستمرّت المفاوضات بين الجانبين عاماً كاملاً.

رضي الشاه أحمد بهذه الاتفاقية، ولم يبق سوى موافقة المجلس النيابي عليها. ولكن الشعب ثار على هذه الاتفاقية، حتى الموالين للسياسة البريطانية من الفرس الذين أرادوا إلغاءها لإنقاذ وضعهم الذي عُرفوا به، وآرائهم التي يُدافعون عنها، وقد أصبحت فارس حسب الرأي العام المحلي والدولي محميةً بريطانيةً.

وانتقدت الولايات المتحدة هذه الاتفاقية بل رفضت تقديم أية مساعدةٍ لفارس احتجاجاً على الاتفاقية، وكذلك انتقدتها فرنسا، وإن كان البريطانيون قد عدّوا هذا النقد من باب المنافسة دون النظر للمصالح الفارسية.

وبعد الحرب العالمية الأولى أخذت الأفكار الشيوعية تنشط في فارس، كما أخذت أجنحة متعددة من الأحزاب تتوجّه نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وتعتمد عليها في دعمها.

وبعد توقيع الاتفاقية حدثت انتفاضات في عددٍ من المناطق، وأنشأت المعارضة حكومات محلية في تلك المناطق، فأنشأ الشيخ محمد خيابالي الحكومة الوطنية في أذربيجان في رمضان من عام ١٣٣٨ هـ (حزيران ١٩٢٠ م) وأطلق على أذربيجان بلاد الحرية (آزاديستان). وفي الوقت نفسه أنشأ (مرزا كوجك خان) حكومةً محلية في إقليم جيلان، وأرسل من مدينة (رشت) برقيات إلى الحكومة المركزية في طهران، وإلى السفارات الأجنبية ينتقد فيها السياسة الإنكليزية، وكذلك تزعّم محمد تقي خان الانتفاضة في خراسان، هذا بالإضافة إلى الحركة الواسعة التي قامت في كردستان وقادها (سمكو) وكادت تقضي على الحكم القاجاري.

حكومة مشير الدولة:

قدّم وثوق الدولة استقالة حكومته في ٧ شوال ١٣٣٨ هـ (٢٣ حزيران ١٩٢٠ م) وعُهد إلى مشير الدولة بعد إذنٍ من السفير البريطاني بتشكيل الوزارة، فاجتمع بالسفير وتشاور معه في أعضاء الوزارة والذين كان من بينهم، مؤتمن الملك، ومستوفي الممالك، ومصدق السلطنة (محمد مصدق)، ومخبر السلطنة صاحب النفوذ في أذربيجان.

استأذن رئيس الوزراء السفير الإنكليزي بإرسال وفدٍ إلى موسكو لإقناع روسيا بالانسحاب من فارس، ووقف الدعاية الشيوعية. كما استأذنه بالإعلان عن إيقاف تنفيذ كل ما يتعلق بالاتفاقية موقتاً. وإجراء انتخاباتٍ جديدةٍ. وفي هذه الأونة تحسّنت العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخيراً قدّم مشير الدولة استقالة حكومته في ٦ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٢١ م).

حكومة سباهدار أعظم:

بعد استقالة حكومة مشير الدولة كانت الأنظار تتجه إلى أحد الرجلين لتشكيل الحكومة الجديدة إما مستوفي الممالك وإما سباهدار أعظم.

واستشار الشاه السفير البريطاني لكنه رفض التدخّل بحجة أن هذا أمر خاص بالشاه وقضية داخلية.

كلّف الشاه بالوزارة سباهدار أعظم فشكّل حكومةً جديدةً شملت أعضاء الحكومة السابقة تقريباً، وأُضيف إليهم محتشم السلطنة الذي أُسندت إليه حقيبة وزارة الخارجية، ووحيد الملك، واقترحت الحكومة على بريطانيا عقد اتفاقيةٍ جديدةٍ تحلّ محلّ الاتفاقية السابقة التي لا يرضى عنها أحد في الداخل، كما تجد نقداً لاذعاً في المحافل الدولية.

تشكلت الحكومة الجديدة في ٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٦ شباط ١٩٢١ م)، ولكنها لم تبق في الحكم سوى عدة أيام إذ وقع انقلاب، وهو الذي عرف بانقلاب «حوت» حسب التقويم الفارسي الخاص بهم، وهو في ١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢١ شباط ١٩٢١ م).

انقلاب حوت:

وهو انقلاب سلمي، لم يمس الشاه، وإنما تغيير في مواقع القوة إذ غدا تاريخ فارس في المرحلة القادمة مرتبطاً بشخصية رضا بهلوي[1] ومن

(١) رضا بهلوي: ولد في بلدة (سوادكوه) في إقليم مازندران عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م)، يُدعى أبوه عباس قلي خان، وقد توفي في ٢ ذي الحجة ١٢٩٥ هـ (٢٦ تشرين الثاني ١٨٧٨ م)، ولا يزال ابنه رضيعاً، فانتقلت به والدته إلى طهران. وأما أمه فتعود إلى أصل قفقاسي حيث انتقل بها أهلها إلى إيران بعد سيطرة الروس على بلاد القفقاس عام ١٢٨٢ هـ. رعى الولد خاله بعد أن تزوجت أمه، وتركت غلامها لأخواله. ثم أودعه خاله لدى أسرة الجنرال (تومان كاظم خان) صديق عائلته.
يعود رضا بهلوي إلى أسرة امتهنت الجندية، وكان أبوه عباس قلي خان قد وصل إلى رتبة عقيد، وكان جده كذلك ضابطاً، وقتل في الحملة على (هراة).
منذ أن وصل رضا بهلوي إلى سنّ الخامسة عشرة التحق بالجندية، فالتحق بفرق القوزاق، وتزوّج، وأنجبت له زوجته ابنةً ولكنها انفصلت عنها في ظروف غامضة عام ١٣٣٣ هـ.

يتعاون معهم، وكان أولهم ضياء الدين الطباطبائي[1].

تزوّج ثانيةً ابنة القائد العسكري (تيمور خان ميربنج)، وأنجبت له ولي العهد عام ١٣٣٧ هـ.
اشترك عام ١٣٢١ هـ في قتالٍ ضدّ حركاتٍ معاديةٍ للسلطة المركزية، فأبدى شجاعةً، وكان رئيس عرفاء فرقّي إلى رتبة ملازم.
اشترك عام ١٣٢٩ هـ في القتال ضدّ سالار الدولة شقيق الشاه المخلوع محمد علي الذي ثار على ابن أخيه، فأظهر رضا جرأةً، ومنح رتبة ملازم أول.
واشترك في القتال مع فرق القوزاق ضدّ الحركات في خراسان، وكردستان، ولورستان، وأظهر قوة ونشاطاً حتى صار يُعرف باسم رضا خان مكسيم نسبة إلى مكسيم المدفع الذي كان يعمل عليه.
وصل في الحرب العالمية الأولى إلى رتبة مقدم، وبعد عام أصبح عقيداً، خدم في مدينة (كرمنشاه) وبعدها انتقل إلى (همدان) وأخيراً انتقل إلى طهران.
بعد الثورة الشيوعية أخذ يتعاون مع الروس البيض المناهضين للبلاشفة، ومنح رتبة عميد وأُعطي قيادة فرقة من القوزاق، فعمل بعض الإصلاحات فلفت نظر الضباط الصغار.
منذ عام ١٣٣٢ هـ أخذ يُواظب على قراءة جريدة (رعد) التي كان يُصدرها ضياء الدين الطباطبائي. وتأثّر بسياستها. وكان يميل إلى النزعة القومية، وحب الاستبداد.
عهدت إليه الحكومة حماية البعثة الأمريكية، ثم السفارة الإنكليزية، ثم المصارف الروسية والبريطانية.
أُعجب بالألمان، وأصبح حسّاساً ضدّ الإنكليز، غير أنه لا يُظهر شيئاً، إذ عُرف بالكتمان والتأنّي.

(١) ضياء الدين الطباطبائي: ولد في مدينة (يزد) عام ١٣٠٦ هـ، ودرس في باريس عام ١٣٢٩ هـ لمدة سنتين، كان مولعاً بالأدب، وعمل بالصحافة، وأصدر بعد الحرب العالمية الأولى جريدة (رعد)، واعياً لواقعه السياسي والقضايا الدولية، متأثراً وميالاً للسياسة الإنكليزية، عنده حب المغامرة. أيّد الاتفاقية مع بريطانيا في الوقت الذي رفضتها مختلف أوساط الشعب. وأيّد حكومة الثورة الروسية البلشفية المؤقتة، ووقف ضد ثورة البلاشفة في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م). وأيّد حكومة وثوق الدولة.
عُيّن سفيراً فوق العادة لدى حكومات ما وراء القفقاس أرمينيا، وجورجيا، وأذربيجان، وذلك عام ١٣٣٨ هـ.

كان رضا خان يرى العمل لاتحاد الضباط الفرس في فرق القوزاق في طهران وقزوين، والعمل لطرد الأجانب وسحق عملائهم، غير أنه كان شديد الكتمان لما يسمع، وما يُخطط له، متأنياً فيما يتحدّث به. وشعر الإنكليز أنه يُعادي الحرية السياسية، ويميل إلى الاستبداد، وحاز على إعجابهم، وتوقّعوا أنه الرجل المناسب للتغيير في فارس، فركّزوا عليه. وبعث السفير الإنكليزي في طهران (هرمن نورمن) برسالة إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد كرزن بتاريخ ٤ رجب ١٣٣٩ هـ (١٣ آذار ١٩٢١ م) بهذا المعنى.

كان رضا خان مُستاءً من الفوضى والاضطرابات في البلاد وكذلك كل ضباط القوزاق، ويرون ضرورة العمل لوجود حكومة مركزية قوية تستطيع الوقوف في وجه التخلّف والانتفاضات والحركات الثورية. وعندهم حماسة لاستقلال البلاد.

رأى الضباط الفرس في فرق القوزاق في ضياء الدين الطباطبائي ومؤيديه عناصر سياسية يمكن العمل معهم والتفاهم، كما رأى ضياء الدين في هؤلاء الضباط قوةً يمكن الاعتماد عليهم، وجرت اتصالات بين الطرفين.

وفي ٥ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٣ شباط ١٩٢١ م) جرى لقاء في مدينة قزوين بين ضياء الدين الطباطبائي ورضا خان، وتمّ التفاهم بين الجانبين على العمل معاً، وتسلّم السلطة، بل تفاهما على اقتسام المراكز حيث يتسلّم ضياء الدين رئاسة الحكومة على حين يصبح رضا خان قائداً لفرق القوزاق، ويبدو أن رضا خان كان يفكّر بأبعد من ذلك بكثير، واقتنع بنفسه أن القوة هي وسيلته الوحيدة للوصول إلى ما يطمح عليه، وأن هذه المرحلة تكفيه بما يُحققه من الحصول على بداية القوة، وهي أول الطريق.

= وعشيّة انقلاب (حوت) غيّر ثوبه، وظهر بمظهر الإخلاص، ووسّع صلته بالعناصر الوطنية، وإن كان المعدن لا يتغيّر حيث بقيت صلته السرية بالبريطانيين.

قررت الحكومة تغيير قطعات القوزاق الموجودة في العاصمة واستبدالها بالقطعات المرابطة في مدينة قزوين، فرأى رضا خان الفرصة مناسبة جداً لتنفيذ الخطة ما دام سيتحرك مع تلك القطعات تلقائياً إلى طهران، وأخبر ضياء الدين الطباطبائي بذلك فوافقه على البدء.

بدأت قطعات القوزاق في قزوين تتحرك من قزوين نحو طهران في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (١٨ شباط ١٩٢١ م)، وتقدر بـ ٢٥٠٠-٣٠٠٠ جندي، ومعها ستة وعشرون مدفعاً، وقبل الوصول إلى طهران أسرع ضياء الدين وخرج لاستقبالهم، فالتقى قرب مطار (مهر آباد) بهم، واجتمع هناك برضا خان ومعه العقيد كاظم خان سياح، والنقيب مسعود خان كيهان، وأمير أحمدي، وأقسم ضياء الدين الطباطبائي على كتاب الله بأن يخدم الشعب والبلاد، وأن يقف في وجه الشيوعية، وأن يكون في خدمة الشاه، وكذلك أقسم الضباط.

اجتمع مجلس الوزراء بصورة متواصلة يومي ١١ و١٢ جمادى الآخرة، ثم أرسل وفداً يُمثّل الشاه، والحكومة، والسفارة البريطانية ليُقنع العسكريين بعدم دخول طهران.

رفض العسكريون مطالب الحكومة، وطالبوا بتشكيل حكومة قوية والوقوف في وجه الشيوعية.

وفي ١٣ جمادى الآخرة طلب السفير البريطاني من الشاه الموافقة على طلب العسكريين، وطمأنه على حياته. أما رئيس الوزراء فأعطى أوامره بعدم المقاومة التي لم تكن ممكنة بالأصل. وأذاع الشاه بياناً كأنه يُؤيّد هذه الحركة بل كأنه كان من ورائها.

دخل العسكريون العاصمة، وسيطروا على المرافق الحيوية جميعها، وأطلقوا سراح المعتقلين، وكانت إنكلترا راضية عما حدث ومقتنعة به كأسلوب لإنقاذ إيران من الحركة الشيوعية. وكلّف الشاه ضياء الدين

الطباطبائي برئاسة الحكومة، فأعلنها، وتسلَّم رضا خان قيادة فرق القوزاق، وكان يُشارك في اجتماعات الحكومة وإن لم يكن عضواً فيها.

اجتمع رئيس الوزراء الجديد بالسفير الإنكليزي وأعلمه أن الحكومة لا يمكنها أن تُباشر أعمالها دون إلغاء الاتفاقية الإنكلو- إيرانية. وكان ذلك الاجتماع في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٥ شباط عام ١٩٢١ م)، وهو أول اجتماع تمّ بين السفير ورئيس الحكومة الجديد.

كتب السفير البريطاني لوزير خارجية حكومته في اليوم نفسه يشرح له ما دار في اللقاء فيقول: وأخبرني سيد ضياء الدين طباطبائي - ك.م.) سراً بما يلي عن سياسته: يجب إلغاء الاتفاقية الإنكلو- إيرانية، فمن دون ذلك لا يمكن للحكومة الجديدة أن تباشر أعمالها... تتخذ الخطوات مباشرةً لاستخدام عددٍ من الضباط والمستشارين البريطانيين في المؤسسات العسكرية والمالية بموجب عقودٍ فرديةٍ دون إظهار أي نوع من الاتفاق بين الحكومتين، كما يجب عدم جلب الأنظار إلى نشاط هؤلاء قدر المستطاع، بينما يعلن للملأ أن الحكومة الفارسية تنوي جلب المستشارين من مختلف الدول الأوربية، فيُدعى الفرنسيون والأمريكان وربما الروس أيضاً فيما بعد لإشغال مراكز في وزاراتٍ أقل أهمية. وتهدف الفكرة إلى إرضاء الدول الأجنبية الأخرى قدر الإمكان وإلى ذر الرماد في عيون البلاشفة والمتطرّفين المحليين في وقتٍ توضع فيه إدارتان أساسيتان بيد البريطانيين، يُؤلّف جيش ويحلّ محلّ قواتنا في الجبهة البلشفية... صدرت التعليمات لرئيس الشرطة السويدي لرفع كفاءة قواته وإضافة خمسمائة رجل إليها لحماية السفارات شكلياً ولكن في الواقع لمراقبة الممثّل السوفيتي حال وصوله ولمراقبة النشاط البلشفي عموماً... إنه أشار إلى أن كلاً من مستقبل فارس ومستقبل بريطانيا العظمى في فارس يعتمد على فرصة عدة أشهر تُمنح للحكومة الجديدة لتتخذ الإجراءات الدفاعية الضرورية (لصد الحركات الوطنية - ك.م.) والتي كان إهمالها جرماً ارتكبه من سبقه... ومن أجل

التخلص من معاداة حكومة روسيا السوفيتية. من المهم جداً إخفاء ميل الإدارة الحالية نحو بريطانيا إلى أقصى حدٍّ ممكن في الوقت الحاضر. وفي الختام قال: إذا كانت بريطانيا العظمى ترغب في إنقاذ موقعها هنا فعليها أن تُضحّي بالظلّ من أجل الجوهر، وتبقى في الخلف تساعد فارس بنشاطٍ ولكن بعيداً عن الأنظار. إنه متأكد من أن سياسةً كهذه ستُحقق في النهاية لبريطانيا العظمى فوائد أكبر من تلك التي توقّعها من اتفاقيةٍ يتعذّر تطبيقها»[1].

ظهر رئيس الحكومة ضياء الدين الطباطبائي على حقيقته، وعجز عن حلّ كثيرٍ من المشكلات، وبرزت الحركة الوطنية، ووقعت الحكومة في ضائقةٍ ماليةٍ نتيجة الإنفاق بسخاءٍ على فرق القوزاق لإرضائهم، ولم يستطع الحصول على قرضٍ من بريطانيا لمعالجة الضائقة المالية، وكذلك فشل في كسب الرأي العام إليه، ورأى الإنكليز أنه لا بدّ من رجلٍ أقوى لهم.

كان رضا خان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء كلها رغم أنه لم يكن وزيراً، وكان يتدخّل في كل قضيةٍ، ويُبدي رأيه، ويُصرّ عليه، ويُؤكّد على تنفيذه. وألحّ على ربط الشرطة بوزارة الحربية، وحُقّق ذلك، على حين كان رئيس الحكومة يرى ربطها بوزارة الداخلية، ولم يستطع تنفيذ رأيه. ووقع الخلاف بين الطرفين أو بين قطبي الانقلاب.

حاول رئيس الحكومة عن طريق البريطانيين إقناع رضا خان بعدم تخطيه حدوده فلم يفلح، وعمل على إبعاده عن قيادة القوزاق فلم ينجح، حيث أنه لا يستطيع أن يتخذ أي قرارٍ بحقه ما دام على رأس العسكريين القوزاق، ومن أجل هذا سلّمه منصب وزير الحربية فتسلّمه دون أن يترك قيادة القوزاق.

استطاع رضا خان أن يقنع الشاه بإزاحة ضياء الدين الطباطبائي عن

(١) دراسات في تاريخ إيران. كمال مظهر أحمد ص ١٣٢ - ١٣٣.

رئاسة الحكومة فأصدر الشاه مرسوماً في ١٨ رمضان ١٣٣٩ هـ (٢٥ أيار ١٩٢١ م) بإقالة حكومة ضياء الدين الطباطبائي الذي قرّر الفرار من البلاد، فعرضت عليه الولايات المتحدة اللجوء السياسي إليها، وكذلك عرضت عليه روسيا غير أنه رفض كلا العرضين. واتجه إلى العراق، ومنها سافر إلى أوربا فعاش في سويسرا وألمانيا، ثم رجع واستقرّ في الشام في منطقة فلسطين حتى وافته المنية عام ١٣٨٩ هـ.

كان رضا خان ينوي اعتقال خصمه صديق الأمس غير أن البريطانيين قد حالوا دون ذلك، كما أن السفير الروسي قد نصحه بعدم الإقدام على الاعتقال.

حكومة أحمد قوام السلطنة:

كان البريطانيون يرغبون في استلام رضا خان للحكومة غير أن الشاه اعترض على ذلك، ورشح مشير الدولة لكنه اعتذر، وعهد إلى مستوفي الممالك فاعتذر أيضاً، فوقع الاختيار بعدئذٍ على أحمد قوام السلطنة شقيق وثوق الدولة، فعهد إليه الشاه بتشكيل الوزارة فامتثل وقام بالمهمة، وألّف الحكومة في ٢٨ رمضان ١٣٣٩ هـ (٤ حزيران ١٩٢١ م). وبقي رضا خان في وزارة الحربية، وقد ضمّت هذه الحكومة كثيراً من الذين تعاونوا مع الألمان في الحرب العالمية الأولى[1].

كانت مهمة الحكومة الأساسية القضاء على حركتي (خراسان) و(جيلان)، وحاولت التقرّب من الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على قروض، ولمنح الشركات الأمريكية حق امتياز التنقيب عن النفط.

---

(١) كان من أعضاء هذه الحكومة:

١ ـ محتشم السلطنة: وزيراً للمعارف.
٢ ـ رضا بهلوي: وزيراً للحربية.
٣ ـ مشاور السلطنة: وزيراً للبرق والبريد.
٤ ـ عميد السلطنة: وزيراً للعدل.
٥ ـ أديب السلطنة: للفوائد العامة والتجارة والفلاحة.
٦ ـ حكيم الدولة: وزيراً للصحة.
٧ ـ مستشار الدولة: وزيراً مشاوراً.

وكانت السياسة البريطانية في فارس تعمل على مقاومة الشيوعية، وحماية العراق والهند منها، والعمل على القضاء على الحركات الوطنية. وتغيّرت سياسة اللين التي كانت تحرص عليها بريطانيا، وبدأت سياسة الضغط، والمطالبة بالديون، وتشجيع الحركات الانفصالية، وظهر حزب النجمة البختيارية في منطقة بختيار. كذلك تغيّر السفير البريطاني إذ ارتحل (هرمن نورمن) وجاء (بيرسي لورين).

عزل وزير الحربية حكام بعض المناطق مثل: محمد مصدق حاكم أذربيجان، واقتدار الدولة حاكم مازندران، وعيّن مكانهم حكاماً عسكريين، وكأنه هو المتصرّف الوحيد بالدولة. بل كان ما يقرب من نصف ميزانية الدولة (٤٩٪) يتصرّف به وزير الحربية باسم الإنفاق على القوات المسلحة وذلك لكسب الجيش إلى جانبه، فكان للضباط ميزات خاصة، على حين لم يكن نصيب التعليم من الميزانية ليزيد على ١٪ فقط. وهذا ما أربك الميزانية وأوقعها في عجز.

عُيّن محمد مُصدّق وزيراً للمالية في سبيل إنقاذ المالية، ولكنه لم يستطع فعل شيء، أمام غطرسة رضا خان، وسيطرته على أجهزة الدولة.

وفي النصف الأول من عام ١٣٤٠ هـ تشكلت الكتلة الوطنية من الحزب الاشتراكي الديمقراطي بزعامة سليمان ميرزا إسكندري، والاشتراكيين المستقلين، ووقفت الكتلة ضدّ حكومة أحمد قوام السلطنة.

وزاد الخلاف بين رئيس الحكومة وبين وزير حربيته رضا خان حتى اضطر رئيس الحكومة إلى تقديم استقالة وزارته في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٢٢ م).

حكومة مشير الدولة:

شكّل الحكومة في ٢٤ جمادى الأولى، واتبعت حكومته سياسة

التقارب من الولايات المتحدة الأمريكية التي طلبت ضماناً لمصالحها. ولجأت إنكلترا إلى إثارة القبائل كردة فعل على سياسة الحكومة.

أخذ وزير الحربية رضا خان يتقرّب من الكتلة الوطنية ليكون له دعم سياسي إضافة إلى الدعم العسكري وذلك قبل الخلاف مع رئيس حكومته إذ كان يعمل على إفشال رؤساء الحكومات المتعاقبين ليبقى وحده في الساحة وليجبر الشاه على تكليفه بالحكومة بعد فشل الآخرين.

بدأ الخلاف بين رئيس الحكومة ووزير حربيته الذي ركّز وضعه واستعدّ للمنازلة والخلاف. فاعتقل وزير الحربية رضا خان من نفسه عدداً من الصحفيين، وأغلق عدداً من الجرائد ومنها: (نجمة فارس) و(نجمة الشرق) و(خلاص فارس)، ثم طلب من رئيس الوزراء وكأنه موظف عنده أن يُغلق جريدة (الحقيقة) فرفض رئيس الحكومة لأن الطلب جاءه كأمر، ولو فعل لتسلّط عليه وزير حربيته ثم بسط نفوذه على البلاد. ولما رفض هدّده الوزير بالاعتقال فما كان من رئيس الوزراء إلا أن قدّم استقالة حكومته في أواخر رمضان من عام ١٣٤٠ هـ.

حكومة أحمد قوام السلطنة للمرة الثانية:

شكّل حكومته الثانية في الأسبوع الثاني من عيد الفطر ٨ شوال ١٣٤٠ هـ (٣ حزيران ١٩٢٢ م)، وعملت في هذه الأثناء لتدل على التفاهم مع واشنطون، واتفقت شركة ستاندر أويل الأمريكية مع شركة النفط الإنكلو- فارسية على استثمار نفط الشمال، وهذا ما يُخالف المعاهدة الفارسية - الروسية التي عقدت في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م) والتي تعطي حق التنقيب عن النفط في الشمال للروس، ولهذا فقد شنّت روسيا حملةً عنيفةً على الحكومة الفارسية، كما أن الصحافة الفارسية قد هاجمت العمالة لأمريكا، واقتسام الشركات الإنكليزية والأمريكية للثروة الفارسية. فقامت الحكومة في مطلع عام ١٣٤١ هـ (٢٢ آب ١٩٢٢ م) وأغلقت الصحف كلها. فأضرب عمال المطابع في ١٧

محرم ١٣٤١ هـ (٨ أيلول ١٩٢٢ م) إذ توقّفوا عن العمل، وانقطع مورد رزقهم، وتبع ذلك إضراب المعلمين، وشدّدت الكتلة الوطنية من معارضتها، واضطرت الحكومة إلى تقديم استقالتها في ٨ جمادى الآخرة ١٣٤١ هـ (٢٥ كانون الثاني ١٩٢٣ م).

حكومة مستوفي الممالك:

شكّل الوزارة في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤١ هـ (١٤ شباط ١٩٢٣ م) وهو من قادة الكتلة الوطنية، وسمح للصحف بالصدور، فعاد عمال المطابع إلى عملهم تلقائياً. وتحسّنت العلاقة مع موسكو، فخشيت إنكلترا من زيادة التقارب بين فارس وروسيا فأنزلت ثمانمائة جندي بريطاني في موانىء الجنوب في الثالث من شعبان ١٣٤١ هـ (٢٠ آذار ١٩٢٣ م).

بدأت تقع اغتيالات في قادة الكتلة الوطنية، وربما كان رضا خان خلفها لتثور حمية رئيس الحكومة على أنه من قادة الكتلة، ويستنجد بوزير الحربية لردع المجرمين، وليفسح المجال لنفسه بالتدخّل على أنه مسؤول كوزير للحربية وتتبع له قوى الأمن الداخلية، ولصلته أيضاً بقادة الكتلة الذين يتوقّعون منه كل مساعدة، وهذا ما يُهيّىء له الظهور والبروز.

اضطرت الحكومة إلى تقديم استقالتها في ٢ ذي القعدة ١٣٤١ هـ (١٥ حزيران ١٩٢٣ م).

حكومة مشير الدولة:

شكّل مشير الدولة حكومته في اليوم التالي لاستقالة سلفه، ولم تستطع تقديم شيء؛ فقامت المظاهرات، واضطر رئيس الوزارة إلى تقديم الاستقالة في ١٢ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٢ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، ولم يجد الشاه بُدّاً من أن يعهد إلى رضا خان برئاسة الحكومة.

حكومة رضا خان:

شكّل الحكومة في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، واحتفظ لنفسه بوزارة الحربية، كما سلّم وزارة الداخلية، ووزارة البرق والبريد إلى عسكريين. وكان من كبار وزرائه سليمان ميرزا الذي أُسندت إليه وزارة المعارف، ومحمد مصدق، وذكاء الملك، وصور إسرافيل.

فارس بعد إلغاء الخلافة

أُلغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) ولا تزال السلطة الاسمية بيد القاجاريين، وكان الشاه هو أحمد، ولكن السلطة الفعلية كانت بيد رضا بهلوي.

أُلغيت الخلافة وكان الناس في هذه الأقاليم قد ملّوا من الصراعات التي لا تنقطع بين القبائل، والحروب التي لا تنفكّ بين الأسر، بل إن أفراد الأسرة الواحدة ليثور بعضهم على بعض، ويُقاتل بعضهم بعضاً، وقد رأينا كيف كان الأخ يتمرّد على أخيه، والعمّ على ابن أخيه، والقائد على رئيسه، وكثيراً ما تدفع الأطماع أصحابها فيتحرك حاكم إقليمٍ ليضمّ إقليماً آخر إلى سلطانه، وقد أُبيدت أُسر كاملة تغلب على أمرها بيد أسرٍ علا شأنها. وربما استعان أهل إقليم بعدوٍّ مشتركٍ ضدّ أهل إقليمٍ ثانٍ، إذ كانت إنكلترا، وكانت روسيا، وفرنسا مدةً تحت طلب المتخاصمين تدعم هذا ضدّ ذلك، وتمدّ بالسلاح إقليماً ضدّ آخر، وأُسرةً ضدّ ثانيةٍ وقصدها أن تُفني بعضهم بعضاً بدافعٍ صليبيٍ أولاً، ولتحصل على بعض النفوذ ثانياً. وكانت النتيجة أن كره الناس القتال لما وقع في بلادهم، وتمنّوا الخلاص من الحروب على أيّة صورةٍ، وفي الوقت نفسه كرهوا حكامهم لما جرّوه عليهم، وفقدوا الثقة بهم لما حملوهم عليه، ولعدم اهتمامهم بهم.

وعندما يستعين شاه بعدوٍّ يُزيّن لشعبه صفات ذلك العدوّ، وأنه لا أطماع له، وإنما يُريد من وراء دعمه معاداة خصمه المستعمر المُنافس له، وهذا ما خفّف من كراهية الصليبيين عند المسلمين وقلّل من الحماسة

لقتالهم، ومن ناحية ثانية فإن المسلمين أصبحوا يرون الدول الصليبية متناغمةً شعوبها غير مختلفةٍ فيما بينها على عكس ما يحدث بين المسلمين، ومنصرفةً كلها إلى العمل لمصالحها خارج حدودها، وإن كنا نُسمّي ذلك استعماراً إلا أنه في صالح شعوبها، ولم يكن المسلمون يومذاك ـ مع الأسف ـ ليلتفتوا إلى الحقد الصليبي الذي كان يُحرّك تلك الدول النصرانية، وإنما يعدّونه استعماراً من أجل الاقتصاد واستغلال ثروات الشعوب الثانية. كما أن المسلمين لم يكونوا لينتبهوا إلى أن ما يُصيب المسلمين من ظلمٍ وحرب إبادةٍ من قبل المستعمرين يزيد أضعافاً مُضاعفةً على ما يُصيب بقية الشعوب فالحرب إنما مُوجّهة ضدّ المسلمين بالدرجة الأولى وهي صليبية اقتصادية بالنسبة لهم، واقتصادية فقط بالنسبة لغيرهم، ولكن تعليم النشء ومناهج التعليم في بلدان المسلمين كلها ـ مع الأسف ـ لا يعير الجانب الصليبي اهتماماً.

وكان سكان هذا الإقليم يرون ما يُصيبهم من إخوانهم المسلمين في بقية الأمصار يفوق ما ينالهم من أعدائهم الصليبيين فالحروب ما تنقطع بين الدولتين العثمانية والفارسية، والقتال بين الأفغانيين وجيرانهم لا ينتهي على حين لم تقع حروب بشدتها مع الفرنسيين، وكانت الحروب مع الإنكليز أخفّ شدّةً وأقلّ هولاً، أما الحروب مع الروس وإن كانت طاحنةً إلا أنها تنطلق من المناطق الإسلامية التي سيطروا عليها واستعمروها، والتي أخذ المسلمون ـ مع الأسف ـ بنسيانها، كما لم ينتبه المسلمون إلى ما يُثيره المستعمرون الصليبيون من إحنٍ بين الأقاليم الإسلامية بعضها ضدّ بعضٍ، وربما لم تقع حروب بين المسلمين إلا وكان خلفها النصارى.

وعلى الرغم من أن قادة هذه الأقاليم قد شعروا بالأثر الصليبي، ولعبة الدول النصرانية إلا أن أطماعهم كانت تُنسيهم هذا سريعاً، ويُخطّطون للاستعانة بهذه الدولة الكبرى أو بتلك. في سبيل تحقيق بعض ما في نفوسهم، غير أن هذه الاستعانة كثيراً ما كانت تُعطي فكرةً طيبةً عن

المساعدين بعضهم أعوان للمقاتلين، ويُحاربون عدوّاً واحداً على حين أن الأمر يقتضي أن يبقى المسلمون حذرين من أعدائهم إذ لا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمّةً ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

وكانت الوفود النصرانية التي تأتي إلى الأمصار الإسلامية والبعثات التي تصل إلى العواصم الإسلامية تقوم بعمل الدعاية لدولها، والمراحل العلمية التي قطعها العالم النصراني، وتُشكّك في إمكانات المسلمين، وقبولهم للحضارة، وحُكّامهم ووقوفهم في وجه التطوّر، وكذلك يُكلّفون إخوانهم بالعقيدة الذين يعيشون في ظلّ الحكومات الإسلامية بمتابعة مُهمّة الدعاية نفسها، فأدّوها تأديةً كاملةً بل وأضافوا إليها حقداً لم يُطفئه ما وجدوه من عناية المسلمين بهم طيلة العهد الإسلامي، ولم يُخفّف منه شيئاً الجوار والمعاملات التي استمرّت قروناً والتي يسمّونها الوطنية. وسرت هذه الشائعات في المجتمع الإسلامي لجهل المسلمين الذين أخذ يُخيّم عليهم، وللسذاجة التي أخذت تنتشر في بيئتهم.

وأخذت المستجدات العلمية تظهر فبهرت أنظار بعض المسلمين، وغدوا يرحلون إلى البلدان النصرانية، فيرون الجوانب الإيجابية، وتعمى عيونهم عن السلبيات إما لاهتمامهم بما ذهبوا إليه وإما لتمرّغهم مع أهل تلك البلاد في السلبيات التي راقت لهم فلوّثوا أنفسهم بها، واستمرؤوا تلك الحياة ورغبوا فيها وعندما رجعوا أصبحوا يميلون إلى نشر تلك السلبيات في

(1) سورة التوبة: الآيات ٧ ـ ١٠.

مجتمعهم وباسم التقدمية، والارتقاء، والحضارة والأسماء التي استعاروها من هنا وهناك.

ومن كل ما سبق قلَّت كراهية أعداء الله من نفوس المسلمين، ولم تعدْ غريبة في أوساط المستغربين فكرة التقارب، والتعاون، والاستنجاد بهم، ولو ضدّ مسلمين آخرين، وهكذا اهتزَّ الكيان الإسلامي بل لم يعد غريباً أن يكون في بعض الجيوش الإسلامية جنوداً ليسوا بمسلمين.

الفَصْل الأوّل

نهَاية القَاجَاريّين

ذكرنا أنه قد أُلغيت الخلافة ولا تزال الحكومة الاسمية بيد الأسرة القاجارية وأحمد شاه هو الحاكم الرمزي للبلاد.

وكانت قد تغيّرت السياسة الصليبية الاستعمارية حيث رأت الدول النصرانية أنها قد تمكّنت، وفرضت سيطرتها على كثيرٍ من أجزاء العالم، ولم تعد دولة قادرةً على الوقوف في وجه الصليبية العالمية، والعالم الإسلامي الذي كان يُخشى جانبه قد جُزّىء، وجثم على صدر كثيرٍ من أقاليمه الصليبيون، وإذا كانت هناك أمصار لم يدخلها الجنود النصارى إلا أنها غالباً ما تأتمر بأمر الدول الكبرى ذات النفوذ الواسع، لذا لم تعد الدول الصليبية الاستعمارية لتقبل مُسائلة حاكمٍ له مكانته وموقعه تُساعده من باب الندّ للندّ، وإنما ترغب في دعم من يُسير في فلكها من غير مُناقشةٍ، ويتلقى أوامرها من غير تردّدٍ، وفي الحالة التي لا يقبل فيها حاكم هذا التصرّف يُزاح من مكانه، ويُؤتى بآخر تتوفّر فيه هذه المواصفات، وطيّعاً ومُروّضاً مُعدّاً للركوب، سهل الانقياد.

كما أن بعض الدول الكبرى وخاصةً إنكلترا لم تعد ترى من الجدوى حكم مستعمراتها أو مناطق نفوذها بجنودٍ إنكليز، فهذا إضافةً إلى التكاليف الباهظة، وإن كانت غالباً ما تُؤخذ هذه المصروفات من المستعمرات إلا أنها تدفع الكثير، وإن أولياء أمور الجنود وذويهم كثيراً ما يضجّون لبعد أبنائهم عنهم حيث أنهم لا يعرفون عنهم شيئاً، ولم تكن المواصلات والاتصالات بالصورة التي تراها اليوم رغم تقدّمها وتطوّرها النسبي في تلك

الأيام. ومن ناحية ثانية فإن وجود قواتٍ أجنبيةٍ على أرض بلدٍ ما يجعل أهلها يلتقون حول هدفٍ واحدٍ هو إخراج هذه القوات، ويلتقي بعضهم مع بعض، وينسون ما بينهم من خلافات، لذا رأت الدول الصليبية المستعمرة أنه من الأفضل إليهم الخروج من مستعمراتهم عسكرياً بعد تهيئة من يقوم مقامهم من أبناء البلاد، وتوجيههم التوجيه الخاص، وتكليفهم بما يريدون فعله هم، ويُمنّونهم ويعدونهم، ويعتمدون أكثر من جهةٍ ويجعلون المنافسة بينهم، فمن كان أكثر طواعيةً لهم، وأقدر على تسيير الأمور أخذ، وإذا ما تعثّر واحد استُبدل بمنافسه، وإذا ما قلّ تبدّلت الوجوه، ويدعمون من يعتمدون، ثم يثيرون الأضغان والأحقاد بين الفئات، وبين الطوائف، وبين الطبقات، وبين... ورأوا أنه من المصلحة أن يكون الحاكم مُستبداً طاغيةً لا يستطيع أحد أن ينتقد، أو يرفع رأسه، فإذا ما رفعه أُطيح فليس هناك من يُنبّه الشعب إلى الطريق التي يجب أن يسلكوها، ولا يُبيّن لهم الدرب التي يأخذهم بها المسؤول، وإنما يوجد من يُضلّلهم، ويُوجّههم إلى أهداف المستعمر من حيث لا يدرون، يُزيّن لهم النظرة المادية، والتحلّل من قيود الشريعة، والانفتاح نحو الحياة البهيمية وإيجابيات ذلك، ويُزخرف لهم الانطلاق نحو المتعة، وفي حالة الابتعاد عن ذلك تكون الحياة الرجعية وما فيها من كبت، وعقدٍ تلازم الإنسانية. وعندما لا يتوفّر المستبدّ صاحب الإمكانات لا يوجد أفضل من الحكم العسكري، الذي امتازت به الدول المتخلّفة أو التي أُطلق عليها اسم النامية تقديراً لمشاعر أهلها ـ حسب زعمهم ـ.

لم تكن الأمصار الإسلامية بحدودها اليوم قائمةً كما هي، وإنما كانت هناك أقاليم معروفة، وعلى كل إقليمٍ أمير يتبع مركز الخلافة ويرتبط به، يتلقّى منه التوجيهات، وينفّذ الأوامر. وعندما ضعفت الخلافة، ونشأت الولايات والإمارات المنفصلة أصبح الحاكم يُسيطر على ما يستطيع من أرض، ويعدّها ضمن ولايته، وغالباً ما تُعرف تلك الدويلات باسم مؤسّسها الأول أو أسرته، فيقال: الدولة الطاهرية، والصفّارية، والسامانية، والغزنوية

و.... وربما في أحيانٍ قليلةٍ كانت تأخذ اسم المنطقة فيقال: دولة خوارزم، وخيوة، وغزنة و....

وجاءت مرحلة الصراع بين المتنفّذين، إذ يضمّ كل مُتنفّذٍ ما يستطيع أن يضمّه إليه، فتجد هذا الإقليم تارةً بيد الأفغان، وأخرى بيد الأوزبك، وثالثة بيد الفرس، وهكذا حتى ظهرت الدول الحديثة في المرحلة الأخيرة، وثبتت حدودها حسب الأقاليم التي كانت تُسيطر عليها. فشملت إيران الأقاليم المعروفة بأسماء: فارس، والأهواز، وهمدان، وجزءاً من كردستان، وأذربيجان، وجزءاً من موقان، وجيلان، وبلاد الجبل، وطبرستان، وقومس، وجزءاً من جرجان، وجزءاً من خراسان، وقوهستان، والمفازة الكبرى، وكرمان، وجزءاً من مكران، وليس سكان هذه الأقاليم كلهم من الفرس بل هناك العرب، والكرد، والترك، والبالوخ، وكذلك فهي لا تشمل الفرس جميعاً إذ أن هناك أعداداً منهم في بلاد الأفغان، وبلاد الطاجيك، وأقليات صغيرة متناثرة في البلدان المجاورة، ومع ذلك فقد كانت هذه الأقاليم تنضوي تحت فارس حتى سيطر رضا خان وأعطاها اسم (إيران).

كان أحمد شاه من الأسرة القاجارية ملك البلاد عندما أُلغيت الخلافة، وكان منصرفاً إلى اللهو، أما المتصرّف بشؤون البلاد فهو رئيس الوزراء رضا بهلوي، ويتلاعب بالكتل النيابية كما سنرى في فصل الصراع الحزبي، ويبقى هو المهيمن على الوضع، واستمرّ ذلك حتى شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٤ هـ (تشرين الأول ١٩٢٥ م)، حيث اختارته الجمعية التأسيسية ملكاً على البلاد، وأزاحت أحمد شاه، وتمّ تتويج رضا بهلوي ملكاً على البلاد في ١٣ شوال ١٣٤٤ هـ (٢٥ نيسان ١٩٢٦ م)، وبذا زال القاجاريون، ودالت دولتهم، وجاءت الأسرة البهلوية.

حكومة رضا خان:

سبق أن ذكرنا أن الشاه لم يجد بدّاً من أن يعهد برئاسة الحكومة إلى

رضا خان فتشكّل وزارته في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٢ هـ (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣ م)، وأخذ يبسط نفوذه على البلاد تدريجياً، ويستبدّ بشؤونها، فلا يترك صوتاً يُسمع سوى صوته.

أصدر بياناً في ٣ ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ م) حذّر فيه من الاتصال بالأجانب. ثم أجبر الشاه على السفر إلى أوربا، وأخذ من ولي العهد تعهداً بعدم التدخّل بشؤون الدولة فخلا له الجو، وأخذ بتنفيذ كل ما يُخطّط ويحلو له.

في ٢٧ شعبان ١٣٤٢ هـ (٢ نيسان ١٩٢٤ م) بدأت الانتخابات للمجلس النيابي الخامس، وباشرت الحكومة الضغط والتزوير حتى فاز أعوان رضا خان، وبدأ الإنفاق بسخاء على الصحافة في طهران لترفع من شأن المستبدّ الجديد، وتجعل مكانه فوق مكان أي مخلوق، فهو القائد الملهم، والرجل الوحيد في البلاد.

انشقت الكتلة الوطنية إلى قسمين فكان جناح اليمين بزعامة محمد تدين، وقد عُرف بحزب التجديد. وكان جناح اليسار برئاسة سليمان مرزا، وعُرف بحزب الاشتراكيين، ويمثّل المدرس جناحاً خاصاً. أما حزب التجديد فقد أصبح حزب رضا خان، وفاز بثلاثة وأربعين مقعداً في الانتخابات، على حين فاز الاشتراكيون بأربعة عشر مقعداً، وحصلت جماعة المدرس على عشرين مقعداً.

أخذت الصحافة تُهاجم الشاه ونظامه، وتفضح استهتاره، ولهوه، وخلاعته، ومجونه، وتقليده للأوربيين، وتُوجّه الأنظار نحو النظام الجمهوري وإيجابياته، ونظام الشاه وسلبياته.

بدأ الصراع الحزبي داخل المجلس النيابي حسب المخطط الذي وسمه رئيس الحكومة رضا خان، فكان حزب التجديد يُعدّ حزب الحكومة على حين يقف في صف المعارضة الاشتراكيون وجماعة المدرس.

وقف علماء الشيعة ضد النظام الجمهوري، وسيّروا مظاهرات أبدت سخطها على النظام الجمهوري، وهتفت ضدّ رضا خان. وأحسّ رئيس الحكومة بضعف حزبه (التجديد) أمام قوة علماء الشيعة لذا رأى أنه لا بدّ من مسايرتهم ومساومتهم، وإظهار عطفه عليهم، وتوجّهه نحو الدين، فأنزل عقوبةً بإحدى الصحف التي تعرّضت لأحد العلماء، وأعلن أن العقوبة ليست سوى جزاءٍ أولي، وتنبيه للآخرين ممن يُفكّرون بالتعرض لرجال الأمة الذين هم علماؤها فقط. كما فرض عقوبةً أخرى على صحيفةٍ دعت المرأة إلى السفور، والتحرّر من تلك العادات الرجعية والتي يُسمّيها بعضهم قيماً. وانتقل هو إلى مدينة (قم)، والتقى بالعلماء هناك، وأبدى احترامه لهم، وصار بعدها يتحدّث بالإسلام، وراحت الصحف حسب توجيهاته تهاجم النظام الجمهوري إرضاءً للعلماء.

أبدى رئيس الحكومة عزوفه عن الحكم، وأنه يرغب في تركه، والحياة بقية عمره في (النجف) أو (كربلاء)، ولكن أعوانه أقنعوه بالعدول عن هذه الفكرة، وعدم الخروج من البلاد فإنّها بأشدّ الحاجة إليه، ومن واجبه خدمتها بعد أن قدّم الكثير من أجلها، وضحّى بالكثير في سبيلها، وأن عمله هذا لا يقلّ عن الجهاد.

أظهر رئيس الحكومة أنه امتثل لرأي المخلصين، وأنه لن يغادر إيران لحاجتها لخدماته، ولكنه سيستقر في قرية على مقربة من طهران.

عقد المجلس النيابي اجتماعاً فوصلت إليه برقية من الشاه أحمد يعلمه أنه قد سحب ثقته من رئيس الحكومة رضا خان، فردّ المجلس عليه ببرقية تشعره أن ثقة المجلس التامة يمنحها لرئيس الحكومة وبصورة مطلقة، وهذا ما جعل الشقاق يتسع بين الطرفين فالشاه يريد أن يتخلّص من رضا خان بأية وسيلة، ورضا خان يعمل بخطاً سريعة لإنهاء الحكم القاجاري.

تشكّل وفد من المجلس النيابي لمقابلة رئيس الحكومة وإقناعه

بضرورة العودة إلى مقر عمله، فأعلم رضا خان الوفد أنه يعلم ضرورة وجوده للبلاد، وأنها بأمسّ الحاجة إلى خدماته وخاصةً في هذه المرحلة التي تمرّ بها، وفي النهاية رجع إلى مقر رئاسة الحكومة، وأعاد تشكيل الوزارة من جديد.

حكومة رضا خان الثانية:

أدخل في هذه الوزارة عناصر جديدة مثل: مشاور الدولة، ومستشار الدولة، ومحمد علي فروغي، ومعتضد السلطنة، وأبعد عنها محمد مصدق، وسليمان مرزا.

أبعد رضا خان عن الشرطة والقضاء العناصر غير الموالية له.

كان قد عقد اتفاقيةً مع شركة (سنكلر الأمريكية)، ومنح هذه الشركة بموجب هذه الاتفاقية حقّ استغلال نفط الشمال، وأبدى رغبته بالتخلص من السيطرة الاقتصادية الروسية والبريطانية وذلك عن طريق التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومنح عدة شركاتٍ أمريكيةٍ عدداً من الامتيازات مثل مدّ السكك الحديدية، وطرق السيارات.

وقفت شركة الإنكلو- إيرانية وستاندرد أويل الأمريكية في وجه هذه الاتفاقية، وعدتها غير قانونية لأنهما كانتا قد أخذتا حق استغلال نفط الشمال.

ثارت قبائل الغرب والجنوب ضد الحكومة.

قُتل وكيل السفير الأمريكي في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٢ هـ (١٨ حزيران ١٩٢٤ م)، فاتهم رئيس الوزارة القاجاريين بأنهم وراء هذه الجريمة، كما اتهم البريطانيين.

وفتح الباب أمام المصالح الألمانية، فاستطاعت ألمانيا بسرعة أن تحل مواقعها التي كانت تحتلّها قبل الحرب العالمية الأولى.

وزارة رضا خان الثالثة:

عاد رئيس الحكومة ليرتمي مرةً ثانيةً في أحضان بريطانيا فأجرى تعديلاً وزارياً على حكومته، حيث أدخل في الوزارة نصرت الدولة أحد رجال المعارضة والذي سبق له أن تسلّم وزارة الخارجية في عهد وزارة وثوق الدولة عام ١٣٣٧ هـ. وأسند حقيبة وزارة الداخلية إلى أحمد قوام الدولة وكلا الرجلين من مؤيّدي السياسة البريطانية، وكان هذا التعديل في مطلع عام ١٣٤٤ هـ (آب ١٩٢٥ م).

وسّع رئيس الحكومة أعمال الشركة الأنكلو- إيرانية في الجنوب، ومنح شركة طيران الإمبراطورية البريطانية حق استخدام الأجواء الإيرانية فكانت الرحلات تتخذ طريق لندن- القاهرة- طهران- كراتشي. وأخذت العلاقة تفتر مع روسيا التي أعلنت أنها لا ترغب التدخل في الشؤون الإيرانية. أما بريطانيا فإنها تخلّت مقابل ذلك عن حليفها الشيخ خزعل المستقل في منطقة عربستان (الأهواز) وهذا ما جعل رضا خان يتمكن من الانتصار على الشيخ خزعل ويدخل منطقته، كما انتصر على الحركة في كردستان التي يتزعمها (سمكو).

قام رئيس الوزارة بزيارة للنجف وكربلاء، وعندما عاد أعلن أمام المجلس النيابي بتاريخ ١٥ رجب ١٣٤٣ هـ (٨ شباط ١٩٢٥ م) عن عدم إمكانية استمراره في العمل مع القاجاريين، وأعطى المجلس النيابي مهلة لأربعة أيام للنظر في الموضوع، وربما اضطر بعدها إلى ترك الأمر للشعب ليحكم، وليُعطي رأيه في هذا الموضوع. وقبيل انتهاء المدة أي في ١٩ رجب أصدر المجلس النيابي قراراً يتألف من مادةٍ واحدةٍ، وهي: حصر القيادة العليا لجميع قوى الدفاع بيد رضا خان ومنحه الصلاحيات الكاملة لإنجاز واجباته في حدود الدستور وقوانين الدولة المرعية، ولا يجوز سحب هذه الصلاحيات منه دون موافقة المجلس. وذلك لأن رضا خان كان قد قرّر

في نفسه إنهاء الحكم القاجاري، وأخذ يُذلّل الصعاب أمامه للسير في هذا الدرب.

وفي ٢٤ رجب أمر بتأليف لجنة من المجلس النيابي تضمّ اثني عشر عضواً لمساعدته في شؤون الحكم.

وفي ١٠ شوال ١٣٤٣ هـ (٣ أيار ١٩٢٥ م) أمر جميع مؤسسات الدولة بمخاطبته في المراسلات الرسمية باللقب الجديد الذي اختاره لنفسه وهو «بهلوي» أي صاحب الجلالة.

وقام في ١٧ ذي القعدة ١٣٤٣ م (٨ حزيران ١٩٢٥ م) بزيارة أذربيجان لضمان تأييدها ومعرفة وضع السكان عن قرب.

ولما رأى الوضع لصالحه أخذ يُهاجم الأسرة القاجارية وخاصةً الشاه، وولي عهده، ولكن لم يلبث أن تلقّى في ٢٨ صفر ١٣٤٤ هـ (١٦ أيلول ١٩٢٥ م) برقيةً من الشاه تفيد بقرب عودته إلى بلده العزيز. فأجابه بشيء فيه الترحيب ويتضمن الكثير من السخرية، وأنه بانتظاره في الميناء الحدودي الذي يُحدّده ليُرحّب به.

وجاءت سنة عجفاء، فكان الموسم رديئاً فنقص إنتاج القمح، ولم يتوفّر الخبز في الأسواق، وأخذ الناس يموتون جوعاً، فاستغلّ خصومه من القاجاريين ومؤيديهم هذا الوضع، وسيّروا المظاهرات التي كانت تهتف الشاه والخبز. ووجدها رضا بهلوي فرصةً سانحةً له للتخلص من مُعارضيه، فأمر باعتقال كبار قادة المظاهرات فتمّ اعتقال ثمانمائة شخص، وأعاد منصب الحاكم العسكري وكان قد ألغاه منذ مدةٍ وجيزة. وأوعز لأعوانه بالمناداة به قائداً للبلاد، وخلع الشاه، واستلامه مكانه، وانضمّ إلى هؤلاء المؤيدين الزرداشت، والأرمن، واليهود.

خشي رضا بهلوي أن تكون بريطانيا وراء الشاه، وهي التي تُحرّضه للعودة إلى البلاد، وأن تدعمه ليتخلص من خصمه رضا بهلوي، وفي

الوقت تتخلّص هي من تلك الألاعيب التي يمارسها رئيس الوزارة، فاستدعى وزير الخارجية الإيراني مرزا حسن مشاور السفير البريطاني وفاتحه بالموضوع، وطلب منه الاستفسار من حكومته، وأن يعلمها أن رئيس الحكومة المتسلّم للسلطة في إيران لا يمكنه أن يخرج عن رأي حكومة صاحبة الجلالة فإن رأت تركه للحكومة، تركها فوراً سعيداً، وأقام حيث تريد. وجاء الجواب بأن بريطانيا لا ترغب بالتدخل في شؤون الدول الصديقة، فاطمأن رضا بهلوي على نفسه، وتابع سيره في دربه.

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٤ م (٢٩ تشرين الأول ١٩٢٥ م) قدّم نائب رئيس المجلس النيابي محمد تدين زعيم حزب التجديد نداءً مُوقّعاً من ستةٍ وسبعين نائباً جاء فيه: نظراً لاستياء الشعب من الأسرة القاجارية فإنه يعلن باسم الشعب خلع تلك الأسرة، ويعهد بإدارة البلاد إلى رضا خان بهلوي في إطار الدستور والقوانين المرعية.

وفي ١٤ ربيع الثاني ١٣٤٤ م (٣١ تشرين الأول ١٩٢٥ م) جرى التصويت على هذا الاقتراح فحصل على ٨٠ صوتاً مقابل خمسة أصوات، وقد ترك المدرس القاعة، وطالب تقي الدين زادة بتأليف لجنةٍ لدراسة الاقتراح، أما محمد مصدق فقد عارض الاقتراح بجرأة.

وقرر المجلس إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ كردٍّ على الاقتراح، واستفتاء لرأي الشعب، وفي الوقت نفسه أُلزم ولي العهد مع عددٍ من أفراد الأسرة القاجارية على السفر، ونُقلوا إلى الحدود العراقية، وأعلن رئيس الحكومة عن عطلة الدولة لمدة ثلاثة أيام، وأمر بتخفيض سعر الخبز، ومنع بيع المسكرات لإرضاء أهل العلم، وجعلهم يقفون بجانبه ضدّ الشاه.

حكومة محمد علي فروغي الأولى:

كلّف رضا خان بهلوي وزير ماليته محمد علي فروغي في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٤ م (٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ م) بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ للإشراف

على الانتخابات، وأصبح هو فوق رئاسة الوزارة أو في طريقه لاستلام الدولة رسمياً.

وفي ٢١ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ افتتح رضا خان بهلوي المجلس النيابي الجديد.

وفي ٢٧ جمادى الأولى قرّر المجلس إنهاء حكم الأسرة القاجارية، وانتخاب رضا خان بهلوي شاهاً جديداً، وجرت عملية التصويت ففاز القرار بمائتين وسبعٍ وخمسين صوتاً مقابل ثلاثة أصوات من الاشتراكيين.

وفي ٣٠ جمادى الأولى أقسم رضا خان بهلوي اليمين الدستورية كشاهٍ للبلاد، وفي اليوم التالي دخل قصر «كلستان» كملك.

ودالت دولة القاجاريين بعد حكمٍ دام مائةً وأربعةً وثلاثين عاماً، وأربعة أشهرٍ وعدة أيام.

الفصل الثاني

الأسرة البهلوية

١ ـ رضا بهلوي

(١٣٤٤ ـ ١٣٦٠ هـ) (١٩٢٥ ـ ١٩٤١ م)

لم يحكم من الأسرة البهلوية سوى اثنين: رضا بهلوي وابنه محمد رضا، ودام عهدهما ما يقرب من ستةٍ وخمسين عاماً ١٣٤٤ ـ ١٣٩٩ هـ.

انتخب رضا بهلوي شاهاً من قبل مجلسه النيابي في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ، وبعد ثلاثة أيامٍ أقسم اليمين الدستورية، ودخل قصر «كلستان» في اليوم التالي. ولبس التاج في ١٣ شوال ١٣٤٤ هـ (٢٥ نيسان ١٩٢٦ م).

اعترفت بريطانيا مباشرةً بالعهد الجديد، وفي اليوم الثاني اعترفت روسيا، ورفعت التمثيل بينهما إلى درجة سفارة، وكانت إيران قد اشترت كمياتٍ من القمح الروسي في الموسم المنصرف نتيجة الموسم السيء الذي تعرّضت له إيران، وبعد يومٍ واحدٍ من اعتراف روسيا بنظام رضا بهلوي اعترفت به كل من: الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، وإيطاليا، وبلجيكا، والدولة الوحيدة التي تأخّر اعترافها نسبياً هي فرنسا.

لم يجر رضا بهلوي تغييراتٍ واسعةً في نظام حكمه، فمعظم القاجاريين بقوا في الداخل، واستمروا في خدمة البلاد في ظلّ العهد الجديد، وربما ارتفعت مكانة بعضهم، وإن بقيت مكانة الكثيرين منهم كما هي.

كانت الأضواء تُسلّط على رضا بهلوي أنه مُحرّر من كل القيم، فلا تُقيّده رواسب وخلفيات من الماضي كتلك التي يعتقد بها الرجعيون، وأنه علماني، مرتبط بسلك مع الحضارة العالمية الغربية، ولم يقتصر هذا على الصحافة الإيرانية المضطرة أحياناً إلى ذلك بل تعدّى هذا إلى الصحافة الأجنبية صاحبة العلاقة وإلى الصحافة العربية والإسلامية حيث كان سادة كثيرٍ من تلك البلدان يسير في الفلك نفسه، وعلى المنهج ذاته.

حكومة محمد علي فروغي:

كلّف الشاه الجديد وزيره محمد فروغي في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٤٤ م (١٩ كانون الأول ١٩٢٥ م) بتشكيل أول حكومةٍ في عهد الأسرة البهلوية.

ولكن بقي رضا خان هو المسيطر على الوضع، المستبد بالبلاد، ويربط جميع الأمور بيده مباشرةً، وليس هنالك من يسأله، ولا يمكن لأي فرد في المجلس أن يُعارض الأمور التي يبدي رضا خان رأيه فيها، أو القضايا الجوهرية، وإنما يمكنه مناقشة الأمور الثانوية التي ليست بذات أهمية وهذه هي الحدود المرسومة عُرفاً للمجلس النيابي.

كان طاغيةً لا يبالي بأحدٍ، يذهب إلى الوزارة فيرتعد الوزير أمامه، ويأمر فتُنفّذ أوامره مباشرةً، وينهى فلا يخالف، وغالباً ما يستعمل يده بالضرب فيما إذا شعر بتوانٍ في تنفيذ طلباته أو أي تلكؤ.

أمر الشاه رضا بهلوي بالتخلّي عن اللباس الإيراني التقليدي وارتداء الزي الإفرنجي، وأبدى التحلّل من الدين، وظهرت نساؤه الثلاث سافراتٍ عام ١٣٤٦ هـ، بل أمر الشرطة بنزع الحجاب عن وجوه النساء، كإظهارٍ لفكره ومنهجه إرضاءً للدول الأجنبية صاحبة السيادة، وتحقيقاً لما تصبو إليه نفسه أيضاً. واضطر علماء الشيعة الإذعان إلا والد الخميني الذي كان يُقيم في مدينة (قم) فذهب إليه الشاه الجديد بنفسه، وضربه حتى أسكته.

تنازل سراً كل من رئيس الوزراء (موزوجي) ورئيس مجلس النواب (اصفنديارى) عن منصبيهما، كما أعلن الشاه التنازل عن ملكه، وكانوا حتى هذا اليوم يصرّون على مناصبهم، ويعدّون رضا خان معتدياً لا بدّ من ردعه عن غيّه، وإعادته إلى رشده، ورجوع كل صاحب منصبٍ إلى منصبه.

أعمال رضا خان:

اعتمد رضا خان على الجيش لذلك أولاه اهتمامه الخاص، وقام بـ:

١" ـ طبّق التجنيد الإلزامي.
٢" ـ أسّس كلية الأركان.
٣" ـ أرسل الضباط إلى فرنسا للتخصص.
٤" ـ خصّص الأموال الكثيرة لشراء الأسلحة والعتاد.

واتبع سياسة الإرهاب فاستطاع أن يقضي على المعارضة كلها.

مهّد الطرق، وفتح الشوارع، ومدّ الخط الحديدي من (بندر شاه) على بحر قزوين إلى (بندر شابور) على الخليج العربي بطول ١٤٠٠ كيلومتر.

افتتح جامعة طهران عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

دعا إلى إلغاء الحجاب.

اعتمد على القانون الفرنسي.

عمل على الحدّ من نفوذ رجال العلم.

اهتم بالجانب الاقتصادي، فزاد عدد الشركات الصناعية فغدا في عام ١٣٥١ هـ عدد الشركات تسعمائة وثلاثين شركةً، ووصل عام ١٣٦١ هـ إلى ألف وتسعمائة واثنتين شركة، وفي الوقت نفسه زاد رأسمال الشركات العاملة في القطاع الاقتصادي.

وأسّس المصرف الوطني عام ١٣٤٧ هـ، وجعل له فرعاً زراعياً عام ١٣٤٩ هـ، ثم أنشأ المصرف الزراعي الحكومي عام ١٣٥٠ هـ.

وبدأ إنتاج النسيج يتزايد وخاصةً في أصفهان، وشيراز، والأهواز، ومشهد، وكاشان، ويزد، وطهران.

وأسس ثمانية معامل للسكر.

واهتمّ بالتعليم، ولكن لم يكن ذلك الاهتمام بالمستوى المطلوب. كما بذل جهداً على تحضير البدو. وأعطى البريطانيين امتيازاتٍ واسعةً للتنقيب عن النفط في البلاد.

ومع كل هذا بقي الفقر، والجهل، والاضطهاد سمة عهد رضا خان.

السياسة الخارجية:

وقعت أحداث دولية مهمة أثرت على سياسة إيران الخارجية بعد الحرب العالمية الأولى ومنها:

١" ـ سقوط نظام الحكم الروسي القيصري إبان الحرب العالمية الأولى، وقد كانت لذلك النظام امتيازات واسعة في إيران، وقام مكانه نظام يُخالف نظام الحكم في إيران اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، كما زاد الخلاف العقيدي القائم من قبل، وقد زاد توتراً بدخول عنصر الإلحاد الذي يفوق العنصر الصليبي إن لم يكن حاقداً.

٢" ـ اختفاء الدولة العثمانية فزالت الأطماع بالامتداد والتوسّع نحو الشرق وخاصةً في منطقة عربستان في الجنوب، وفي منطقة أذربيجان في الشمال.

٣" ـ هزيمة الألمان الذين أخذ نفوذهم يدخل إلى إيران قبل الحرب العالمية الأولى.

٤" ـ ظهور الولايات المتحدة كدولة قوية، يمكنها دخول الساحة السياسية والاقتصادية ومنافسة الدولة الأوروبية ذات النفوذ في إيران وهي بريطانيا.

كان رضا خان ينظر إلى السياسة الدولية ويحاول السير في ظلال الدولة الصاعدة من غير أن يترك الدولة التي كان على وئام معها أو ذات النفوذ السابق.

أولاً: مع بريطانيا:

عقدت إيران معاهدةً مع بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى وذلك في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م)، وقد حققت هذه المعاهدة لبريطانيا حق الهيمنة الفعلية على أهم مرافق الحياة في إيران، ومن أهمها المؤسسات المالية والعسكرية. وقد نقم السكان على الشاه من أجل هذه المعاهدة، وكانت انتقادات واسعة لها، وحركات وطنية كان لها دور في دخول رضا خان دائرة الساحة السياسية. كما اعترضت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على هذه المعاهدة.

فلما جاء رضا خان إلى السلطة كان متأثراً بـ:

١" ـ أثر بريطانيا في وصوله إلى السلطة.

٢" ـ نفوذ بريطانيا في البلدان المجاورة.

٣" ـ صلة بريطانيا برجال القبائل الإيرانية.

ولذا كان يعمل دائماً على إرضائها، مع العلم أنه كان هناك تيار معادٍ للبريطانيين، لذا كان على رضا خان أن يخفي قدر إمكاناته توجهه السياسي الصحيح إضافة إلى الضغوط التي يُمارسها ضدّ المعارضين للنفوذ البريطاني.

اتخذ رضا خان قراراً عام ١٣٤٧ هـ يقضي بإلغاء الامتيازات الأجنبية، ولكن بقيت مصالح بريطانيا النفطية في مأمن. وعاد فعقد في العام التالي اتفاقيةً جديدةً مع بريطانيا سوّت الخلافات القائمة بين الدولتين، ومنحت البريطانيين ضماناتٍ لحقوقهم وتعويضاً عن امتيازاتهم السابقة.

وأعقب ذلك أيضاً اتفاق جديد منح طائرات الخطوط البريطانية حق

الهبوط على الشواطئ الشرقية للخليج العربي، ومع هذه التنازلات الإيرانية إلا أنه بقيت نقطتا خلاف بين الطرفين وهما:

١ ـ البحرين التي كانت إيران تُطالب بها بريطانيا، وتدّعي أنها جزء منها، وتريد أن تسلخها من أصلها العربي، وتزعم أنها الإقليم الإيراني الرابع عشر. وقد رفضت بريطانيا مسايرتها حرصاً على مصالحها مع البلدان العربية.

٢ ـ امتيازات النفط: أخذت انكلترا تناور لتقليص عائدات إيران من النفط حتى بقيت عام ١٣٥٠ هـ (٣٠٧,٠٠٠ جنيه فقط) على حين كانت عام ١٣٤٩ هـ أي قبل عام واحد فقط (١,٢٢٠,٠٠٠ جنيه) لذا فقد أعلن رضا خان في شهر رجب ١٣٥١ هـ (تشرين الثاني ١٩٣٢ م) فسخ امتياز شركة النفط الإنكلو- إيرانية فاضطرت الشركة إلى التراجع، والدخول في مفاوضاتٍ مباشرةٍ مع الحكومة الإيرانية، ولكن تعثرت هذه المفاوضات، فعرض رضا خان الموضوع على عصبة الأمم، ثم توصّل الطرفان إلى اتفاقٍ جديدٍ بتاريخ الخامس من محرم ١٣٥٢ هـ (٢٩ نيسان ١٩٣٣ م)، ورغم الضجة التي أثارها الحكم الإيراني على الشركة فإن الاتفاق الجديد قد جاء لمصلحة شركة النفط، إذ كان امتيازها قديماً ينتهي (عام ١٩٦١ م) فأصبح انتهاؤه عام ١٩٩٣ م) حسب الاتفاق الجديد، كما كان للشركة الحق بالإشراف على إذاعةٍ خاصةٍ، وتأسيس المدارس الخاصة بموظفيها، وفي إنشاء جهاز شرطةٍ خاصٍ بها، وهذه حقوق احتفظت بها من السابق، ولكن استفادت بهذا الاتفاق إعفاءها من ضريبة الدخل الحكومية. وحصلت إيران مقابل ذلك على زيادةٍ جزئيةٍ من دخل مواردها النفطية.

جرى بعض النقد لهذا الاتفاق الجديد، وتم توضيح المستفيد الحقيقي منه فكانت النتيجة أن ألقي القبض على (تيمور تاش) وزير البلاط السابق، وعلى (أسد البختياري) وزير الحربية الأسبق، ولقيا حتفهما في السجن، ولم يجرؤ أحد غيرهما على النقد.

وأعلن رضا خان في المجلس النيابي أن العلاقات مع بريطانيا في تحسّنٍ دائم.

وفي ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ (٤ تموز ١٩٣٧ م) جرى اتفاق مع العراق تنازل فيه العراق عن جزءٍ من شط العرب قرب عبادان، وتقدر هذه المسافة بـ ٧٧٥٠ متراً.

وفي ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ (٨ تموز ١٩٣٧ م) وقع اتفاق (سعد آباد) لمدة خمس سنوات بين كلٍ من: تركيا، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وشمل هذا الاتفاق عشرة بنودٍ، تؤكد على المحافظة على الصداقة بين هذه الدول، وأهم بنود هذا الميثاق:

المادة الأولى: الامتناع المطلق عن أي تدخلٍ في الشؤون الداخلية بين الفرقاء المتعاقدين.

المادة الثانية: مراعاة حرمة الحدود المشتركة.

المادة الثالثة: ضرورة التشاور فيما يخص كل الاختلافات التي لها صبغة دولية، ولها علاقة بمصالحهم المشتركة.

المادة الرابعة: عدم اللجوء إلى أي تعدٍّ موجّهٍ إلى أحدٍ منهم.

المادة الخامسة: الاستعانة بمجلس عصبة الأمم لحلّ مشكلاتهم المستعصية.

المادة السابعة: التعاون لضرب الحركات المعادية في المناطق الحدودية.

ووقّعت الدول الأعضاء في الميثاق على اتفاقٍ ينصّ على تأليف مجلسٍ مشتركٍ يضمّ وزراء خارجية الدول المؤتلفة، على أن يجتمع مرةً واحدةً على الأقل في السنة. وقد اجتمع المجلس للمرة الأولى والأخيرة أيام عقد الميثاق.

ثانياً: مع روسيا:

بعد أن قامت الثورة الشيوعية في روسيا في الأول من المحرم عام ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول عام ١٩١٧ م) تنازل العهد الجديد عن كل الامتيازات التي كانت لروسيا خلال العهد القيصري الذي زال، وكان هذا التنازل كي لا تقف إيران إلى جانب الحركات المضادة التي قامت ضدّ الشيوعية والتي سيطرت على مناطق واسعةٍ من روسيا والمناطق الخاضعة لها، والتي كان منها ما يجاور الحدود الإيرانية.

عادت العلاقات إلى التوتر بين إيران وروسيا بعد توقيع المعاهدة بين إيران وبريطانيا في ١٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ (٩ آب ١٩١٩ م)، وذلك أن روسيا قد شعرت أن إيران تنازلت كثيراً لبريطانيا، وأن روسيا قد غدت بعيدةً عن كل أثرٍ في الدولة المجاورة للمناطق التابعة لها من جهة الجنوب، على حين تقدّم النفوذ البريطاني نحو الشمال باتجاه روسيا.

ثم وقّعت معاهدة صداقةٍ بين الطرفين في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م) تنازلت فيها روسيا لإيران عن جميع امتيازاتها بما في ذلك القروض، والمواصلات، كما تعهدت بعدم التدخل في شؤون إيران الداخلية، والتزمت كذلك بسحب القوات الروسية المتبقية كلها في إيران، وأنها ستعود إلى مواقعها فيما إذا تعرّضت إيران لغزوٍ خارجي ولم تستطع صدّه.

ولكن لم تلبث أن عادت العلاقات للتوتر مرةً ثانية، وذلك لأن إيران منحت شركة (ستاندرد أويل) الأمريكية حق استغلال النفط في المناطق الشمالية، وهي (أذربيجان ـ مازندران ـ جيلان ـ استراباد ـ خراسان) احتجّت روسيا على هذا الامتياز، وقالت إن البند الثالث عشر من معاهدة الصداقة الإيرانية ـ الروسية يحول دون هذا المنح، واضطرت إيران إلى سحب ذلك الامتياز الذي منحته لشركة النفط المذكورة.

وفشلت الجهود من أجل عقد اتفاقيةٍ تجاريةٍ عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) بين إيران وروسيا. ولكن عُقدت معاهدة جديدة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) تشبه إلى حدٍ كبيرٍ معاهدة الصداقة التي عقدت بين الجانبين في ١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٢١ م)، وأخذت التجارة تنمو بين الدولتين. غير أن مدّ الخط الحديدي بين (بندر شاه) على بحر قزوين وبين (بندر شابور) على الخليج العربي قد جعل روسيا تسيء الظنّ بالسياسة الإيرانية إذ عدّت أن مهمة هذا الخط تسهيل صادرات الشمال عن طريق الخليج العربي بدلاً من تصديرها إلى روسيا والمناطق الخاضعة لها، وفي الوقت نفسه يُسهّل نقل الإمدادات العسكرية الغربية إلى حدودها.

وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ (٢٧ آب ١٩٣٥ م) وقعت إيران معاهدةً تجاريةً مع روسيا لمدة ثلاث سنواتٍ، وأصبحت العلاقات وديةً بين الجانبين في هذه المرحلة. ولما انتهت مدة المعاهدة رفض رضا خان تجديدها، فعُدّت مُلغاةً.

وفي نهاية عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) أغلقت روسيا قنصلياتها في إيران، ولم يبق لها سوى قنصليةٍ واحدةٍ في (بهلوي)، وفي الوقت نفسه طلبت من إيران إغلاق قنصلياتها في المدن الروسية.

وفي مطلع عام ١٣٥٨ هـ (شهر آذار ١٩٣٩ م) منحت إيران شركة (شل) الهولندية ـ البريطانية امتيازاً لاستغلال النفط في أقاليم الشمال، واندلعت نار الحرب العالمية الثانية والعلاقات غير طبيعةٍ بين إيران وروسيا.

ثالثاً: مع ألمانيا:

تغلغل النفوذ الألماني في إيران بسرعةٍ قبل الحرب العالمية الأولى، وأصبح لشركة (ونكهاوس) الألمانية فروعاً في (بندر عباس) (وبوشهر). ولما وقّعت ألمانيا وروسيا بينهما معاهدة (بوتسدام) في (بطرسبرغ) في ٢٤ شعبان ١٣٢٩ هـ (١٩ آب ١٩١١ م) اعترفت ألمانيا فيها بمنطقة نفوذ روسيا

في إيران، واعترفت روسيا بحقوق مصرف (الرايخ) في امتياز مشروع سكة حديد بغداد.

وازداد النفوذ الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، ولكن هزيمتها في تلك الحرب قد أوقف النشاط الاقتصادي الألماني في كل مكان، ومن بينها إيران.

وفي عام ١٣٣٨ هـ استأنفت شركة (ونكهاوس) الألمانية نشاطها في إيران. كما دخلت المسرح شركة (الدوتج) الألمانية أيضاً.

وفي عام ١٣٤٠ هـ أخذت الصلات الثقافية دورها، وفي العام التالي جاء الدور العسكري حيث استعانت إيران بعددٍ من الضباط الألمان للإشراف على محلات الإصلاح الآلي في كل من (طهران و(بوشهر).

وفي عام ١٣٤٢ هـ اشترت إيران من ألمانيا باخرةً حربيةً مع معداتها، وهي التي أطلق عليها فيما بعد اسم (بهلوي). وتعهدت ألمانيا في العام التالي بتلبية تزويد إيران بكل ما تطلبه من خبراء واختصاصيين.

وانتهت عام ١٣٤٥ هـ مهمة الخبير المالي الأمريكي (آرثر مليسبو)، فسافر، وعُيّن مكانه خبير ألماني. ومُنحت في العام نفسه شركة الطيران الألمانية (يونكس) حق استخدام الأجواء والمطارات الإيرانية.

وفي عام ١٣٤٧ هـ عُقدت معاهدة تجارية بين إيران وألمانيا، فتحت إيران بموجبها أبوابها أمام البضائع الألمانية.

وفي ٣ شعبان ١٣٥٤ هـ (٣٠ تشرين الأول ١٩٣٥ م) تمّ التوقيع على اتفاقية تجارية بين طهران وبرلين، ونتيجة العلاقات التجارية المتزايدة بين البلدين أصبحت حصة ألمانيا من التجارة الخارجية الإيرانية تعادل ٢١٪ من مجموع التجارة الإيرانية على حين لم تزد نسبة بريطانيا على ٨٪ من مجموع التجارة.

وفي عام ١٣٥٦ هـ كان عدد الشركات الأجنبية في إيران حسب الجنسيات كما يأتي:

٣٥١ شركة ألمانية.	١٧٧ شركة أمريكية.
٢٨٥ شركة بريطانية.	١٤٣ شركة روسية.
١١٨ شركة فرنسية.	

وفي ١٤ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ (٤ كانون الثاني ١٩٣٩ م) حصلت شركة الطيران الألمانية (لوفتهانزا) على فتح طريق جوي برلين ـ بغداد ـ طهران ـ كابول. وحقّ استخدام الأجواء الإيرانية في رحلاتها إلى (بانكوك).

وفي الوقت نفسه أخذت الدولتان تتبادلان زيارات الوفود العلمية، والمالية، والسياسية.

وهكذا كان النفوذ الألماني يتزايد في إيران مع بروز قوة ألمانيا في أوربا خاصةً، وتلك هي السياسة التي كان يسير عليها رضا خان.

الحرب العالمية الثانية:

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية في ١٧ رجب ١٣٥٨ هـ (الأول من أيلول ١٩٣٩ م)، وقد أعلن الشاه رضا خان سياسة الحياد التام، ورفض تنسيق الجهود مع أعضاء ميثاق سعد آباد، بل ورفض اقتراحاً أفغانياً يقضي بدعوة الأعضاء للاجتماع للتباحث في إقرار سياسة واحدة فيما إذا داهمهم خطر.

وفي ١٤ رمضان ١٣٥٨ هـ (٢٧ تشرين الأول ١٩٣٩ م) جمع الشاه المجلس النيابي، وأعلن أمامه أن علاقة إيران علاقة مودة واحترام مع الدول كافةً وخاصةً الدول المجاورة. وقد احترمت الحكومات كلها هذا الحياد، وكانت الصحافة المحلية تنشر البلاغات الحربية الصادرة من

جبهات القتال عن كلا الجانبين دون إظهار أي ميلٍ لأحد الطرفين المتخاصمين.

ولكن الانتصارات الألمانية السريعة والخاطفة التي تمت في أوربا قد أطمعت الشاه فأعلنت كفة التوجّه نحو ألمانيا ترجح، إذ اعتقد أن النصر سيكون لصالح ألمانيا لذا فقد انحاز إليها، وأراد الإفادة من الصراع الدولي لصالحه، بالضغط على النفوذ البريطاني في إيران، ومحاولة أخذ منطقة القفقاس من روسيا دون أن ينظر إلى معاهدة عدم الاعتداء القائمة بين إيران وروسيا.

كان الألمان يعدّون منطقة الشرق الأوسط مجالهم الحيوي، ومنها التوسّع في بلاد القفقاس وإيران لأنها ستكون بقعةً مهمةً في حالة نشوب حرب مع الروس. وقد زاد عدد العاملين الألمان في إيران، وخاصةً رجال المخابرات الذين زاد عددهم على ثلاثة آلاف رجلٍ، منهم ثلاثمائة يعملون في دوائر الدولة المختلفة، وقد ركّزوا جهودهم في العاصمة طهران، وفي المناطق الشمالية على حدود المناطق الخاضعة للسيطرة الروسية، وفي المناطق القريبة من الخليج العربي.

وفي ٢٤ شعبان ١٣٥٨ هـ (٨ تشرين الأول ١٩٣٩ م) أي بعد اندلاع الحرب بأقل من أربعين يوماً جرى اتفاق سري بين إيران وألمانيا، تعهدت فيه إيران بتصدير اثنين وعشرين ألف طنٍ من القطن، وستة آلاف طنٍ من الصوف، وعشرين ألف طن من القمح، وعشرة آلاف طن من الشعير، وعشرين ألف طن من الرز إلى ألمانيا. وكانت إيران المصدر الوحيد للمواد الخام إلى ألمانيا. وكذلك فإن الألمان كان يحصلون على المطاط، والقصدير من منتجات جنوب شرقي آسيا عن طريق تجار من إيران، وأصبحت نسبة ألمانيا من التجارة الخارجية الإيرانية تشكل ٤٢,٩٪ على حين لم تكن عشية الحرب لتزيد على ٢٥ و ٢٠٪. ولما كان الأسطول البريطاني يحاصر الشواطىء الألمانية لذا لم يكن هناك من طريق للتجارة

بين ألمانيا وإيران سوى الأراضي الروسية والبلدان التي تخضع لسيطرة الروس. وقد استفاد الروس من هذه التجارة كثيراً، وخاصة أن الحرب لم تكن قد اشتعلت بعد بين الألمان والروس، وقد ساعدهم على ذلك تلك المعاهدات التجارية التي وُقّعت في تلك المرحلة، إذ وقّعت ألمانيا معاهدةً مع روسيا في ٣ محرم ١٣٥٩ هـ (١١ شباط ١٩٤٠ م)، ووقّعت روسيا معاهدة مع إيران في ١٦ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٤٠ م) وبذا ارتبطت وتكاملت العلاقات التجارية.

وإضافةً إلى الأمور التجارية كانت الصلات الثقافية بين إيران وألمانيا توسّع، حتى أن ألمانيا أصبحت تطبع الدعايات الألمانية باللغة الفارسية لتوزّعها في إيران. وكانت هناك أعداد من الألمان يعملون في التدريس، وفي الجامعات، وخاصة في الزراعة، والطب البيطري. واتخذ الشاه رضا بهلوي قراراً في شهر جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ (آب ١٩٣٩ م) يقضي بإغلاق المدارس الأجنبية، وإبعاد المشرفين على شؤون التعليم والكليات الجامعية، ولكن لم يُطبّق على الألمان، ولم ينلهم.

وكان للخبراء العسكريين الألمان دور في إيران، والتي وصلت إليهم أسلحة ألمانية وعتاد، وعندما قطع العراق علاقاته السياسية مع ألمانيا كانت إيران تمثّل المصالح الألمانية في العراق.

وفي بداية الحرب ضلّت ثمان سفنٍ ألمانيةٍ وإيطاليةٍ طريقها في منطقة الخليج فلجأت إلى ميناء (بندر شابور)، وكانت تحمل مواداً متفجرةً، وعملت بريطانيا مع إيران كثيراً لإبعاد هذه السفن عن الميناء، أو محاولة تعطيل محركاتها كي لا تستطيع القيام بشيء يهدّد المصالح البريطانية، فلم توافق إيران.

وعملت بريطانيا على بثّ دعايةٍ مضادةٍ للألمان، وربما استندت هذه الدعاية على التقارب الألماني الروسي، وللروس أطماع ومصالح في إيران فكيف يمكن التقارب مع أصدقائهم الذين يعملون بالواقع لمصلحة الروس؟

كما أن بريطانيا قد قدّمت احتجاجاتٍ كثيرةً لدى إيران لكثرة الألمان العاملين على الأرض الإيرانية، وهم يعملون دائبين ضدّ انكلترا ومصالحها.

إن زيادة العلاقات التجارية بين إيران وألمانيا لن تكون إلا على حساب بريطانيا والدول الكبرى الثانية التي كانت لها مع إيران علاقات تجارية قوية. كما أن روسيا قد استفادت من تطور العلاقات الإيرانية الألمانية لأن أراضيها كانت طريق المرور لتلك البضائع كلها الصادرة والواردة. ولم تكن تلك المعاهدة التجارية التي ألمحنا عنها بين إيران وروسيا في ١٦ صفر ١٣٥٩ هـ (٢٥ آذار ١٩٤٠ م) إلا من أجل مرور البضائع الإيرانية ضمن الأراضي الروسية، وهذا ما رفع حصة روسيا من تجارة إيران الخارجية إلى ١١٪ عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ هـ) بعد أن كانت أقل من ١٪ قبل عامٍ واحدٍ فقط. وقد أثار هذا كله غضب بريطانيا وقد خشيت أن تسير الدول المجاورة لإيران في الطريق نفسها التي مشت فيها إيران.

وكانت إيران من ناحيةٍ أخرى تسعى إلى تطوير علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وترغب بالحصول على قرض منها. وقد ظهرت على المسرح النفطي شركة (ستاندرد أويل أوف نيوجرسي) الأمريكية.

كان الفرقاء المتخاصمون غير راضين عن الوضع في إيران، فالحلفاء يرون الألمان يسرحون على أرض إيران، ويرون الميل واضحاً إلى ألمانيا، ولا يريدون لهذا برهاناً، ولا يمكنهم أن يصدقوا غير ذلك، مهما ادعى الشاه من وقوفٍ على الحياد، إذ يرون الحقيقة رأي العين لذا يودّون تغيير الحكم في إيران، وفي الوقت نفسه فإن الألمان لم يعجبهم الموقف الإيراني رغم هذا كله، وإنما يريدون الانحياز إليهم صراحةً، فإن التردّد الذي يسير عليه الشاه يجعله جباناً في بعض المواقف بل يتصرّف ضدّهم نتيجة الخوف، وربما جاء وقت كان فيه التصرّف قاتلاً لهم لذا كانوا يعملون على تغيير الوضع أيضاً إذا رأوا:

١ ـ موقف الشاه من حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، حيث أخبره بعدم تأييده لخطواته التي خطاها، ويجدها سابقةً لأوانها، وقد تؤدّي إلى هزّةٍ عنيفةٍ في المنطقة.

٢ ـ رفضت إيران عودة السفير الألماني (غروبا) إلى بغداد عن طريق أراضيها، وكان قد أُبعد عن العراق في بداية الحرب عندما قطعت العراق علاقتها السياسية مع ألمانيا.

٣ ـ رفضت إيران تزويد الطائرات التي أرسلتها ألمانيا إلى العراق بالوقود.

٤ ـ رفضت إيران مرور الأسلحة الألمانية إلى العراق عبر أراضيها.

٥ ـ أكدت إيران على سفاراتها في الخارج ضرورة التزام الحياد التام.

لذا فإن ألمانيا نقمت على الشاه وأخذت تذيع بيانات ضدّه. وقد تحمّل الشاه هذا، وحاول إيجاد توازنٍ بين الأطراف. فهو يميل إلى الألمان، ويرغب بالتعاون مع الأمريكان، ويريد إبقاء الصلة مع البريطانيين. وبقي متأرجحاً فهو يخشى من الارتماء في أحضان الحلفاء، ولم يجد ضالته في الأمريكان، ويخشى إعادة تجربة العراق، فيحلّ به ما حلّ برشيد عالي الكيلاني.

والواقع أن غروره، وسيطرته الظاهرة القوية على الوضع الداخلي، واعتماده على الجيش، وظنّه بطاعة الجميع له، كل هذا عزله عن القوى الوطنية في الداخل، وعاش في غفلةٍ قاتلةٍ أنسته الوضع الداخلي، كما أن الإنفاق الكثير على الشرطة السرية، والجيش قد زاد في غروره، وظنّه الخاطىء، كما أن ذلك قد أفقر البلاد، وارتفعت أعداد العاطلين إلى درجةٍ مخيفةٍ، وأخذ النقد الخفي، والحقد على الحكم يلعبان دورهما.

ولم يكن وضع الشاه ليُرضي الحلفاء، ولا ليقبله الألمان، وقد حسم الموقف الهجوم الألماني المفاجىء على روسيا في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٠ هـ (٢٢ حزيران ١٩٤١ م)، وغدت إيران أساسيةً بالنسبة إلى

الحلفاء، فإمداد روسيا لا يكون إلا عبر أراضيها، وليس لهم طريق سواها، كما خشي الروس من فتح جبهةٍ جديدةٍ عليهم من الجنوب فيما إذا انحازت إيران إلى دول المحور، وفي الوقت نفسه تخاف روسيا من أن تمتد أيدي الألمان إلى مكامن النفط في (باكو) في جمهورية (أذربيجان). والإنكليز أصبحوا يخافون أيضاً على مصالحهم النفطية في الجنوب على مشارف الخليج العربي. وكذلك أصبحت إيران بالنسبة إلى الألمان أكثر أهميةً من ذي قبل، إذ تحتاج إلى المواد الخام منها، وقد انقطع تصديرها بعد الهجوم على روسيا، ومن إيران يمكن ضرب روسيا من الجنوب حتى تركع على ركبتيها، وبعدها يتفرغون إلى بقية الحلفاء، وفي إيران الثروة النفطية الضرورية لهم، وحرمان البريطانيين منها ضربة لهم في الصميم، وكذلك يمكن بضرب آبار نفط باكو الإسراع في إخضاع روسيا.

وفي ٢ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ (٢٦ حزيران ١٩٤١ م) أي بعد أربعة أيام فقط من الهجوم الألماني على روسيا أكّد الشاه حياد بلاده، وأصرّ على موقفه، ولكن نشاط الألمان في إيران واضح للحلفاء، لذا فقد قدّم سفيرا بريطانيا وروسيا في طهران مذكرةً مشتركةً إلى الحكومة الإيرانية في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ (١٩ تموز ١٩٤١ م) يبيّنان خطر وجود الألمان في إيران، ويطلبان ترحيل كل من لا تدعو الحاجة الملحة إلى بقائه، غير أن إيران رفضت وعدّت ذلك خرقاً لسياسة الحياد التي تنتهجها، وهذا ما سرّ الساسة الألمان. أما بالنسبة إلى الحلفاء فقد عدّوا هذا التصرّف انحيازاً لجانب الألمان، وخاصةً أن الشاه قد رفض تسليم رجال حركة رشيد عالي الكيلاني الذين فرّوا من بغداد إلى طهران إثر فشل تلك الحركة إلى البريطانيين، وكانوا في طهران على صلةٍ بالسفارة الألمانية رغم تشديد الحراسة عليها، وكذلك فإن نشاط رجال المخابرات الألمانية قد زاد في الآونة الأخيرة على حدود إيران الشمالية وعلى مقربة من المناطق التي تقع تحت السيطرة الروسية. وكذلك فإنه وصل إلى طهران (كناريس) أحد كبار

رجال المخابرات الألمانية، ومعه أحد ضباط (الغستابو)، ويبدو أن هذا القدوم كان يخفي وراءه تدبير انقلاب في إيران، وقد نبّه الروس الحكومة الإيرانية إلى ذلك، ولكن الشاه لم يُصدّق، على حين كان يصدق كل ما كان يشاع عن الحلفاء وخاصةً الإنكليز الذين بلغه عنهم أنهم يريدون التدخل في شؤون إيران الداخلية.

وفي ٢٤ رجب ١٣٦٠ هـ (١٦ آب ١٩٤١ م) قدّمت الحكومتان البريطانية والروسية مذكرتين أخريين تطالبان فيهما إبعاد الألمان عن إيران، وتحتجّان على موقف الشاه السلبي دائماً على مذكراتهما، ولكن الحكومة الإيرانية لم تُعر هاتين المذكرتين أي اهتمام.

أصدر الشاه أمره للجيش ليكون على أهبة الاستعداد، وعزّز القوات على الحدود الشمالية، وأمر بإلغاء إجازات العسكريين، ودعا الاحتياطي، وطلب سوق الشباب للخدمة الإلزامية لخمس سنواتٍ متوالية.

هدّد الألمان إيران بقطع العلاقات السياسية فيما إذا استجابت لمطالب الحلفاء، وشجّعوها على الثبات على الموقف والجرأة على الانحياز لجانبهم، وأنهم سيحتلّون بلاد القفقاس خلال عدة أسابيع فقط، وسيدخلون إلى إيران من الشمال. وهذا ما قوّى من عزيمة الشاه فأكّد أن الصداقة الإيرانية - الألمانية ثابتة لا تتزعزع.

فشل الهجوم الألماني على روسيا في تحقيق أهدافه العسكرية، وهذا ما أربك الشاه وأحرج موقفه، وأخذ يتراجع أمام الحلفاء، ويُبدي موافقته على تنفيذ مطالبهم، لقد وافق على إبعاد الألمان في إيران عن البلاد، ولكن على مراحل، غير أن الحلفاء أصرّوا على السرعة، وتعنّتوا في مطالبهم، ورأوا ضعف الشاه، وتبدّل موقفه، وتوقّف الهجوم الألماني، فأرادوا تغيير الوضع في إيران.

وجّه الحلفاء إنذاراً للشاه في ٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٥ آب

١٩٤١ م)، وتقدّم الروس من الشمال، وتوغّلوا في أذربيجان، واحتلّوا تبريز، واقتحم عشرة آلاف جندي من القوات البريطانية والهندية الحدود من الغرب قادمين من (خانقين) في العراق باتجاه (كرمنشاه)، وتقدّمت القوات البحرية البريطانية من الجنوب باتجاه المحمرة (خرمشهر) وأُغرقت السفن الراسية في الميناء، ولم تصمد القوات الإيرانية، ولم يبد الجيش الإيراني حماسة في القتال، ولم يظهر الشعب تجاوباً للدفاع.

وفي ٥ شعبان قدّم رئيس الوزراء الإيراني علي منصور استقالة حكومته، فكلّف الشاه في اليوم نفسه محمد علي فروغي لتشكيل حكومةٍ جديدةٍ، وأعطى رئيس الحكومة الجديد أوامره للجيش بوقف إطلاق النار على الجبهات الثلاث، وتم تعيين أحمد أمير أحمدي حاكماً عسكرياً لطهران، ثم أُعلنت الأحكام العرفية.

طلب الحلفاء من الحكومة الإيرانية:

١" ـ انسحاب القوات الإيرانية إلى خارج المناطق التي ترابط فيها القوات الروسية في الشمال.
٢" ـ إبعاد الألمان عن إيران خلال أسبوع.
٣" ـ فتح الطرق البرية والجوية الإيرانية أمام الحلفاء.
٤" ـ حياد إيران التام.

وتعهد الحلفاء للحكومة الإيرانية بـ:

١" ـ وقف الزحف نحو طهران.
٢" ـ دفع مساعداتٍ اقتصاديةٍ لإيران.
٣" ـ استمرار شركة النفط الأنكلو - إيرانية بدفع عائدات النفط للحكومة الإيرانية.

ثم غيّرت إنكلترا رأيها وطالبت إيران بتسليم الألمان الموجودين في إيران لها باستثناء أعضاء البعثة السياسية المعتمدين.

أما إيران فقط طالبت الحلفاء بما يأتي:

١" ـ انسحاب قوات الحلفاء من بعض المناطق في الشمال، وفي الجنوب.
٢" ـ تعويضها عما فقدته أثناء القتال، وتقدّم القوات الروسية والبريطانية.
٣" ـ عدم اتصال الجنود والضباط الحلفاء بالسكان الإيرانيين.
٤" ـ إجراء مفاوضاتٍ ثنائيةٍ بينها وبين روسيا، منها الاتفاق على نفط الشمال.

وفي ١٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (٦ أيلول ١٩٤١ م) عاد الحلفاء فطالبوا إيران بطرد البعثات السياسية لدول المحور. وبعد يومين وقّعت إيران أو أُرغمت على التوقيع على اتفاقيةٍ وافقت بموجبها على بقاء القوات الروسية والبريطانية على أراضيها، وطرد البعثات السياسية لدول المحور، وحجز الرعايا الألمان. ولكن ألمانيا هدّدت إيران فيما إذا انقادت لأوامر الحلفاء وأخذت بتنفيذ بنود هذه الاتفاقية، ولكن الإيرانيين انصاعوا للحلفاء، ولم يستمعوا إلى التهديد الألماني، وقاموا بتسليم مائتين وخمسين ألمانياً إلى إنكلترا فوضعوا في معسكرات الاعتقال، كما سلموا خمسين ألمانياً إلى روسيا فنقلتهم إلى مدينة قزوين حيث احتجزتهم هناك.

وفي ٢٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٤ أيلول ١٩٤١ م) طلبت بريطانيا وروسيا من الشاه رضا بهلوي التنازل عن العرش لولي عهده محمد رضا، وإعلان الحرب على ألمانيا وبقية دول المحور، فرفض فأجبره الحلفاء. وفي ٢٥ شعبان تنازل الشاه لابنه، وقرأ محمد علي فروغي رئيس الوزراء وثيقة التنازل للمجلس، وترك الشاه طهران إلى أصفهان حيث مكث فيها شهراً، ومنها انتقل إلى بندر عباس، ومن هناك نقلته باخرة الشحن الإنكليزية (باندرا) إلى (بومباي) في الهند، ورفضت السلطات البريطانية إنزاله لوجود قلاقل في بومباي، ولم يُسمح له بالانتقال إلى اليابان، وحُمل إلى جزيرة (موريشيوس) حيث فُرضت عليه الإقامة الجبرية هناك، ثم نُقل

إلى مدينة (جوهانسبرغ) في اتحاد جنوبي إفريقية، وبقي هناك حتى توفي في ٥ رجب ١٣٦٣ هـ (٢٥ حزيران ١٩٤٤ م) وبعد عدة سنوات نقل رفاته إلى طهران في ١٦ رجب ١٣٦٩ هـ (٣ أيار ١٩٥٠ م).

أما في إيران فقد نصب ولي عهده ابنه محمد رضا شاهاً على البلاد.

٢ - محمد رضا بهلوي[1]

(١٣٦٠ - ١٣٩٩ هـ) (١٩٤١ - ١٩٧٩ م)

تُوّج شاهاً على إيران يوم أُعلن تنازل والده عن الحكم في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م)، وتأخر سفيرا بريطانيا وروسيا عن حفل التتويج، كما تأخر اعتراف دولتيهما بالوضع الجديد مدة ثلاثة أيام. وأدّى اليمين الدستورية أمام المجلس، وتعهّد أمامه أن يحفظ سيادة إيران، ويصون حقوق الشعب، ويحترم الدين الإسلامي الحنيف، ويراعي الدستور والقوانين المرعية في البلاد. كما أنه أكّد ضرورة تعاون حكومته مع دولتي بريطانيا وروسيا. وعهد إلى رئيس الوزراء محمد علي فروغي (ذكاء الملك) بتشكيل حكومة جديدة.

أُعلن تشكيل الوزارة في ٣٠ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢١ أيلول ١٩٤١ م)،

---

(١) ولد محمد رضا في طهران في ٢ صفر ١٣٣٨ هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩١٩ م)، من زوجة والده الثانية (تاج الملوك) وأنهى تعليمه الثانوي في سويسرا (١٣٥٠ - ١٣٥٥ هـ) مع أخيه الأصغر علي، في مدرسة داخلية.
عاد إلى إيران عام ١٣٥٥ هـ، والتحق بالكلية العسكرية، وتخصص بسلاح المدفعية.
تخرج بعد سنتين برتبة ملازم، وعُيّن مفتشاً بالجيش. وكان مغرماً بالنساء، والخيل، وسباق السيارات.
تزوج من فوزية بنت ملك مصر فؤاد الأول بعد تردد من والدها، وفي ١٣ محرم ١٣٥٧ هـ (١٤ آذار ١٩٣٨ م) هبطت طائرتان في مطار طهران على متن إحداها فوزية ووصيفاتها، وعلى متن الأخرى الأثاث، وكان عمره يومذاك تسع عشرة سنة بينما كان عمر فوزية سبع عشرة سنة، وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وضعت فوزية ابنتها (شاهيناز).

وأُطلق سراح السجناء السياسيين، ويبلغ عددهم ما يقرب من ألف ومائتين وخمسين رجلاً، وسُمح للمنفيين والذين خرجوا من البلاد فراراً بالعودة، ومعظم هؤلاء، وأولئك من خصوم الشاه السابق، وأعداء الألمان، وأعوان الحلفاء، وهذا ما عمل له البريطانيون والروس، وشعروا بالسرور بما تمّ. وكان الشاه قد تعوّد على حياة اللهو والترف التي كان يحياها، وأحاط نفسه بالشرطة السرية التي وصل عددها في آخر عهده إلى خمسين ألفاً.

وعُقدت معاهدة ثلاثية بين إيران وبريطانية وروسيا في ١٢ محرم ١٣٦١ هـ (٢٩ كانون الثاني ١٩٤٢ م)، اعترفت بريطانيا وروسيا فيها بوحدة الأراضي الإيرانية، واستقلالها، وسيادتها، وتعهدت الدولتان بالدفاع عن إيران ضد أي اعتداء، كما احتفظتا بما تراه ضرورياً من قوات بريةٍ وبحريةٍ وجويةٍ على أرض إيران، وتعهدتا بسحب قواتهما خلال ستة أشهرٍ بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا. وفي الواقع فإن هذه المعاهدة قد أطلقت يد الدولتين في شؤون إيران.

عاد نشاط المخابرات الألمانية سرّاً، وكان قد اختفى عدد من رجالهم أثناء سيطرة الحلفاء على إيران، وقاموا الآن يُحرّضون ضدّ الحلفاء، وجرت بعض القلاقل في (أرومية)، وحاول الألمان إيجاد تنظيم بين أعوانهم أطلق عليه (حركة قومي إيران)، غير أن هزيمة الألمان في (ستالينغراد) و(العلمين) قد جعل بعضهم يُغيّر موقفه حيث خاب أملهم بقدوم الألمان ووصولهم إلى إيران، بل إن بعضهم أسرع إلى الحلفاء، وسلّمهم أسماء أعوان الألمان الذين يعرفهم، وما لديه من وثائق سرية. وسلّمت القبائل القشقائية جميع أعوان ألمانيا الذين كانوا تحت حمايتها، ومن بينهم (شولتز).

أعلنت حكومة الشاه في ١٠ رمضان ١٣٦٢ هـ (٩ أيلول ١٩٤٣ م) الحرب على دول المحور، وكان ذلك شكلياً، وإن كان الشاه يرغب أن يكون ذلك فعلياً، وأن يرسل قواتٍ للاشتراك في القتال.

أعطت الحكومة الإيرانية الحرية السياسية فتشكّل خمسة عشر حزباً، من بينها حزب (توده) الشيوعي، والذي أصبح له عدة فروع في مختلف المدن، ووصل عدد أعضائه إلى مائتي ألف، وتمكن من السيطرة على الشارع.

وكان من الذين رجعوا إلى البلاد ضياء الدين طباطبائي، وقد عاد في رمضان ١٣٦٢ هـ (أيلول ١٩٤٣ م) فأسّس تجمعاً أطلق عليه اسم الوطن، ودُعم من أجل الوقوف في وجه حزب (توده).

وفي أواخر عام ١٩٤٤ م أُلغيت الحريات، وضُربت الحركات (الديمقراطية)، وأُعلنت الأحكام العرفية في بعض المدن.

بريطانيا: رجع النشاط السياسي البريطاني إلى سابق عهده.

الولايات المتحدة: دخل النفوذ الأمريكي إلى إيران أثناء الحرب العالمية الثانية، واستخدم الأمريكيون أرض إيران ممراً لنقل الإمدادات إلى روسيا. وعندما أعلنت الولايات المتحدة رسمياً الحرب على ألمانيا نقلت فرقةً من قواتها، عدد أفرادها ثلاثون ألفاً إلى إيران، وتبع ذلك البعثات العسكرية.

وكان هناك تنسيق بين الولايات المتحدة وبريطانيا عندما أعلنت الولايات المتحدة وقوفها رسمياً إلى جانب بريطانيا في شوال ١٣٦١ هـ (تشرين الأول ١٩٤٢ م). كما جرى اتفاق بين الدولتين في ٢٦ ذي القعدة ١٣٦١ هـ (٤ كانون الأول ١٩٤٢ م) لسدّ عجز إيران من القمح. ولم تعترض إنكلترا على سيطرة الولايات المتحدة على ميناي (بندر شابور) و(المحمرة) وعلى القاطع الجنوبي من الخط الحديدي الواصل بين مدينة قزوين في الشمال على بحر قزوين وبين منطقة الخليج العربي بحجة الإشراف على الإمدادات المتجهة إلى روسيا.

وجرى تعاون نفطي بين شركة (رويال دوتش شل) البريطانية وبين

الشركتين الأمريكيتين (ستاندرد أويل) و(سنكلي) للتنقيب عن النفط في منطقة (بالوخستان).

وأخذت أفواج الخبراء الأمريكيين تتوالى على إيران، وكان رئيس الحكومة الإيرانية قوام السلطنة يميل إلى إحلال الخبراء الأمريكيين محلَّ الخبراء الألمان، وقد هيمنوا على وزارات الدفاع، والداخلية، والصحة، ومختلف المؤسسات الاقتصادية، بل عاد الخبير المالي الأمريكي (آرثر مليسبو) إلى إيران، بعد غياب سنوات، وقد رجع في محرم ١٣٦٢ هـ (كانون الثاني ١٩٤٣ م). ودامت حكومة قوام السلطنة من ٢٧ رجب عام ١٣٦١ هـ (٩ آب ١٩٤٢ م) إلى ٨ صفر ١٣٦٢ م (١٣ شباط ١٩٤٣ م).

وفي ٣ ربيع الثاني ١٣٦٢ هـ (٨ نيسان ١٩٤٣ م) عقدت إيران معاهدةً تجاريةً مع الولايات المتحدة، فتحت إيران بعدها أبوابها أمام البضائع الأمريكية.

روسيا: دعم الروس إيران بالدقيق في العام الثالث للحرب بعد أزمة الخبز التي أنهكت الشعب الإيراني. ثم فترت العلاقات بين الدولتين لما أشيع في أواخر عام ١٣٦٢ هـ (أواخر عام ١٩٤٣ م) عن منح إيران امتياز نفط الشمال لشركات بريطانية وأمريكية. ثم زار وفد روسي طهران والتقى برئيس الوزراء محمد سعيد، والشاه نفسه وذلك في رمضان ١٣٦٣ هـ (أيلول ١٩٤٤ م) من أجل منع إعطاء امتياز نفط الشمال لطرفٍ ثالثٍ دون موافقة روسيا، ولكن الحكومة الإيرانية قد أعلنت بتحريضٍ من البريطانيين والأمريكان بأنها ترفض البحث في أي امتيازٍ نفطيٍ جديدٍ قبل انتهاء الحرب. وقد قام حزب (توده) بمظاهراتٍ واسعةٍ.

وفي ١ ذي الحجة ١٣٦٢ هـ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ م) عقد مؤتمر طهران لمدة ثلاثة أيام، وحضره كل من الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل، والرئيس الروسي ستالين، وأعلنوا فيه وقوفهم إلى جانب إيران، وأخذ الشاه تأكيداتٍ من روزفلت لضمان استقلال

إيران، كما أخذ من ستالين تأكيداتٍ بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية.

كان الروس ينقلون الحاصلات الزراعية من شمالي إيران إلى بلادهم، ويحتج الشاه إلى لندن، ويحتج إلى موسكو، ولكن لا أحد يسمع منه، ولم يردّ عليه أحد. وتثير روسيا الاضطرابات في منطقة نفوذها ليكون لها مجال للتدخّل في شؤون إيران.

وأشاع الروس والبريطانيون أنهم يعملون لإعادة الحكم إلى القاجاريين حتى يرتمي الشاه في أحضانهم بشكلٍ أكبر، وعملوا على دعوة ووريث الملك القاجاري إلى حفلةٍ رسميةٍ في السفارة البريطانية، وعُزف له النشيد الوطني الإيراني، فانخلع لذلك قلب الشاه الشاب، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الولايات المتحدة ليحمي نفسه، فأصدر الرئيس الأمريكي روزفلت، قراراً جاء فيه أنه لن يسمح أبداً بتقسيم إيران، وأن ذلك ضرورة للوقوف أمام أطماع الروس، وأمام تراجع الإمبراطورية البريطانية، وعمل الشاه على توازنٍ بين النفوذين الروسي والبريطاني.

الحركات الداخلية أثناء الحرب:

كانت الشعوب غير الفارسية ناقمةً على حكامها للضغط عليها، ولإهمالها بشكلٍ يلفت النظر بالنسبة إلى الشعب الفارسي، وإن تغيير اسم البلاد الذي أقدم عليه الشاه رضا خان من الدولة الفارسية إلى دولة إيران لإبعاد فكرة السيطرة الفارسية والعصبية إلى العرق لم يفد شيئاً لأنه تغيير للاسم دون أي تبديلٍ في المضمون، إذ بقيت السيطرة الفارسية قائمةً، والضغط موجوداً، والإهمال مستمراً، وإن الإسلام الذي يجمع بين هذه الشعوب كلها، ويؤلّف بين السكان جميعاً لا يلتفت إليه أبداً إلا في المناسبات أو في الأوقات التي يحتاج الحكام إلى استرضاء أهله، وإذا غاب الإسلام عن الساحة فليس هناك من رابطٍ يوحّد المسلمين ويشدّ بعضهم إلى بعض، ومن هنا تحرّكت الشعوب غير الفارسية عندما وجدت

الحكومة المركزية في أزمة، تتخبط على جنباتها، ولا تعرف على أي جنب تستقر، وعلى أي قوة أجنبية - مع الأسف - تستند.

وكانت في الوقت نفسه الدول الأجنبية صاحبة العلاقة وهي إنكلترا وروسيا خاصة تثير هذه الشعوب غير الفارسية، وتثير جانب العصبية، كي تتدخّل في شؤون البلاد، وتبقى صاحبة الكلمة والنفوذ، ولتبعد رابط العقيدة بينها، وتحلّ محله رابط العصبية الذي يمكن إثارته في كل وقت تشاء هذه الدول الأجنبية، ولأن العصبية لا تشريع فيها، ولا مفاهيم ولا قيم تنبع منها، وهذا ما يجعلها تلجأ إلى القوانين والأفكار والمفاهيم الأجنبية لتلتقي بذلك مع أهل تلك القوانين والأفكار والمفاهيم، وتكون تابعة لهم، وتنأى عن الإسلام الذي تخشاه تلك الدول، تخافه على مصالحها، وتخشاه على أفكارها، إذ يقوم على تشريع، وتنبع فيه مفاهيم وقيم، ولأتباعه الأفكار الخاصة بهم والشخصية التي تميزهم عن غيرهم.

ثارت قبيلة كعب (الدبيس) منذ بداية الحرب بقيادة زعيمها حيدر، وانتصرت على القوات الحكومية في أول الأمر، ودامت حركتها ما يزيد على أربعة أشهر، ثم هُزمت أمام العدد والأسلحة الحديثة، وعندما أخمدت الحركة ألقي القبض على حيدر وأعدم مع كبار أعوانه.

وثار جاسب بن خزعل بن جابر، وسببت حركته مصاعب كثيرة للحكومة في طهران، وعرفت ثورته باسم الثورة الفجرية نسبةً إلى الحي الذي اندلعت منه نار الثورة.

وثار بنو طرف في منطقة (الحويزة) فهجّرت الحكومة منهم ما يزيد على ألف وأربعمائة رجل إلى مناطق نائية عن موطنهم سيراً على الأقدام، حفاةً مع منتهى الإذلال، والعذاب، والإهانة.

وقرب نهاية الحرب عقد مشايخ القبائل العربية لقاءً في مدينة (المحمرة)، ووضعوا ميثاقاً مؤلفاً من تسعة بنود، غير أنهم لم يستطيعوا تحقيق شيء منها.

وفي بداية الحرب تحركت قبيلة (قشقائي) التركمانية ضد النفوذ الإنكليزي، والتصرف الفارسي، وعندما سيطر الحلفاء على إيران، حمى رجال هذه القبيلة كثيراً من الألمان، حتى إذا يئسوا من انتصار الألمان، واقتنعوا بعودة البريطانيين عندها سلّموا رجال الألمان الذين كانوا تحت حمايتهم.

ولم تكن أوضاع أذربيجان وكردستان بأفضل حالٍ مما هي عليه أوضاع عربستان.

بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد انتهاء الحرب انقسم العالم إلى معسكرين: المعسكر الرأسمالي وتتزعمه الولايات المتحدة التي ترى أنه من الضروري أن يحلّ نفوذها محل الإمبراطوريات الاستعمارية السابقة من حليفاتها وهي بالدرجة الأولى إنكلترا وفرنسا وفي ذلك زيادة في قوة المعسكر الرأسمالي الذي يخضع لموجّه واحد، والمعسكر الشيوعي وتتزعمه روسيا من غير منازع بل إن الدول الأخرى الحليفة لها ليست سوى توابع تدور في فلكها. وكانت إيران بعد الحرب مجالاً للتنافس بين المعسكرين، فبريطانيا تريد أن تستعيد نفوذها، وتزيح روسيا تدريجياً عن الساحة، والولايات المتحدة تخطط للوقوف في وجه روسيا وتدعم بريطانيا في هذا الجانب إلا أنها في الوقت نفسه تدبر الأمور لتهيمن على إيران، ويكون لها النفوذ مكان النفوذ البريطاني.

وأما روسيا فتريد لنفسها ما تعمل له إنكلترا لمصلحتها، وقد أخذت تضغط على الحكومة الإيرانية للحصول على امتياز التنقيب عن النفط في المناطق الشمالية، ولكن الوضع الداخلي لم يكن ليساعدها، إذ وقفت الحركات السياسية في وجه هذه المطالبات، وربما كان لتحريض الولايات المتحدة وبريطانيا دوره في هذا التصدّي الذي قاده محمد مصدق. وأما مجال روسيا الثاني للتدخّل في شؤون إيران ومدّ نفوذها فقد كان عن طريق حكومة أزربيجان المحلية الاشتراكية برئاسة جعفر بيشوري. كانت حكومة

طهران المركزية تريد أن تُنهي وضع أزربيجان، وتعيدها تحت جناحها. وقد أرسل الشاه أخته (أشرف) إلى موسكو للتفاهم حول هذه القضية، وكان إرسال شقيقته إيذاناً بعلمانيته وعدم عداوته للاشتراكية التي تتبنّاها روسيا، وفي الوقت نفسه إعلاماً لبريطانيا التي من ورائه وللولايات المتحدة التي تدعم ذلك أنه متحرّر وغير معادٍ للأفكار التي تحملها الدول الغربية، ولم يكن هذا الأسلوب مألوف لدى المسلمين، غير أنه لم يبال فعلاً بالمجتمع الذي هو مسؤول عنه، ولا بآراء أهل الدين، ولم تُجد المفاوضات التي أجرتها أخته (أشرف) في موسكو. لكن الولايات المتحدة أرسلت إنذاراً إلى روسيا فتراجعت عن دعم حكومة أزربيجان الاشتراكية، وأرسلت الحكومة الإيرانية قواتها إلى المنطقة بحجة الإشراف على الانتخابات، وسقطت حكومة جعفر بيشوري الذي فرّ إلى الجزء الآخر من أزربيجان والذي يخضع للسيطرة الروسية.

قضية فلسطين:

عملت إنكلترا على تثبيت دعائم اليهود في فلسطين، وكانت قد وعدتهم بذلك، ودعمتها سائر الدول الصليبية شرقيها وغربيها، واتخذت هذه الدول الأمم المتحدة مسرحاً لتنفيذ لعبتها ووسيلةً للوصول إلى أهدافها، وإن لم يكن ذلك إلا لإعطائها الصفة الرسمية أو الشرعية - حسب اصطلاحهم - مع أنه بالإمكان تنفيذ هذا كله بالقوة ودون الرجوع إلى الأمم المتحدة أو غيرها، وللظهور أمام الشعوب أن الوسيلة شريفة. ولا شك أنهم يخشون إثارة العاطفة الإسلامية وقيام المسلمين تحت راية الجهاد ضد الحملة الصليبية السافرة.

اقترحت الأمم المتحدة التي تخضع لتأثير الدول الكبرى، وهي دول صليبية، تقسيم فلسطين بين المسلمين (العرب) واليهود، وجرى التصويت على ذلك، وصوتت الدول الكبرى - طبعاً - إلى جانب القرار، ووقفت الدول الإسلامية ضدّه باستثناء إيران وتركيا إرضاء لبريطانيا أولاً صاحبة

الفكرة، والملاحقة لها بكل طاقاتها وإمكاناتها، وهاتان الدولتان (إيران وتركيا) كانتا ضمن دائرة النفوذ البريطاني، ثم كان هذا الموقف إرضاء للدول الصليبية الكبرى الأخرى وإظهاراً إلى أنها لا ارتباط لها بالإسلام، وإنما تدور في فلك التحرّر والعلمانية، وكان ذلك في ١٦ محرم ١٣٦٧ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ م).

وأعلن اليهود قيام دولة لهم في فلسطين في ٧ رجب ١٣٦٧ هـ (١٥ أيار ١٩٤٨ م)، واعترفت بها مباشرة إنكلترا، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا والدول الصليبية كلها، كما اعترفت بذلك كل من إيران وتركيا للأسباب نفسها، وبقي ذلك قائماً من جانب التمثيل السياسي، والمبادلات التجارية، والعلاقات العامة.

الزواج والطلاق:

شغلت إيران بأحداث طلاق امرأة الشاه فوزية التي طلبت طلاقها من الشاه في ١٨ محرم ١٣٦٨ هـ (١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ م) بتهمة خيانة الشاه الزوجية، وادّعى هو أنه يرغب في الزواج وترك امرأته التي لم تنجب له غلاماً وليّاً للعهد، وقد مضى على زواجهما أكثر من عشر سنوات. وتمّ الطلاق، ورجع الشاه يُمارس هواياته في معاشرة النساء والتنقل بينهن، وفي سباق الخيل.

ومع انصراف الشاه إلى حياة اللهو والمجون فقد عنّ على باله الزواج مرة أخرى، وكان يولع بكل فتاةٍ يراها مماثلةً له في مجونه، وكان يبحث عن الجمال عند هذا الصنف من الفتيات، ولم يخطر على باله البحث عن المطلوب في بيوت العفة والستر. وفي إحدى زياراته لأمريكا تعرّف على فتاةٍ تدعى (روث سيقس) فأولع بها، وهام، وأرادها لنفسه، ولقي عندها القبول، وأصرّ عليها، وحاولت أخته (أشرف) ردّه عنها، فلم يستمع، وحاول آخرون فلم يردّ على كلامهم، وأخيراً استطاع أخوه غلام رضا أن

يثنيه عن عزمه، وأن يحول دون عودته إلى إيران معها، حيث كانا قد اتفقا على العودة معاً.

وأعجبته ثريا بنت أصفندياري، وكان أبوها رئيساً لمجلس النواب في أول عهد أبيه، فعارضه، وقدّم استقالته من منصبه، فنفاه رضا بهلوي إلى برلين، فتزوج (أصفندياري) هناك من خادمةٍ تعمل في مقهى، تدعى (إيفاكارل)، فأنجبت له ثريا هذه، ووافقت (أشرف) أخت الشاه على هذه الفتاة.

وصلت ثريا مع والدها إلى طهران في ٢٤ ذي الحجة ١٣٦٩ هـ (٦ تشرين الأول ١٩٥٠ م)، وعمرها ثماني عشرة سنة وتأجّل الزفاف لإصابتها بالحمى، وأخيراً تمّ في ١٥ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (٢١ شباط ١٩٥١ م).

وعاد الشاه فطلق امرأته (ثريا) بحجة أنها لم تنجب له من يخلفه، وقد ضاقت هي من طرفها منه ذرعاً لمجونه ولهوه، وتزوّج للمرة الثالثة من (فرح ديبا) في ١٩ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ (٢١ أيلول ١٩٥٩ م).

محاولة اغتيال الشاه:

جرى احتفال في طهران يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م) بمناسبة تأسيس الجامعة الإيرانية قبل أربعة عشر عاماً، فأطلق أثناء الاحتفال على الشاه ست طلقاتٍ نارية من قبل رجلٍ يدعى (فخري آراي) أحد أعضاء حزب (تودة)، فجاءت ثلاث منها في قبعته، وأصابت الرابعة كتفه، وجرحت الخامسة شفته، وذهبت السادسة طائشةً في الهواء، وقتل المعتدي مباشرةً، مع أن الشاه طلبه من حرسه حيّاً لتُعرف دوافعه الحقيقية بالتحقيق معه، ولينال عقوبته أمام الناس ليكون عبرةً للآخرين.

واستغلت الحكومة هذه الحادثة فقامت باعتقالاتٍ واسعةٍ في صفوف

المعارضة، واعتقل (آية الله كاشاني) أحد علماء الشيعة البارزين، وعدد آخر من رجال العلم، وصدر أمر بحلّ حزب (تودة) وملاحقة أعضائه.

مقتل رازمارا:

طلب الشاه من رئيس وزرائه (رازمارا) أن ينوب عنه بحضور صلاة الجمعة، في مسجد (سلطاني) في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ (٦ آذار ١٩٥٠ م)، وحاول (رازمارا) الاعتذار، غير أن إصرار الشاه ألزمه الحضور، فاغتيل قبل دخول المسجد، وتنفّس الشعب الصعداء، وشعر بالراحة بذهاب الوطأة عنه، وهتف الناس أثناء تشييع الجنازة بسقوط الشاه، والاستعمار البريطاني، وعودة النفط للشعب، وتسليم محمد مصدق الحكومة، وحدثت اضطرابات، وعمّت الفوضى، واضطر الشاه إلى تكليف محمد مصدق رئيس الجبهة الشعبية بتشكيل الوزارة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٥١ م).

محمد مصدق[1] وتأميم النفط:

بقي محمد مصدق في الحكم سبعةً وعشرين شهراً عمل خلالها على تأميم النفط، والعمل على تطبيق الاشتراكية، والوقوف في وجه النفوذ

---

(١) ولد محمد مصدق في طهران عام ١٢٩٨ هـ، ودرس الثانوية في مدينة طهران، والتحق بعدها بجامعة (لوزان) بسويسرا حيث درس الحقوق ونال درجة الدكتوراه فيها، ورجع بعدها إلى بلاده.
عُيّن حاكماً لمقاطعة فارس مدة خمس سنوات ١٣٣٣ - ١٣٣٨ هـ. وشغل منصب وزير المالية، ثم وزير الخارجية. وانتخب نائباً في مجلس النواب عام ١٣٤١ هـ.
وعندما انتهى عهد الأسرة القاجارية، وجاء رضا خان إلى السلطة وأصبحت مقاليد الحكم كلها بيده، دعا محمد مصدق إلى الحكم الجمهوري، ولكن علماء الشيعة رفضوا هذا النظام، واختير رضا خان شاهاً للبلاد، انسحب محمد مصدق عندها من الحياة السياسية مدة تسع عشرة سنة ١٣٤٤ - ١٣٦٣ هـ. ثم عاد يمارس السياسة، وانتخب عضواً في مجلس النواب عام ١٣٦٣ هـ.
أعلنت روسيا بعد الحرب العالمية الثانية تضغط على إيران للحصول على حق »

الأجنبي، وأيّده علماء الشيعة في محاربة النفوذ الأجنبي، ودعمه الشعب في ذلك، وأيّده الشيوعيون في خطواته ضد الاستعمار.

وأعلن مصادرة أملاك البريطانيين، وأخذ امتيازات النفط منهم، وطلب أثناء المفاوضات معهم دفع مائة وأربعين مليون دولار كتعويضٍ لإيران فانسحب المفاوضون البريطانيون، ورفضوا الطلب، فترك المهندسون والفنيون أماكن التنقيب، وفرضت بريطانيا حظراً على النفط الإيراني، فوقعت البلاد في عجزٍ ماليٍ. وأيّد محمد مصدق في خطواته التي سار عليها العالم الشيعي آية الله كاشاني، أما الشاه فمنصرف إلى لهوه، ومجونه، وخطلاته.

وفي ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) وصل إلى منزل محمد مصدق ضابط من الحرس الإمبراطوري هو العقيد نصيري الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجهاز السافاك، وسلّم رئيس الحكومة أمراً يقضي بإقالة وزارته. رفض محمد مصدق الأمر، وأعطى الجواب بأن الحكم للشارع.

عقد آية الله كاشاني مؤتمراً صحفياً في (البازار) وألقى كلمةً فيه فقامت المظاهرات تُطالب بإسقاط الشاه وإعلان النظام الجمهوري، واصطدم الجيش مع المتظاهرين، وأعلن محمد مصدق نفسه رئيساً

---

* امتياز التنقيب عن النفط في المناطق الشمالية، فقاد الحملة ضد ذلك محمد مصدق فلمع وبرز شعبياً. وكذلك أخذ يدعو إلى تأميم شركة النفط الأنكلو-إيرانية. وأقر المجلس النيابي قانوناً في جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ (آذار ١٩٥١ م) يقضي بتأميم الشركة المذكورة.
عُيّن رئيساً للحكومة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ، واستمر بالحكم حتى أُقيل في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م).
اعتقل، وقدّم للمحاكمة، وحكم عليه بثلاث سنوات سجناً، وبعد أن قضاها، فرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي في ٢٤ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ (٥ آذار ١٩٦٧ م).

للوزراء، ووزيراً للحربية، وعيّن آية الله كاشاني رئيساً لمجلس الشعب، وأبعد كبار الضباط الذين عيّنهم الشاه عن الجيش، ونفى أقرباء الشاه، وفرض رقابةً على مكالمات القصر الهاتفية.

أما رئيس الوزراء الذي عيّنه الشاه وهو (جاقام سلطاني) فلم يكن له أي نفوذ، ولم يلتفت إليه أحد، وأما الشاه فقد سبقته زوجته (ثريا) إلى أوروبا، ومن إيطاليا طلبت من زوجها اللحاق بها، فسافر إلى روما، وبعد ثلاثة أيامٍ عاد بتشيليق.

كثرت الفوضى، ومحمد مصدق لم يتصرّف بشيءٍ تجاه الشاه فبقي له نفوذه، وكان المفروض أن يُغيّر النظام، ويعلن سقوط الشاه وتنحيته عن السلطة ليفقد مكانته، وهذا خطأ ارتكبه محمد مصدق، وتخلّى الشيوعيون عن رئيس الحكومة لأنه لم يسر في ركابهم، ولم يدر بالفلك الروسي. وتخلّى عنه أيضاً علماء الشيعة لأنه نادى بالاشتراكية، ولم يقف في وجه الفساد، فبقيت جبهته (الجبهة الوطنية) ضعيفةً.

وخشي الأمريكان من سيطرة علماء الدين على البلاد الإيرانية وكانوا دعامةً لمحمد مصدق. أو سيطرة الروس حيث وقفت الفئات الشيوعية والاشتراكية إلى جانبه. فوصل إلى طهران (كيرميت روزفلت) ابن الرئيس الأمريكي السابق روزفلت، واستقبله في مطار طهران (أردشير زاهيدي) نجل اللواء فضل الله زاهيدي وزير داخلية محمد مصدق في الوزارة المُقالة، وأخذه إلى أبيه، وأمّن له وقوف خمسين من الضباط إلى جانبه، ووزّع مبلغ مليون دولار، وقام اللواء فضل الله زاهيدي بحركةٍ مضادةٍ، ونجح في السيطرة على الموقف، ورجع الشاه من روما.

أُلقي القبض على محمد مصدق، وقدّم للمحاكمة، وأثناء الجلسة وصف الشاه بالحمار، وصدر الحكم عليه بالإعدام بعد ثلاثةٍ وأربعين يوماً من سجنه، ولكن الشاه عفى عنه، على حين صدّق الأحكام على الذين تعاونوا مع محمد مصدق، ومنها أحكام الإعدام، ونُفّذ فيهم، واكتفى

بالحكم على محمد مصدق بالسجن ثلاث سنوات.

وفي شهر المحرم ١٣٧٤ هـ (أيلول ١٩٥٤ م) عقد الشاه معاهدةً مع إنكلترا حصلت فيها إيران على ٤٠٪ من النفط باسم الشركة الإيرانية ـ الإنكليزية للنفط، وعلى كل منشآت التنقيب والامتيازات.

وعمل الشاه بعدها على حصر نشاطات أهل العلم الديني، واستولت وزارة التعليم على جميع المدارس التي يشرف عليها أهل الدين، كما استولت الدولة على الأوقاف.

وأخذ النفوذ الأمريكي يسيطر، ويقوى على النفوذ البريطاني حتى حلّ محلّه مع الزمن. ولكن انضمت إيران إلى حلف بغداد في ١٨ ربيع الأول ١٣٧٥ هـ (٣ تشرين الثاني ١٩٥٥ م).

وبدأت المعارضة إلى الظهور مرةً ثانيةً، ففي ٢٧ محرم ١٣٨٠ هـ (٢١ تموز ١٩٦٠ م) دعا (حسن نزيه) أحد أعضاء الجبهة الشعبية إلى اجتماع في دار (فيروزأبادي)، وطالب المجتمعون بـ:

١ ـ حلّ جهاز الأمن السري (السافاك).
٢ ـ إطلاق الحريات العامة.
٣ ـ إعادة الدستور.
٤ ـ عدم تدخل الشاه في شؤون الحكم.

أخذ الأمريكان يفدون إلى إيران، يشرفون على الجيش، وعلى المشروعات الحيوية، وعلى تسيير دفة الحكم، وأرادت أمريكا أن تجعل من الجيش الإيراني أقوى جيشٍ في المنطقة لتستخدمه في الجهة التي تريد، فالسلطة في إيران ضدّ الشيوعية، فيجب أن تكون قوتها كبيرةً لدرجة تستطيع الثبات أمام الروس. وهي ثانياً ضد المحيط الذي تقع فيه، إذ أن غالبية سكانها من الشيعة، ويختلفون كلياً عمن حولهم من المسلمين، بل يحقدون عليهم، ويمكن استخدام القوات الإيرانية المسلحة إلى جانب

المسلمين إن احتاجت إليها في ذلك، وإن احتاجت إليها ضدّهم فهي ضدّهم، وهي من ناحيةٍ ثالثةٍ لا تعادي دولة اليهود في فلسطين (إسرائيل) ابنة الولايات المتحدة الصغيرة، فلا يخشى أن يكون هذا الجيش ضدّ اليهود، ومن هنا كانت عناية أمريكا الفائقة بالجيش الإيراني، إضافةً إلى أنها كانت ترغب أن تستخدمه في ضرب مراكز النفوذ البريطاني التي لا تزال أمامها وخاصةً العراق.

تقدّم رئيس الوزراء حسن علي منصور[1] باقتراح يقضي بإعطاء الأمريكان في إيران الحصانة التامة غير أن رئيس الحكومة قد لقي مصرعه في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م) بسبب اقتراحه هذا فالشعب لا يرتاح إلى الأمريكان ولا إلى غيرهم من الصليبيين الذين لا همّ لهم سوى ضرب الإسلام وامتصاص دم أبنائه.

وقام الشاه بحركة أطلق عليها اسم (الثورة البيضاء)، وتهدف إلى إخضاع رجال العلم الشرعي إليه، وأخذ جزءٍ مما يملكونه، ورفض فكرة تعدد الزوجات، فعارض الخميني هذه المقترحات المستنكرة، وأعلن عن مخالفتها للدين، فألقت الحكومة القبض عليه وهو يخطب.

عاد النفوذ الإنكليزي إلى العراق مع عودة حزب البعث إلى الحكم في ٦ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ (٣١ تموز ١٩٦٨ م) وأخذ الصراع البارد والخفي بين إيران والعراق أو بالأحرى بين النفوذين الأمريكي والبريطاني، وتجلى الخلاف بين الدولتين الجارتين على شط العرب، وعلى الحدود البرية، وأخذت إيران تحرّك الأكراد المتمردين على العراق وتحرضهم على الثورة، وتمدهم، وتفتح لهم حدودها إن اضطروا إلى الفرار من وجه القوات العراقية.

---

(١) حسن علي منصور: رئيس وزراء إيران من ٣ شوال ١٣٨٣ ـ ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٧ آذار ١٩٦٤ ـ ٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م).

وعُقد مؤتمر الدول المصدرة للنفط (أوبك) في الجزائر، وحضره نائب الرئيس العراقي صدام حسين التكريتي، وبمبادرة من الرئيس الجزائري هواري بومدين وُقّعت اتفاقية بين العراق والجزائر في ٢٣ صفر ١٣٩٥ هـ (٦ آذار ١٩٧٥ م) تم فيها التفاهم بين الدولتين حول شط العرب، وقد وقّع الاتفاقية كل من وزيري خارجية البلدين: سعدون حمادي، وعباس علي خلعتبري، وبالتفاهم بين الجارتين انهار التمرّد الكردي الذي كانت تدعمه إيران، وانتقل مصطفى البرازاني، زعيم المتمردين إلى طهران، وبعد توقيع الاتفاقية بأسبوع توقّف إطلاق النار، وتوالى صدور قرارات العفو عن الذين فرّوا من الأكراد إلى إيران، ولكن هذا لم يستمر طويلاً.

الفصل الثالث

الثورة

كانت كل الأوضاع في إيران تدعو إلى النقمة: الأوضاع الاقتصادية متدهورة رغم الإمكانات الكبيرة التي تملكها البلاد، ومنها الثروة النفطية الضخمة، والأوضاع الاجتماعية مُفككة فالحذر من كل الناس، والخوف من كل كلام، إذ العيون مبثوثة في كل مكان، وأي خبر يكفي لاحتجاب صاحبه في السجون أو غيابه في القبور، والأوضاع السياسية سيئة، فالاستبداد قائم، والظلم مستحكم، والمتزلّفون كثر، وأعضاء حزب الشاه والمقرّبون يتحكّمون بالناس، ويحتكرون البضائع والمنتجات، ويقودون الرذيلة، ويُقدّمون الشباب إليها.

مقدمات الثورة:

وتكثر الأخبار عن هذا، وتزداد الشائعات، ويتحرّق الناس غضباً، ويكادون يتميزون من الغيظ، غير أنهم يضطرون للسكوت، فأنفاسهم مكتومة ومكتوبة، والسيف مُصلت، إنهم ينتظرون الفرصة كي يثوروا، ويتحيّنون الوقت ليُعبّروا عمّا في نفوسهم.

أخذت تشيع أخبار الفساد، والاستهتار بالدين والقيم، والتبذير الذي لا يكاد يُصدّقه العقل، وأخذ الناس يُردّدون هذه الأنباء بصمتٍ وخوفٍ، وأخذت الألسن تتناقل هذه الروايات، وربما تزيد فيها حتى عمّت وانتشرت، ولم يبق إلا من تكون عنده الجرأة، يقتحم الموج لتتبعه الرعية، وتُمزّق حجاب الخوف.

١ ـ الفساد:

شاع بين الناس جميعاً أن الشاه مولع بالنساء شغوف بالمرأة، محبّ

للهو، مغرم بالشرب، ودؤوب على القمار، مفتتن بالجنس، وأنه متزوّج سراً من فتاة إيرانية تُدعى «جليدا» طويلة شقراء، تُرافقه في المناسبات، وتحضر معه كثيراً من الاحتفالات.

وأن الشاه عندما يعود من رحلاته الكثيرة من خارج البلاد يعود وروائح الرذيلة تنطلق من جسمه وشخصه، وآثار الجريمة تُلاحقه، وما أن يصل حتى تبدأ الأخبار المشينة بالوصول تباعاً، وغالباً ما تنتشر من بطانة السوء التي تُرافقه وتحلّ معه حيث حلّ.

وتشيع أخبار جزيرة «كيش» التي أعدّها، وبذل الكثير من أجل أن تكون مقرّاً للهو، ومكاناً للخلاعة، ويعدّ الأول من نوعه في العالم تجهيزاً وبضاعةً. وأصبح يطلق عليها «مونت كارلو الشرق» في حين أن «مونت كارلو» لا تعدّ جناحاً منها. وشاركه في الإعداد زوجه المصون الإمبراطورة «فرح ديبا» التي كانت أحياناً تُشرف بنفسها على بعض الجوانب، وتقترح ما تحلم به.

وتروج أنباء ما يجري داخل القصور الأميرة أشرف توأم الشاه، وما تقترفه من آثام، ونتائج تلك الأحداث، ومصير من اختارته ليشاركها في تلك الجرائم.

وينتشر الفساد في المجتمع كتقليد لما يجري في القصور، وتطبيق لما يدور، وتقليد لما يُسمع، وما يُتحدث عنه في مختلف الأوساط، ولا شك أن ما يُسمّى عند الشيعة بزواج المتعة يُؤدّي دوره في انتشار الفساد، وهو مخالف لتعاليم الإسلام، وقد حُرِّم في خيبر بعد فتحها، وأكّد تحريمه بعد فتح مكة. ومما ساعد على انتشار الفساد تلك الزيارات التي تنطلق إلى مدينة مشهد حيث يقوم هناك ضريح علي الرضا بن موسى الكاظم إمام الشيعة الثامن المتوفى عام (٢٠٣ هـ)، ويسود الاعتقاد لدى النساء أن العاقر منهن تنجب بعد تلك الزيارة، وأن من لم يأتها زوج، يُقدّر لها الزواج بعدها، وهناك تحدث حوادث ليست طيبة نتيجة الاختلاط، والمقاصد التي تتمّ من أجلها الزيارة، وكل ذلك أباطيل وخرافات. وما أشدّ ما يحدث الفساد مع الجهل وشيوع الخرافة.

كانت الأميرة أشرف تلهو وتختار من يعجبها ثم تقضي الليالي معه والأيام رغم أن لها زوجاً وأولاداً.

٢ ـ الإسراف:

وتنتشر أخبار التبذير والإسراف الذي لا يكاد يقبله عقل لكثرته. فالاحتفالات التي تُقام في القصور وما يتخلّلها، وحفل تتويج «فرح ديبا» إمبراطورةً على إيران، وما أنفق في ذلك الحفل، على الثياب، والهدايا، والدعوات، والحفل يكاد يعدّ من الأساطير.

وما أنفق على إعداد وتجهيز جزيرة «كيش» لتكون مقرّاً للهو والفجور لا يكاد يُصدّق، وما يدفع للواتي يُجلبن من كل جهات العالم يعجز المرء عن وصفه.

وما تكلّف رحلات الشاه إلى الخارج مع إمبراطورته يُرهق ميزانية الدولة، طائرة تنقل الجياد، وأخرى تحمل السيارات الخاصة، وثالثة عليها ثياب الإمبراطورة، ورابعة مخصصة لسلاح رجال «السافاك»، وخامسة لأغراضهم، وتأتي الأخيرة وعلى متنها الشاه والإمبراطورة ويظهران بعد أن تقف الطائرة بلباس الرياضة، أو بثياب الزفاف، وربما بالزي العسكري.

وما أنفق على احتفال إيران بمرور ألفين وخمسمائة عام على إنشاء الدولة الفارسية التي بناها (داريوس) عام خمسمائة وثلاثين قبل الميلاد، وذلك عام ١٩٧١ م.

وفوق كل هذا فعائلة الشاه تتصرّف بالخزينة كما يحلو لها، بل وبالرواتب أحياناً، فقد أوقفت ثريا مرةً رواتب الموظفين والضباط، وكانت تتدخّل في كل شيء. وتحتكر الأسرة زراعة المادة التي تريدها، وصناعة البضاعة التي تراها، وتجارة السلع التي ترغبها. فقد كان الأمير محمود رضا يحتكر زراعة الخشخاش الذي تُصنع منه المخدرات.

٣ ـ المروق:

يشيع بين الناس أن الشاه لم يذهب مرةً واحدةً إلى الصلاة. وأنه أقرب إلى الديانة الزرادشتية منه إلى الإسلام، وتُروّج أخبار أحياناً أنه ينتمي إلى فرقة البهائية الكافرة، وتنتشر أنباء أنه أراد تحويل الحج من مكة المكرمة إلى مدينة مشهد، وقد بنى تمثالاً للفردوسي هناك.

ولا شك أن الفجور، واللهو، والإسراف من علامات البعد عن الدين، وكان يستهتر بالقيم، ويزدري رجال العلم حيث لم يقدر قوتهم وتأثيرهم على الرعية رغم انتشار الجهل والفساد في مختلف الأوساط الشعبية، لأن بطانة السوء التي تلتفّ حوله مشغولة عن معرفة الواقع بما هو مشغول به سيّدها إذ همّها همّه، وتزيد عليه بمحاولة إتقان التزلّف، وإظهار التبعية، وتقمّص شخصية الموالين، وتمثيل دور المحبّين للشاه المضحّين بأنفسهم في سبيل العرش والنظام القائم.

شكّل هذا التصرّف من قبل الشاه وأسرته وبطانته، ونقد الرعية له قاعدةً عريضةً تكره الاستبداد وتعمل بالخفاء ضدّ المتسلطين والنظام، وهذا ما أخاف الشاه على نفسه، وأخاف الأسرة جميعاً على أنفسهم، وأراد اتقاء ذلك فجعل حوله سوراً من الجند والأحراس.

٤ ـ الظلم:

أوجد الشاه نظاماً خاصاً سرياً لحماية نفسه أطلق عليه اسم «السافاك»، ويُقال أن عدد أفراده بلغ خمسين ألفاً، وأعطاهم صلاحياتٍ واسعةً، كما منحهم امتيازاتٍ خاصة، ولما كانوا يعلمون مُهمّتهم وأنها التضحية والإلقاء بالنفس، ويرون أن من حقهم أن يأخذوا مقابل ذلك، وأنه باستطاعتهم التصرّف والأخذ من ذاتهم، ووظيفتهم تخولهم ذلك، لذا كانوا يشتطّون في الأخذ، ويُغالون في السلب، ومن اعترض سبيلهم ألقوا به في السجن، أو قضوا عليه، وحاكوا له تهمة تُبرّر لهم عملهم، ولا يمكن لأحدٍ الوقوف في وجههم، وبذا فقد انتشر الظلم، وطغيان بعض الناس على بعضٍ، وخمسون ألفاً مُوزّعون في أنحاء

البلاد يُسيئون كثيراً إضافةً إلى من يدعمونهم قرابةً، أو معرفةً، أو لمصلحةٍ من مصالحهم.

وشعر أفراد أسرة الشاه أنهم محميّون، وأن أخبار ما يجري داخل البلاد يصل إليهم تماماً، وأن ما يحدث في السرّ لا يخفى عليهم لأن عيونهم مبثوثة في كل مكانٍ لذا فقد تمادوا في ظلمهم، وساروا في غيّهم دون مُبالاةٍ، لا يهمّهم سوى لهوهم، وتأمين شهواتهم، وتحقيق مصالحهم، وهم يمشون في ذلك، والأيام تُسرع في هلاكهم.

ورأى الشاه أن يكون له خلف ذلك جيش يحميه وأسرته خوفاً من تعدّي الجوار، وأطماع الطامعين في ثروة البلاد وغناها، فأخذ في بناء جيش وإعداده ليكون أكبر جيشٍ في المنطقة، ولم يكن هذا الجيش للدفاع عن البلاد بمقدار ما هو للدفاع عن النظام، وشخصية الشاه.

٥ ـ الارتباط:

إن الجهاز الخاص يحتاج إلى سلاحٍ، والجيش يحتاج إلى سلاحٍ، والسلاح الحديث الفعّال، لا يُعطى إلا بثمنٍ، ولا تُزوّد به بلاد إلّا باتفاقاتٍ غالباً ما تكون مُجحفةً بحقّ البلاد المستوردة، ولا يُقدّم إلّا بأسعارٍ باهظةٍ ما دام الذي يشتريه بحاجةٍ ماسةٍ إليه، وهو لا ينتج صناعته، ولا يعرف فنّه، ولا يتقن سر إنتاجه، وربما لا يُفكّر في هذا، فهو بلد متخلّف ويستطيع تأمين السلاح بالتنازل عن حقّه في أرضه، وعن شيءٍ من سلطانه، وعن تأمين تنفيذ مخططات خصمه، فهو حسب ظنّه لا يخسر شيئاً ما دام يحمي نفسه، وهذا كلّ مُهمّته في الحياة، ومن هنا يكون الارتباط.

وورث الشاه الحكم وبلاده محتلّة من الروس والإنكليز أو من الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ولا يمكنه إخراجهم إلا باتفاقٍ أو تنازلٍ أو ارتباطٍ، وهذا ما كان فاستقلّت البلاد ظاهراً، وارتبطت حقيقةً. وإن لم يكن ارتباط يتلقّى كل أمرٍ، فهو لحاجة كل شيءٍ، وللهزيمة النفسية، والشعور بالنقص.

وحدث الأحلاف، وانقسم العالم إلى معسكرين، وليحمي نفسه من معسكرٍ لا بدّ له من إلقاء نفسه في المعسكر الآخر أو أمامه. ولما كانت إيران على تخوم المعسكر الشرقي، ويخشى من توسعه الذي ليس له حدود، وأطماعه التي لا تنتهي، لذا فخوفه من هذا الجانب، كما أن الجانب الآخر يزيد من تخوّفه، ويُلقي في نفسه الروع لينضمّ إليه، أو ليأتيه صاغراً، فهذا ما كان، إذا غدا بجانب المعسكر الغربي، ومن بين أعضائه، فيتصرف الشاه بتوجيهات سدنة ذلك النظام، وحسب مصلحة ذلك الحلف، وفي فلكه، ووفق مخططاته ولو كانت ضدّ بلاده، وضدّ أمته، وضدّ عقيدته. ولعلّنا سنذكر - إن شاء الله - جوابه لأحد أعوانه عندما اقترح عليه أن يستعمل سلاح الجو ضدّ الثورة لحماية نفسه أجابه أن الفكرة رائعة ولكن سلاح الجو لا يتلقّى التعليمات مني وإنما يتلقاها من واشنطون.

وكل هذه الأخبار تشيع بين الناس، وتعمل عملها، فتثير الغيظ، وتملأ النفوس حقداً، وتجعلهم يتحرّكون للعمل، ويتحركون للانتهاء من الشاه ونظامه.

بداية الانقسام:

كان المتدينون أكثر الناس حقداً على نظام الشاه لموقفه من الدين، وإشاعته الفساد، وانسلاخه من القيم والأخلاق، وارتباطه بالأعداء من اليهود والصليبيين، واستبداده، وظلمه، وتبذيره وسفهه، وتبديد أموال الأمة، وهذه كلها مخالفة للدين، وتوجب الخروج عليه، وبرز من بين العلماء الشيعة آية الله الخميني الذي أسّس الاتحاد الإسلامي في بداية العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري فكان يرفض كل ما يأمر به الشاه، كما يرفض كل ما يسنّ المجلس النيابي من قوانين أو ما يُصادق عليه لأنه يصدر عن هيئة غير مخولة، ولا تنطبق عليها الصفة الشرعية.

وسخط الخميني على الشاه عندما أعطى الحصانة السياسية للخبراء والمستشارين الأمريكيين، وقام يهاجمه، وينتقد الوضع، وكان نتيجة ذلك

أن اغتيل رئيس الوزراء حسن علي منصور في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ (٢١ كانون الثاني ١٩٦٥ م) لأنه صاحب مشروع تلك الحصانة.

وعمل الشاه على ما أطلق عليه اسم «الثورة البيضاء» التي تهدف إخضاع رجال الدين، وأخذ جزء مما يملكونه، ورفض تعدد الزوجات، فعارض الخميني هذه المقترحات المستنكرة، وأعلن مُخالفتها للدين، فأُلقي القبض عليه، وهو يخطب، فقامت المظاهرات التي تستنكر اعتقال الخميني، ووقعت مصادمات ذهب ضحيتها آلاف القتلى، واضطر الشاه إلى الأمر بإطلاق سراح الخميني خوفاً من استمرار المظاهرات، وذهاب المزيد من الضحايا. ولكن ما أن هدأت الأحوال حتى جاء الأمر باعتقال الخميني ثانية، وذلك بعد عدة أسابيع من الاعتقال الأول، وهي المدة التي اقتضت لهدوء الأوضاع. ثم أمر بنفيه خارج البلاد، فانتقل إلى تركيا، وعاش فيها ما يقرب من أحد عشر شهراً، وبعدها سافر إلى العراق، وعاش في مدينة «النجف»، وأخذ بإلقاء الخطب، ويتحدّث عن الأحوال في إيران، وكانت خطبه مُؤثّرة يتداولها الناس، وتدخل إلى إيران، ويتناقلها أتباعه ومريدوه، ومنهم تنتقل إلى أوساط الشعب حيث تجد تجاوباً في النفوس. ولما كان هناك خلاف بين العراق وإيران فإن العراق كانت تسكت عما يقوم به الخميني وربما كانت تُشجّعه، فلما تمّ التفاهم بينهما بعد اتفاقية الجزائر الموقّعة في ٢٣ صفر ١٣٩٥ هـ (٦ آذار ١٩٧٥ م)، وأعطت العراق حق المرور في شط العرب لإيران التي تعهدت في الوقت نفسه عدم دعم الأكراد المُتمرّدين في العراق. وعندها طلبت العراق من الخميني السكوت إن أراد البقاء في النجف، وإلا فما عليه إلاّ الرحيل، وسكت الخميني.

وفي نهاية عام ١٣٩٧ هـ مات في النجف مصطفى الخميني ابن عم آية الله الخميني، وعمره تسع وأربعون سنة، وعدّ أعداء الشاه أن مصطفى الخميني قد ذهب اغتيالاً بأيدي النظام السري الإيراني (السافاك)، وقامت المظاهرات، وحدثت مصادمات، وذهب ضحيتها سبعون قتيلاً. وأُجبر

آية الله الخميني على مُغادرة العراق، ورفضت الكويت استقباله فسافر إلى فرنسا.

وبرز الخميني بعد هذه الأحداث، وأخذت المعارضة تُلقي قيادها له، فقد صرح مهدي بازركان أحد قادة الجبهة الوطنية (جبهت ملي) أن أغلبية الشعب في إيران قد اختارت الخميني ليكون قائداً لها.

بدأ الخميني نشاطه السياسي في فرنسا، وكانت كلماته تُسجّل وتُرسل إلى إيران فتعمل عملها في المجتمع، وتحرّكه ضدّ نظام الشاه في الوقت الذي كان فيه الشاه سادراً في غيّه، لم يُعطِ المعارضة قدرها، وبطانته لم تُبلغه وزن الحركة الصحيح لأنهم نيام مشغولون بمصالحهم، ويظنّون أن الأمر سهل، ويمكن القضاء على المقاومة بيُسرٍ لقوة الجيش، وقدرة النظام السري الخاص «السافاك».

بدأت أعمال العنف في مدينة «قُم» في نهاية الشهر الأول من عام ١٣٩٨ هـ (٨ كانون الثاني ١٩٧٨ م)، وبعد أربعين يوماً انتقلت إلى مدينة «تبريز»، ثم اجتاحت المدن الأخرى.

وجاء شهر رمضان، وقامت المظاهرات في المدن تُطالب بإغلاق المطاعم، ودور الصور المتحركة، والمصارف الربوية خلال شهر رمضان، وحذّرت المخالفين من أعمال العنف التي ستتخذ ضدّهم. فأعلنت نقابة دار الصور المتحركة (السينما) أنها ستُنفّذ ما طلب منها ما لم تتخذ إجراءات أمنية لحمايتهم، وصرّح رئيس الوزراء جعفر شريف إمامي أنه على صلة بالقيادات الدينية، وأن الحريات السياسية الموجودة قد استغلّت ضدّ الشعب.

وفي يوم الجمعة ٦ شوال ١٣٩٨ هـ (٨ أيلول ١٩٧٨ م) قامت المظاهرات، ووقعت الصدامات بين الشرطة والمتظاهرين سقط فيها أكثر من أربعة آلاف قتيل، حتى سُمّي ذلك اليوم يوم الجمعة الدامي.

ومع الأحزان التي عمّت البلاد ذلك اليوم فإن القصر قد ازدان، وعمر بالأفراح والحفلات، فبدأ النقد، غير أن الشاه قد شعر بما أقدم عليه فقام مع الامبراطورة بزيارة إلى مدينة «مشهد» كردّ فعل بإظهار التمسّك ببعض مظاهر الأخذ بالعادات الشيعية.

أعلن رئيس الوزراء الأحكام العرفية في ٩ شوال ١٣٩٨ هـ (١١ أيلول ١٩٧٨ م)، فقامت المظاهرات في مدينة «قُم» في ١٥ شوال مُتحدّية حظر التجوّل، وحصلت صدامات ذهب ضحيتها ألفان وأربعمائة وخمسون قتيلاً. وأعلن الشاه أنه لا يعتزم التنازل عن العرش ردّاً على الشائعات التي انطلقت تتحدّث عن رغبة الشاه في ترك الحكم، أما علماء الشيعة فقد أعلنوا الحداد على ما حدث وامتنعوا عن إلقاء الخطب. وفي هذا الجو المشحون أقام الشاه حفلةً غالى فيها بتبديد أموال الدولة، وبالغ في إظهار المفاسد والمجاهرة بالمنكرات. وفي هذه الحفلة صفع الشاه رئيس الوزراء الذي ترك الاحتفال، وفي اليوم التالي غادر البلاد، فكان أول المغادرين.

وأُشيع أن الشاه مصاب بسرطان الدم، ويأتي كل أسبوعٍ طبيب إسرائيلي، ويقوم بتغيير شاملٍ له للدم، كإعطاء بارقة أملٍ للخلاص من هذا الطاغية وكنقدٍ وتجريح على أنه يتعامل مع إسرائيل، وأنه على صلةٍ وثيقة بأبنائها، وعلى ثقةٍ بهم، وهم الذين اغتصبوا فلسطين من ديار الشام، وشرّدوا أهلها، وانتهكوا حرمة المسجد الأقصى.

وفي ٩ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ (١٠ تشرين الأول ١٩٧٨ م) أعلن الخميني من مقرّ إقامته في ضاحية باريس أن الحكومة الإيرانية قد دعته ليكفّ عن نشاطه السياسي، كإعلام أن الحكومة في أشد الأوضاع حرجاً، وأنها وشيكة الانهيار.

وفي ١٠ ذي القعدة امتد لهيب المظاهرات إلى أربعين مدينة من بينها كبريات المدن الإيرانية كطهران، وتبريز، وأصفهان، وشيراز، ومشهد، والأهواز. وقاطع الطلاب ابتداء العام الدراسي. واستقالت حكومة جعفر

شريف إمامي[1]، وكُلِّف رئيس الأركان غلام رضا أزهري[2] بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ في ٧ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ (٧ تشرين الثاني ١٩٧٨ م).

دعا الشاه علماء الشيعة للتعاون معه في سبيل إعادة النظام فلم يجد إذناً صاغيةً من كبارهم، وإن وعد بعضهم فذلك في سبيل التهرّب، وعدم إدانة نفسه. ومن أبدى منهم استعداداً فإن الشاه لا يريدهم لأنهم ليسوا على المستوى المطلوب، ومن يعرض شخصه يهن نفسه.

أعلن الحاكم العسكري لمدينة طهران الجنرال غلام علي أوفيسي الأحكام العرفية، وصرّح أنها ستُطبّق بمنتهى الصرامة، وأمر بإغلاق المدارس مدة أسبوع. واحتلّ الجيش مباني الصحف، والإذاعة، والتلفزيون، وأُلقي القبض على عشرين من السياسيين والصحفيين.

واقترح حاكم طهران العسكري الجنرال غلام أوفيسي على الشاه

---

(١) جعفر شريف إمامي: ولد في طهران عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م)، ودرس في طهران، وتابع دراسته في ألمانيا فتخرج مهندساً، وانتقل إلى السويد، وأكمل دراسته الفنية، ورجع إلى إيران، وترقى في المناصب، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ ١٣٧٥ هـ، ثم تسلّم منصب وزير الصناعة والمعادن في وزارة منوجهر إقبال عام ١٣٧٧ هـ، حتى استقالت الوزارة، فعهد إليه بتشكيل الحكومة الجديدة واستقالت حكومته ١٣٨١ هـ، فعمل بعدها رئيساً لمجلس الشيوخ مدة خمسة عشر عاماً. وعهد إليه ثانية بتشكيل الحكومة في ٢٥ رمضان ١٣٩٨ هـ (٢٨ آب ١٩٧٨ م) حتى ٥ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ أي أقل من شهرين ونصف، وفرّ بعدها إلى أوربا.

(٢) غلام رضا أزهري: ولد في شيراز ١٣٣٥ هـ، وتلقى علومه العسكرية في إيران والولايات المتحدة، وهو من البهائيين، وعندما رجع ترقى في الرتب العسكرية، وأصبح مديراً للكلية العسكرية ١٣٨٠ هـ، وقائد القوات البرية ١٣٨٣ هـ، ومثّل إيران العسكري في منظمة المعاهدة المركزية (حلف بغداد)، ثم رئيساً للأركان ١٣٩١ هـ، وقائداً للحرس الإمبراطوري حتى ٢٤ شعبان ١٣٩٨ هـ، ثم رئيساً لهيئة الأركان العامة المشتركة، وأخيراً عهد إليه بتأليف الحكومة في ٦ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ، ثم استقال في ٦ صفر ١٣٩٩ هـ، وفرّ إلى أوربا.

تدمير مدينة «قم» فسأله الشاه عن تقديره لعدد الضحايا، فأجاب مليون قتيل، فلم يُوافق الشاه، فطلب الجنرال من الشاه السماح له بمغادرة البلاد، فسمح له، فسافر إلى باريس، وهناك كانت نهايته إذ وجد مذبوحاً بعد خمس سنوات.

أما الخميني فقد اجتمع في باريس مع قادة المعارضة في سبيل التنسيق للحركة. وزادت المظاهرات نشاطاً، وكانت كلها تهتف ضدّ الأسرة البهلوية، وضدّ الشاه بالذات.

وفي الثالث من أيام العيد الأضحى ١٣٩٨ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٧٨ م) أُلقي القبض على كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية. وأخذت رجال «السافاك» تتفنّن في أعمال التعذيب للسجناء السياسيين.

وبدأ تهريب الأموال فقد خرج من البلاد في هذه الأونة ألفان وأربعمائة مليون دولار، هُرِّبت لأقرباء الشاه، ومنهم الإمبراطورة فرح ديبا، وأبناء الأميرة أشرف أخت الشاه.

الثورة:

جاء يوم عاشوراء بدء حداد الرافضة، وسير المواكب الشيعية التي تتخللها حوادث اللطم، والندب، والضرب، وتلك الخرافات، فأصدرت الحكومة أمراً بحظر المواكب الشيعية، ولكن زعماء المعارضة طالبوا الحكومة بسحب القوات العسكرية من الشوارع من أجل تلك المواكب حيث قرروا السير فيها.

وفي اليوم التالي لعاشوراء تدفّق مليونا متظاهر يهتفون «الله أكبر» ويلبسون ثياب الحداد التي اعتاد الرافضة أن يلبسوها في مثل هذه الأيام، وقد نظموا أنفسهم في ثمانية مواكب، وكان على رأس إحداها آية الله الطالقاني أحد مساعدي الخميني.

كان الجيش على استعداد، والطائرات العامودية تحلّق في الجو،

وتُراقب الموقف فوق المتظاهرين، وجاءت الطائرات الأمريكية لتنقل رعايا الولايات المتحدة من البلاد، أو لتؤدي دوراً مُكلّفةً به. وقامت مظاهرات أخرى في «قم» و «مشهد» و «تبريز» و «أصفهان»، ووقعت صدامات بين الجيش والمتظاهرين إذ رشق الذين يسيرون في المواكب الجيش بالحجارة، وقاموا بإحراق السيارات. وهدّد رئيس الوزراء بوقف رواتب الموظفين المؤيدين للمعارضة. وتكتل أنصار الحكم.

دعا آية الله الخميني الشعب إلى الجهاد. . . واشتعلت نار الثورة بعد أن كانت مُظاهرات تُبدي المعارضة، أو تعمل مُتحدّيةً للسلطة فإذا بها الآن تُطالب بإسقاط النظام واستلام السلطة.

وفي ٢٦ محرم ١٣٩٩ هـ (٢٦ كانون الأول ١٩٧٨ م) حاول المتظاهرون اقتحام السفارة الأمريكية في طهران، فقذفهم رجال المشاة البحرية الأمريكية بالقنابل المسيلة للدموع، فقام المتظاهرون بقذف السفارة والقوات المدافعة عنها بالحجارة.

لقد قويت الثورة، وأصبح الشاه والسلطة يُحاولان استرضاء علماء الشيعة، ويطلبان رضا الشعب، وقام الشاه ببعض الأعمال مُحاولاً كسب الشعب إلى صفّه، وامتصاص النقمة وربح الوقت. لقد أمر باعتقال أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الأسبق المفضل لديه، والذي بقي في السلطة ما يقرب من اثني عشرة سنة ونصف مُتهماً إياه بالاستغلال والفساد. واستدعى كذلك سفيره في باكستان الجنرال نصيري، وكان من قبل رئيساً لنظام السافاك، ولما وصل إلى طهران أمر باعتقاله أيضاً مع أمير عباس هويدا متهماً إياه بالتهمة نفسها، ومسؤولية خراب البلاد ودمارها.

وفي الأول من شهر صفر عام ١٣٩٩ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٧٨ م) أقال ثلاثمائة وأربعين رجلاً من قيادة الشرطة السرية (السافاك) إرضاءً للمعارضة.

وتحدّث إلى الشعب في التلفزيون فخاطبهم (لقد سمعت نداءكم

وها أنذا مُعتذراً إليكم، سأفعل ما تأمرون، وها أنا أمدّ يدي إلى رجال الدين العظام ليساعدوني في حلّ مشكلات البلاد). لقد كان هذا الخطاب انتحاراً للشاه وإيذاناً بنهاية نظامه إذ بدا بمظهر الضعيف المسكين الذي يستدر عطف الشعب إليه، ويستجدي الرضا من خصومه علماء الشيعة الذين وصفهم في خطابٍ عامٍ بالكلاب النابحة التي لا ترى ضوء القمر، وذلك قبل ثلاثة أشهرٍ فقط من الآن.

وطلب من شابور بختيار أحد قادة الجبهة الوطنية تشكيل حكومةٍ جديدةٍ بعد أن أقال رئيس الوزراء الجنرال غلام رضا أزهري. وكان شابور بختيار قد قضى عدة سنواتٍ في سجن الشاه، كما أن الشاه رضا بهلوي والد الشاه محمد رضا بهلوي قد قتل والد شابور بختيار في السجن خشية نفوذه وسلطانه. وقبل شابور بختيار التكليف فطردته الجبهة الوطنية من عضويتها. وافق شابور بختيار على تشكيل الوزارة بشرطين: الأول: حلّ جهاز السافاك. الثاني: مُغادرة الشاه لإيران لمدةٍ طويلةٍ يحلّ محلّه أثناءها مجلس الوصاية ليكون حراً في اتخاذ القرارات. لكن الجبهة رفضت من أحد قادتها هذه الموافقة لتشكيل الوزارة ومُحاولة إنقاذ الوضع المنهار على يديها، وهي التي عملت طويلاً لإسقاطه، وأصرّت على طرده من عضويتها.

شكّل شابور بختيار الوزارة في ٧ صفر ١٣٩٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م)، وهي حكومة مدنية ويبدو عليها الضعف، وصرّح رئيس الوزراء أن الشاه سيُغادر طهران قبل يوم الخميس في إجازة، وأنه سيزور إحدى دول الشرق الأدنى، أو دولة أوروبيةً قبل التوجّه إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أما أحد رجال القصر فقد صرّح أن الشاه لن يُغادر البلاد قبل حصول حكومة شابور بختيار على الثقة. وصرّح الشاه للعسكريين أنه يُفضّل مغادرة البلاد على أن يقوموا بانقلابٍ عسكريٍ عند غيابه. وشكّل الشاه مجلس وصاية دليل عزمه على الرحيل.

أعلن الخميني أن مجلس الوصاية غير شرعي، وأنه يتوقع إقامة حكومة إسلامية.

وفي ٨ صفر ١٣٩٩ هـ (٧ كانون الثاني ١٩٧٩ م) صرّح آية الله حسين منتظري، وقد عاد من مقابلة الخميني، رفض أية حكومة طالما بقي الشاه، ولن تقبل سوى سقوط الشاه لإقامة جمهورية إسلامية.

أعلنت الولايات المتحدة عن سفر الشاه في ١٢ صفر على حين أنه كان لا يزال في طهران، ولم يُحدد بعد يوم سفره وهذا يدلّ على رغبتها في التخلّص منه إذ انتهى دوره معها، وتفتش عن بديلٍ لها يخلفه، وبعد خمسة أيام غادرت العائلة المالكة البلاد، وأعلن (كارتر) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٨ صفر أن الشاه الآن في القاهرة، وهو في طريقه إلينا.

وفي ٢٠ صفر ١٣٩٩ هـ (١٩ كانون الثاني ١٩٧٩ م) أخذت المظاهرات بالازدياد، وفي اليوم التالي أعلن الخميني أنه لن يتولّى رئاسة البلاد، ولن يقبل هذا المنصب، وأن إيران ستقطع علاقاتها مع إسرائيل الدولة التي لوّثت أرض فلسطين من الشام، وقامت على الاغتصاب.

وفي ٢٥ صفر ١٣٩٩ هـ أصدر رئيس الوزراء الإيراني شابور بختيار أوامره بإغلاق المطار، وأصرّ على إنهاء المهندسين والفنيين بالمطار إضرابهم المستمرّ من أسبوع، وذلك خوفاً من إرسال طائرة إيرانية لإحضار الخميني. وكان الجيش يُحاصر المطارات.

وحدث صراع قرب السفارة الأمريكية بين أنصار الخميني وأعوان الشاه.

وأعلن الخميني أنه سيصل إلى طهران قبل يوم الجمعة، وصرّح محمد يزدي أن الخميني سيأتي ولن يستطيع رئيس الحكومة أن يحول دون هبوط طائرته في مطار طهران. وكان يُرافق الخميني كل من: أبو الحسن بني صدر الذي تولّى الرئيس الأول للجمهورية، وصادق قطب زاده الذي تسلّم منصب وزارة الخارجية، وإبراهيم يزدي الذي درس في أمريكا، وعمل طبيباً

هناك، وتزوج من أمريكية، وحصل على الجنسية الأمريكية.

اقتحم المتظاهرون قصر الأميرة أشرف أخت الشاه، ووجدوا فيه ما يذهل من وسائل الفساد، ومظاهر الترف، وتبديد الأموال. وأخذت فضائح القصر تنتشر، وتُعرف يوماً بعد يوم، وتشيع بسرعة، ويتناقلها الناس، وربما سرت أخبار مبالغ فيها لما يضمرونه من كرهٍ للشاه وأهله.

وصل الخميني إلى طهران ٤ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (الأول من شباط ١٩٧٩ م)، وكان الوقت ظهراً واتجه إلى الصلاة، وأعلن أن رحيل الشاه نهاية المطاف، فالأهم من ذلك إنهاء التسلّط الأجنبي. ونقل التلفزيون الإيراني وقائع استقبال الشعب للخميني.

وحاول رئيس الوزراء شابور بختيار القيام بحركةٍ ولكن لم يجد تجاوباً من الضباط، وكان الخميني قد صرّح بأنه لن يتحدّث مع شابور بختيار إلا إذا قدّم استقالة حكومته.

وهكذا استمرت الثورة سنةً كاملةً ذهب ضحيتها ٧٦،٣٦١ قتيلاً، وعشرات الآلاف من الجرحى والمشوّهين، وحدثت اشتباكات بين القوات الجوية والحرس الجمهوري، كما جرى انقسام الجيش على نفسه بين ١٢ - ١٥ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٩ - ١٢ شباط ١٩٧٩ م) وأدّى إلى سقوط حكومة شابور بختيار.

منذ أن وصل الخميني إلى طهران كان في استقباله في مطار (مهرآباد) الدولي ما يقرب من ستة ملايين إنسان، وأعلن الخميني عدم شرعية حكومة شابور بختيار، وعيّن مهدي بازركان رئيساً للوزراء[1]، وكانت

---

(١) شكّل مهدي بازركان حكومته على النحو الآتي:

١ ـ مهدي بازركان: رئيساً للوزراء.
٢ ـ كريم سنجابي: وزيراً للخارجية.
٣ ـ صدر حاج سيد جوادي: وزيراً للداخلية.
٤ ـ علي أردلان: وزيراً للمالية والاقتصاد.
٥ ـ اللواء طاقي رياحي: وزيراً للدفاع.
٦ ـ علي شريعتمداري: وزيراً للثقافة.

حالة الفوضى، إذا وُجدت وزارتان، ولا بدّ من أن تطغى إحداهما على الأخرى.

أعلنت حكومة شابور بختيار الحكم العسكري في ١٧ ربيع الأول، وفرضت منع التجوّل، وأعلن الخميني العصيان، وانطلقت ملايين الناس إلى الشوارع، واتجهت نحو الثكنات العسكرية، وإلى مقرّ السلاح الجوي، وإلى مركز جهاز السافاك، وإلى قيادة قوات الصاعقة التي يقودها قائد حرس الشاه، وحصلت بعض الصدامات، ووقع بعض القتلى، واستولى الناس على كمياتٍ من الأسلحة.

جاء القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال قرباغي إلى الخميني، وأعلن استسلامه، وحياد الجيش في المواجهة التي تحدث في المدن بين مؤيدي النظامين. وعادت القطعات العسكرية إلى مواقعها بناءً على أوامر الجنرال قرباغي، وأعلن الخميني قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ألقى المتظاهرون القبض على شابور بختيار رئيس حكومة الشاه ونقلوه إلى مقر رئيس الوزراء الجمهوري مهدي بازركان، الذي هيّأ له وسيلة الهرب وفاة للزمالة، وفرّ إلى فرنسا.

(*) والتعليم العالي.

٧ – غلام حسين شوكوهي: وزيراً للتعليم.

٨ – حسان إسلامي: وزيراً للاتصالات.

٩ – مصطفى كاتيرائي: وزيراً للإسكان والتنمية.

١٠ – يوسف طاهري خزوائي: وزيراً للطرق والتجارة.

١١ – داريوش فوروهار: وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

١٢ – محمود أحمد زادة: وزيراً للصناعة والمعادن.

١٣ – علي أكبر موانيغار: وزير دولة.

١٤ – يد الله سحابي: وزير دولة للموضوعات الحركية.

١٥ – عباس تاج: وزيراً للطاقة.

١٦ – علي محمد إيزادي: وزيراً للزراعة.

١٧ – ريزا صدر: وزيراً للتجارة.

١٨ – ناصر ميناشي: وزيراً للدعاية والإعلام.

١٩ – هاشم صباغيان: نائباً لرئيس الوزراء.

٢٠ – أمير انتظام: نائباً لرئيس الوزراء للعلاقات السياسية.

٢١ – إبراهيم يزدي: نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الحركية.

٢٢ – كاظم سامي: نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للصحة.

كانت (روزالين) امرأة الرئيس الأمريكي (كارتر) تطمئن الإمبراطورة الإيرانية (فرح ديبا)، وينتظر الشاه من الولايات المتحدة أن تُطفئ النار في إيران، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح ضمن دائرة اللعبة الدولية.

واقترح على الشاه أن يُقلع سلاح الطيران الإيراني من قواعده، ويهبط في بلدٍ صديقٍ لعلّ الشاه يستخدمه مرةً أخرى فيما إذا واتته الظروف، فأجاب الشاه: الفكرة رائعة ولكن يصعب تنفيذها لأنه لا يستطيع إصدار أمرٍ واحدٍ إلى سلاح الطيران إذ يتلقّى أوامره من (واشنطون).

وكان قد جاء الجنرال الأمريكي (هويزر) إلى طهران قبل عدة أيامٍ من خروج الشاه من إيران، ويعدّ هذا الجنرال الرجل الثاني في سلاح طيران حلف شمالي الأطلسي، وقد قابل مع السفير الأمريكي الشاه، وهو الذي دفعه إلى الخروج من إيران.

كان الأمريكيون يرون أن الشاه لم يعد موضع ثقتهم بعد أن زلزلت الأرض تحت أقدامه، وظنّوا أنه بالإمكان إقامة حكومةٍ مدنيةٍ تستطيع الوقوف في وجه الثورة فيما إذا دعمتها الولايات المتحدة بشكلٍ كافٍ، واعتقدوا أن أعوان محمد مصدق هم الذين يمكنهم القيام بهذه المهمة، ويكونوا في الوقت نفسه قد جزّأوا أعوان الثورة فيما إذا تمكنوا من سحب أعوان مصدّق إلى جانبهم، ومن هذا المنطلق اختير شابور بختيار رئيساً للوزارة فلم يؤدّ الغرض المناط به.

ورأى الأمريكيون أن يبلغوا الشاه أنه يمكنهم الاحتفاظ بقوةٍ كبيرةٍ من القوات الأمريكية على مقربةٍ من السواحل الإيرانية لردع أي تدخّلٍ أجنبيٍ، ليكون للشاه الاختيار في الدفاع عن نفسه أو الهرب من البلاد، وهذا كل ما بإمكانية الولايات المتحدة أن تفعله لمصلحته، ولكن السفير الأمريكي (سوليفان) لا يمكنه أن يبلغ ذلك للشاه عن طريق الهاتف، لذا فقد أرسل الرئيس الأمريكي (كارتر) مبعوثاً خاصاً، هو (روبرت بيرد) زعيم الأغلبية في

مجلس الشيوخ الأمريكي، وهو زوج ابنة أحد الإيرانيين[1]. ثم أردف بالجنرال (هويزر).

أمر (هويزر) كبار الضباط الإيرانيين أن يكونوا وراء (شابور بختيار)، لكن العلاقات لم تكن حسنةً بين الطرفين، لذا فقد قدّموا له تقارير غير صحيحةٍ عن الوضع على الساحة الإيرانية، ومن هؤلاء الضباط: رئيس جهاز السافاك (جهاز الأمن السري)، وقائد قوات المظليين (خسروداد)، وقائد القوات البرية (أويسي).

وعندما وصل الجنرال الأمريكي (هويزر) إلى طهران في ٤ صفر ١٣٩٩ هـ (٣ كانون الثاني ١٩٧٩ م) استاء السفير الأمريكي (سوليفان) الذي كان يرى أنه من الضرورة إبقاء العسكريين بعيدين عن المسرح السياسي.

كان مهدي بازركان، وآية الله سانجاني قد قادا الحركة ضدّ الحكومة، فألقي القبض عليهما، ثم توسّط لهما رئيس جهاز السافاك فأفرج عنهما.

وفي ١٧ صفر ١٣٩٩ هـ (١٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م) غادر الشاه إيران[2]، وقد اعترف بخطئه وهو أنه جعل إيران الدولة الفارسية الآسيوية أوربية غربية، كما اعترف بأنه كان مخطئاً عندما اعتمد على الأمريكان حيث تخلّوا عنه عندما سقطت أسهمه في بلده، وتركوه يُصارع وحده أمواج التيارات على ضعفه[3].

---

(1) هكذا وصلت المهانة بالمسلمين لمخالفتهم شرع الله فيزوّجوا بناتهم للنصارى، وهو محرّم عليهم ذلك، وهذه التجاوزات والابتعاد عن الدين قد أوصلهم إلى ما هم عليه الآن. فيجب عليهم الانتباه.

(2) رفضت الولايات المتحدة استضافة الشاه. ولم تقبل ذلك سوى الأردن ومصر لكنه لم يرغب ذلك، وسافر إلى جزر (الباهاما)، ثم ذهب إلى المكسيك فانتقل إليها في شهر رجب ١٣٩٩ هـ (حزيران ١٩٧٩ م)، ثم رجع إلى مصر حيث مات في ١٥ رمضان ١٤٠٠ هـ (٢٧ تموز ١٩٨٠ م).

(3) هذه هي السياسة الاستعمارية، وهل يتوقّع منها غير ذلك؟ كما هل يتوقّع للذي باع نفسه ووضعها في يد عدوه الكافر غير ذلك؟

رفعت الثورة الإسلامية في إيران الشعارات التي يمكن أن يسير الشعب وراءها، وأن يقبلها دون مناقشةٍ ليس في إيران فحسب بل في الأمصار الإسلامية كلها، ويبدو أن هذه الشعارات لم تكن إلا لكسب التأييد والحصول على الدعم ريثما تمسك بزمام الأمور، لقد طرحت:

١ ـ العمل بالإسلام دون إعلان الانتساب الشيعي المرفوض في العالم الإسلامي بل حتى من أعداءٍ ممن ينتمي إلى هذا المذهب...

إذ يحملون على فكرة زواج المتعة التي تساهم في نشر الفساد، وعلى الطعن بالصحابة الذي يُسبّب الطعن بالإسلام فهؤلاء هم أبناء الدعوة، والجيل القدوة، وعلى تفضيل الأئمة على الأنبياء الذي يخالف المبدأ الإسلامي، ولكن يقبلون تفضيل آل البيت كنوع من التكريم والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

طرحت الثورة الإسلام ومن أجل التأكيد على أنه ليس الفكر الشيعي وإنما الإسلام فقد أبرزوا بعض القادة المسلمين أمثال سيد قطب ـ رحمه الله ـ وأثنوا على فكره، ودعوا إلى منهجه.

صدّق المسلمون هذه الادعاءات، وهم الظامئون إلى الإسلام، وهم المضطهدون لحملهم الفكر الإسلامي، وهم المعذّبون، والمشرّدون، والذين يئنون من وطأة ما ينالهم نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، ودولياً، بل زاد الأمر على ذلك حتى رأى بعضهم أن فكرة أخذ العلماء لخمس الأموال كما يفعل العلماء الشيعة، أو كما يقوم عليه الفكر الشيعي لهو الأمر الصحيح كي لا يكون العلماء تحت رحمة السلطة، أو ينظروا إلى ما في أيدي الآخرين، كما هي حال وضع بعض الذين تضعف نفوسهم، ولكن بقي هذا الموضوع مدةً بسيطة، وإذا بقادة الثورة الإسلامية يُغيّرون ما كانوا يُبدون، وتضطر الفئات الإسلامية والشعب المسلم أن يتخلّوا عنهم.

٢ ـ معاداة الصليبية: وهي نوع من العمل بالإسلام. فالصليبيون يحقدون على الإسلام حقداً عظيماً، ومن هذا الحقد ما ظهر أيام الحروب

الصليبية الأولى، ومنه ما بدا في الحروب الصليبية الحالية التي حملت اسم الاستعمار، وقد ذاق المسلمون من جراء سيطرة الصليبين عليهم وعلى بلادهم منتهى أنواع الذلّ والإهانة وتعرّضوا لحروب الإبادة، وتحكّم فيهم أراذلهم، ومن لا يرعى فيهم عهداً ولا ذمّة، ولا شك أن سكان كل مصر قد ذاقوا ممن سيطر عليهم فكان كرههم منصباً عليه بالدرجة الأولى. وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي كانت مسيطرةً على إيران فالشعب هناك يحمل الكره لمن يسيطر عليه. ومن هنا فإن الثورة طرحت عداوتها لأمريكا بالدرجة الأولى، وحصلت على تأييد الرعية ولكن لم يلبث أن بدا غير ذلك.

٣ ـ تأييد القضية الفلسطينية: كان الحكم الإيراني السابق ممن أيّد تقسيم فلسطين واعترف بدولة اليهود، وجرى تمثيل سياسي معها، والرعية لا ترضى عن هذا فلسطين جزء من بلاد الشام التي هي مصر إسلامي، ومنطقة مباركة، وتشدّ الرحال إلى المسجد الأقصى فيها، والاعتداء عليها اعتداء على المسلمين كافةً. فكان تأييد الحكم السابق للمغتصبين اليهود المعتدين القادمين من خارج المنطقة إن هو إلا اعتداء على المسلمين ووقوف في الخندق المقابل لهم، وبعد عن الإسلام.

ومن هنا فقد أعلنت الثورة الإسلامية أنها ستعمل على تخليص أرض الشام ممن دنّسها، وصرّح الخميني في ٢١ صفر ١٣٩٩ هـ (٢٠ كانون الثاني ١٩٧٩ م) أن إيران ستقطع علاقاتها مع إسرائيل التي لوّثت أرض فلسطين من بلاد الشام، وقامت على الاغتصاب.

وعندما حققت الثورة مبتغاها، وتسلّمت مقاليد الحكم ظهر غير ذلك. ويمكن أن نعدّ معاداة الصليبية وتأييد القضية الفلسطينية موضوعاً واحداً. فالصليبيون هم الذين أتوا باليهود إلى فلسطين، وهم الذين دعموهم ووعدوهم بإقامة دولة لهم. وكانت إنكلترا في بداية الأمر هي التي تتحرّك على الساحة بصفتها صاحبة النفوذ وأيدها الصليبيون كافة، ثم خلفها النفوذ

الأمريكي فكانت الولايات المتحدة تتحرك على الساحة بصفتها صاحبة النفوذ الحالي، وغدت إسرائيل ابنةً مدللةً للولايات المتحدة.

بقي على الدولتين (إيران والولايات المتحدة) إخفاء الواقع، وإظهار صحة دعوى رجال الثورة، بتمثيليات تعرض على الساحة الإسلامية. أبدت أمريكا معاداتها لما يجري على الساحة الإيرانية، وأعلنت إيران عداوتها للولايات المتحدة، وحدث هجوم إيراني على السفارة الأمريكية في ٢٥ رمضان ١٣٩٩ هـ (١٨ آب ١٩٧٩ م) إيذاناً بحدوث هجومات متتالية، واحتلال السفارة لإخفاء السياسة الحقيقية للنظام الجديد. وفي ١٤ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (٤ تشرين الثاني ١٩٧٩ م) احتلت قوات حراس الثورة السفارة الأمريكية، وأخذت عدداً من العاملين فيها، ووضعوا كرهائن، وعددهم اثنان وخمسون. وجاء الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم) للتوسط للإفراج عن الرهائن، ولكن دون جدوى لأن اللعبة يجب أن تتكامل أدوارها.

جمّد الرئيس الأمريكي (كارتر) الأرصدة الإيرانية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعادل ثمانية مليارات دولار، وهذا غير أموال الشاه الخاصة.

واشترط الخميني لإطلاق سراح الرهائن عدم التدخّل في شؤون إيران، وتحرير الأرصدة الإيرانية في الولايات المتحدة، ورفع الحظر عن أموال الشاه، وأصرّ على ضرورة إعادة الشاه إلى طهران لتقديمه إلى المحاكمة. غير أن الشاه لم يكن في الولايات المتحدة، ولا تحت قبضتها، بل لم تقبل أساساً استضافته لهذا الأمر. وهكذا بدا الخلاف شديداً بين إيران وبين الولايات المتحدة، غير أن الواقع يخفي ذلك.

اللعبة:

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تخضع العراق لنفوذها، وتحلّ محلّ بريطانيا، وتسيطر على العالم الإسلامي نهائياً سيطرة لا أمل في

نهوضه بعدها، وتخطط للقضاء على الإسلام بعدها - حسب تقدير أساطين ساستها - ورسمت لذلك طريقاً بأن ينطلق الشيعة ويتوسّعون في كل جهة، ويكون البدء من ناحية العراق حيث تخضع للنفوذ الأمريكي بلعبة، ثم نحو بلاد الشام، وكذلك نحو المشرق باتجاه بلاد الأفغان وباكستان، فيتوزّع العالم الإسلامي ويدور الصراع بين المسلمين (السنة) والشيعة، وتشتعل الحرب بينهما الصليبية، وكلما خمدت زادوها سعيراً. ولا بد لهذا من تأييد للشيعة من بعض أهل السنة، وهذا يقتضي عدم إعلان السير بالمنهج والأفكار الشيعية التي تنفّر منها.

وانطلق السير بالمخطط وزال الشاه وحكمه الذي لم يستطع أن يؤدي هذا الدور لما عُرف من بُعدٍ عن الإسلام، ومحاربة لأهله، وجاء من عُرف عنه أنه حامل للواء الشيعة، ومظهر الإسلام، وسارت المرحلة الأولى، وحصلت الثورة على التأييد الإسلامي. غير أن هوى الخميني قد قاده إلى إعلان العقيدة الشيعية فخفّ التأييد، ثم انعدم، وعُرفت النوايا فانحصرت الثورة وتقوقعت داخل إطارها إلا ما كانت تنفثه من بعض المنافذ خارج دائرة ساحة عمل المخطط الذي تعثّر وتوقّف.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على تغيير المخطط بعد فشله بمدّ نفوذها إلى العراق مكان النفوذ البريطاني وفشل هذا المخطط أيضاً الذي بدأ بالحرب العراقية - الإيرانية، فرُسم مخطط آخر، وكانت فتنة صدام حسين التي بدأت بخلافٍ شديدٍ بين العراق وأمريكا وانتهت بالارتماء في أحضانها بعد أن خشي صدام على مركزه فانتشلته أمريكا من سقطته فتبعها، وكانت قد جعلت بريطانيا تحرّضه على احتلال الكويت، وأعطتهما الضوء الأخضر من قبلها، فلما تمّ الاحتلال تصدّت له، وجعلته يخضع على ركبتيه، وهكذا كان دخول النفوذ الأمريكي إلى العراق

ومن المعلوم أن أمريكا التي أخرجت الشاه من بلده - كما مر معنا - فلما خرج رفضت استضافته بل لم تعد تعترف عليه، وكان من قبل العبد

المطيع، فلما انتهى دوره وانتفت مصلحتها ألقته على الدمن من غير مبالاة، أو تقدير لماضٍ. وجاءت بما ادعت عداوتهم لتنفذ بهم مخططها بعلمهم أو من غير علمهم نتيجة جهلهم وغفلتهم رغم ذكاء الواجهة.

الحرب العراقية - الإيرانية:

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على الوقيعة بين العراق وإيران وإثارة نار الفتنة بين الطرفين، وإشعال الحرب وذلك في سبيل طلب العراق للتدخّل الأمريكي وبذا يمتد نفوذ الولايات المتحدة إلى العراق الذي يأخذ تدريجياً بالدوران في فلكها، وفي الوقت نفسه تزداد إيران ارتماءً أمام المطالب الأمريكية، وتكثر طلباتها للنجدة والدعم. والعراق التي تقوم على أساسٍ قومي لا يمكنها أن تقبل قيام دولةٍ إلى جانبها على أساسٍ فكري قد يؤثر عليها، وعلى هذا يمكن دفعها وإثارتها للتحرك.

عادت الصدامات على الحدود العراقية - الإيرانية. وأخذت العراق تطالب إيران باسترجاع شط العرب، والتخلّي عن جزيرتي (أبي موسى) و (طنب) اللتين احتلتهما في ٣٠ ذي القعدة ١٣٩١ هـ، وهما في الخليج العربي، بين دولة الإمارات العربية وإيران، وحتى لا يمكن التسوية أخذت تطالب بمنطقة (عربستان) التي هي المنطقة النفطية الرئيسية في إيران، وتعدّها العراق جزءاً منها من الناحية الجغرافية والسكانية.

بدأت الحرب بين الدولتين في ١٣ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (٢٢ أيلول ١٩٨٠ م) باندفاع القوات العراقية داخل الحدود الإيرانية، وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين بادئ ذي بدء. وقامت إيران بهجوم معاكس في جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (آذار ١٩٨٢ م)، وأخذت العراق بالهجوم على ناقلات النفط في شوال ١٤٠٢ هـ (آب ١٩٨٢ م)، وأعلنت الدولتان الكبريان (الولايات المتحدة وروسيا) الحياد، ويبدو أنهما تدخلتا في مساعدة كلا الطرفين لإنهاكهما لمصلحة اليهود.

أعلنت روسيا أنه بإمكانها أن تزّج ثلاثاً وعشرين فرقة حربية إلى

هددت أمريكا روسيا باستخدام الأسلحة الذرية فيما إذا تدخلت في الحرب لصالح العراق. كما هددت بالدخول بالحرب فيما إذا احتلّ العراق منطقة (عربستان)، كما صرحت أنها لا ترى فائدةً أو دليلاً لإغلاق إيران مضيق هرمز، هذه التصريحات في الوقت الذي كان الخلاف ـ حسب الظاهر ـ على أشدّه بين الولايات المتحدة وإيران، وكل منهما يكيل الاتهامات للآخر في خطة لإخفاء الواقع فتتهم إيران الولايات المتحدة بتزويد العراق بالأسلحة، على حين تُعلن الولايات المتحدة أن العراق دولة غازية وعليها الانسحاب من الأراضي الإيرانية.

أصدر الرئيس الأمريكي كارتر عام ١٣٩٩ هـ مرسوماً يحظر الأسلحة عن إيران، ووافق على هذا المرسوم خليفته الرئيس ريغان، ولكنه سمح ببيع الأسلحة بشكلٍ سري، وعندما شاع خبر تهريب الأسلحة أنكر ذلك بحديثٍ تلفزيوني له بتاريخ ١٢ ربيع الأول عام ١٤٠٧ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٨٦ م) غير أنه عاد واعترف في مؤتمرٍ صحفي عقده في ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (١٩ كانون الأول ١٩٨٦)، ونقض ما سبق أن أذاعه، وقال: إن الأسلحة التي بيعت باثنين وأربعين مليون دولار لم تكن قيمتها الفعلية سوى اثني عشر مليوناً من الدولارات، والفرق إنما كان لصالح ثوار (الكونترا) في نيكاراغوا. وقد أنكر دور إسرائيل في الموضوع، لكنه عاد فاعترف بعد تصريح مستشار الأمن القومي (روبرت مكيفارلن) بوجود وسيط في بيع هذه الأسلحة.

وكذلك جرى تعاون بين الولايات المتحدة وإيران عام ١٤٠٣ هـ عندما أعطت المخابرات الأمريكية نظيرتها الإيرانية أسماء الشيوعيين في حزب (توده) وأعوانهم، وقد تم إعدام مائتي شيوعي إيراني يومذاك.

تشعر أمريكا بالأسى من تراجع الإيرانيين، وتركهم الأسلحة الأمريكية دون تدمير، فيأخذها العراقيون، ويعرفون أسرارها، وكانت أمريكا قد زوّدت الشاه بكميات كبيرة منها، والولايات المتحدة لا تريد أن ترى هزيمة

أسلحتها في إيران أمام العراقيين، ولا في فلسطين المحتلة أمام العرب. ولكنها تريد أن تقول أمام هزيمة إيران: إن الثورة الإيرانية هي سبب الفوضى، وعدم معرفة رجالها لاستخدام السلاح، ولو كان هذا السلاح بيد غيرهم لأحرز النصر، فهي تقصد أن رجال الإسلام ليسوا أهلاً لأي عمل، أي تريد أن توجّه بذلك الضربة إلى الإسلام.

قامت إيران بهجومٍ على الجبهة الشمالية، واحتلت ما يقرب من سبعمائة كيلو متر مربع. وزادت العراق من الهجمات الصاروخية والغارات الجوية ضد المدن والمنشآت النفطية في جزيرة (خرج)، حتى صعُب تصدير النفط الإيراني، وهدّدت إيران بإغلاق مضيق (هرمز).

عملت العراق على التفاهم مع الأكراد لتتفرغ لقتال إيران، وجرت مباحثات مع جلال الطالباني في ربيع الأول ١٤٠٤ هـ (كانون الأول ١٩٨٣ م)، وتنازلت العراق للأكراد عن كثير من مطالبهم، إذ وعدتهم أن تضم منطقة الحكم الذاتي للأكراد منطقة (كركوك)، وأن يُعطى الأكراد نسبةً ثابتةً من عائدات النفط تتراوح ٢٠ ـ ٣٠٪.

جرت مناقشات في مجلس الأمن في رمضان ١٤٠٥ هـ (حزيران ١٩٨٥ م) حول الصراع الدائر بين العراق وإيران، وبحث موضوع وقف إطلاق النار، وصدر القرار رقم ٥٩٨ القاضي بوقف إطلاق النار بين الفريقين المتخاصمين، وكانت إيران تشترط لموافقتها على هذا القرار اعتراف العراق أنها هي التي بدأت بالقتال أما العراق فقد كان يرفض القرار.

أعلن وزير خارجية إيران في ١٢ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ أن إيران مستعدة لمراعاة وقف إطلاق النار فيما إذا نص قرار مجلس الأمن أن العراق هي البادئة بالعدوان.

أخذت إيران تتراجع في ساحات القتال لصالح العراق منذ بداية عام ١٤٠٨ هـ، وما انتصف العام حتى كانت العراق قد استعادت ما سبق لها

أن فقدته، وزاد موقفها تحسناً أن جيش التحرير الوطني، وهو الجناح العسكري للمقاومة الإيرانية من مجاهدي خلق، والذي تدعمه العراق قد بدأ أعماله في رجب من عام ١٤٠٨ هـ.

دخلت العراق وإيران في مفاوضات لإنهاء الحرب في أواخر ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (آب ١٩٨٨ م)، وقد توقف إطلاق النار في ٨ محرم ١٤٠٩ هـ (٢٠ آب ١٩٨٨ م)، ووضع ثلاثمائة وخمسون ضابطاً من الأمم المتحدة على الحدود بين البلدين للإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار.

وفي ٢٨ محرم ١٤٠٩ هـ (٩ أيلول ١٩٨٨ م) أقر مجلس الشيوخ الأمريكي فرض عقوبات اقتصادية على العراق، وامتنعت أمريكا عن استيراد النفط العراقي.

وفي ربيع الثاني ١٤١٠ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٩ م) وافقت الدولتان على تبادل الأسرى بينهما.

وهكذا استمرت الحرب بين العراق وإيران ما يقرب من ثمان سنوات، ولم تستطع الولايات المتحدة فرض نفوذها على العراق، ولم تتمكن من إخراجها من دائرة النفوذ البريطاني لتدور في فلكها، وفي النهاية فرضت أمريكا على العراق عقوبات اقتصادية، وامتنعت عن استيراد النفط.

وأثناء هذه الحرب تبيّن أن أمريكا كانت تدعم إيران بالأسلحة، وظهرت الفضيحة التي عرفت باسم بوابة إيران، كما دعمتها دولة اليهود (إسرائيل)، وحلفاء أمريكا في المنطقة، وليس غريباً أن تكون بعض دول المنطقة تمدّ العراق بالمال، وتهرب إلى إيران الأسلحة بمعرفة أمريكا ودفعها، وبقيت الرهائن وسيلة لتغطية الموقف، أمريكا تطالب بهم، وتعدّهم سبباً في تأزم الخلاف بين الدولتين، وإيران تُسوّف بالأمر، وتضع الشروط، ويبدو الصراع للمشاهد على أشدّه، والممثلون وراء الستر يرسمون الأدوار، والرهائن وذووهم كبش الفداء، بل إن الرهائن قد غدوا وسيلةً للدعاية السياسية في الانتخابات الأمريكية زيادةً في التعمية، كما أن مبعوثي الثورة

الإيرانية إلى موسم الحج ارتكبوا جرائم في غاية البشاعة في الأرض الطاهرة في البلد الحرام، في الشهر الحرام في سبيل شحن الشيعة حقداً على المسلمين وإفراغ بعض هذه الشحنات وإظهاراً أنه ليس هناك من تفاهم.

وهكذا سقطت الشعارات التي طرحتها الثورة فالتنسيق قائم مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتعاون موجود مع دولة اليهود (إسرائيل)، والحقد الشيعي على المسلمين على أوجه.

الأوضاع الداخلية:

كانت الثورة الإيرانية تضمّ مختلف العناصر الناقمة على الحكم على اختلاف مشاربها، وتباين آرائها، وتباعد مناهجها في الحياة.

كان هناك المسلمون الملتزمون سواء أكانوا من المسلمين (من أهل السنة) أم من الشيعة، ويقودهم علماء الفريقين، ويحملون على الحكم ارتباطه بدائرة الصليبيين، وسيره في فلكهم، وتقليدهم في مناهجهم وأسلوب حياتهم، ويأخذون عليه انتشار الفساد بمختلف أنواعه. وسير كبار القوم على طريق الفساد، وتقليد العامة والصغار لهم، كما أخذ العلماء على الحكم شيوع المجون، واللهو، والرشوة، والفوضى، والبعد عن شرع الله.

وكان هناك الشيوعيون وأعوانهم من الاشتراكيين ومختلف عناصر الإلحاد، ويعارضون الحكم في سياسته المرتبطة بالغرب، ويطالبونه بالتوجّه نحو الإمبراطورية الروسية الجارة الكبرى التي يمكن الاعتماد عليها بالدفاع لقوتها وجوارها، كما يطالبون النظام بتطبيق المنهج الاشتراكي الذي فيه العدل والمساواة ـ حسب زعمهم. وبالاختصار يريدون من الحكم تغيير مواقعه من استعمار إلى استعمار ومن كفر إلى إلحاد.

وكان هناك من يُسمّون بالوطنيين أي الذين يريدون اتباع سياسة

مستقلة لا ارتباط لها بالغرب أو الشرق، والعمل على رفع مستوى البلاد على مختلف الأصعدة بغض النظر عن القيم والمبادىء والإسلام، والحلّ والحرمة.

ثم هناك المتحررون من كل القيود، والذين يرون التخلّص من كل القيم وأولها الإسلامية منها، وذلك بالقضاء على العلماء والملتزمين وإبادتهم، أو الموافقة على السير في التيار العلماني المتحرر من القيم، وأن يشاركوا في ذلك الركب، ويُوافق هؤلاء كل الفئات السابقة، وإن كان بعض هؤلاء، وأولئك من رجال السلطة الذين يتنفعون من الحكومة، ولكنهم يعارضونها بالواقع، كمن يأكل من مائدة السلطان ويدعو عليه بالهلاك وعلى ملكه بالزوال، وهؤلاء من المتنفعين وأصحاب المصالح.

وأخيراً هناك الذين يرغبون بالتغيير محبةً به، أو أملاً بالحصول على بعض المنافع والمراكز، لذا فهم يحاولون تصدّر المعارضة في الوقت المناسب.

هؤلاء جميعاً أعطوا قيادهم لآية الله الخميني على أنه أقوى المعارضة لما يملكه من رصيدٍ شعبيٍ بصفته رجل علم، وأكثر الذين بيّن في الشعوب، وأكثر ما يكون وضوحاً عند المسلمين، ولكن لكل تجمع أمله، ولكل فئةٍ حلمها في إمكانية الوثوب إلى السلطة عندما يتغير الوضع، ويزول أثر كابوس جهاز الأمن السري (السافاك)، وهيبة الشاه، وقوة رجال الأمن.

فلما نجحت الثورة، وتركزت القوة بيد علماء الشيعة أخذت ملامح السلطة تصبغ بصبغة الدين فبدأت المنظمات ذات الصبغة الاشتراكية تنفصل عن التجمع بعد أن كانت قد أيدت الثورة من قبل بحماسةٍ. وكذلك أخذ أصحاب المصالح كعادتهم في كل مكان يبدون عواطف متزايدة نحو الثورة لينالوا بعض مآربهم، أو يتخلّون عن مواقفهم ومواقعهم السابقة، وقد رأينا كيف تخلّى (شابور بختيار)[1] عن موقعه في الجبهة الوطنية، وعن كل

(1) شابور بختيار: تكونت الجبهة الوطنية الثالثة برئاسة كريم سنجابي، وضمت مختلف =

مواقفه السابقة عندما ظنّ أن رئاسة الحكومة مغنماً كبيراً له أو صيداً ثميناً، ولم يدر أنه كان هو تلك الفريسة التي رماها الشاه بسهامه فصادها، فابتعد عن أصحابه، وفصلوه عن تنظيماتهم، ولم يلبث أن وجد نفسه صريعاً، وأُلقي به خارج الحدود.

وأبدى الشيعة تعصّبهم لمذهبهم، وأعلنوا أن المسلمين السنة ليسوا سوى أقليةٍ يسري عليهم ما يسري على بقية الأقليات من اليهود والنصارى والزرادشتيين، وبدأ الضغط على المسلمين في سبيل إذابتهم في المجتمع الشيعي أو هجرتهم أو إبادتهم، ووضعت خطة للقضاء عليهم خلال خمسين سنةً، وهذا ما جعل المسلمين (السنة) يتخلّون عن الثورة وتأييدها، ويقفون في الصف المعارض لها، وإن كانت معارضةً خاصةً متميزةً عن بقية الجماعات المعارضة.

وفي ٥ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (٢ أيار ١٩٧٩ م) اغتيل آية الله مطهري رئيس مجلس الثورة الإسلامي السري.

اختار الإمام الخميني (أبو الحسن بني صدر)[1] رئيساً لجمهورية إيران

= الأحزاب سوى الشيوعيين، في ١٣٩٨ هـ. وكان شابور بختيار أحد أعضاء الهيئة التنفيذية، وفي الوقت نفسه كان الأمين العام لحزب إيران، ولكنه طرد من الجبهة الوطنية حين عهد إليه الشاه بتشكيل حكومة مدنية في ٧ صفر ١٣٩٩ هـ (٦ كانون الثاني ١٩٧٩ م) ولم تستمر سوى خمسة وعشرين يوماً، وفرّ بعدها، وتضاربت الأقوال عن مكان وجوده ثم ظهر في فرنسا في ١٠ رمضان ١٣٩٩ هـ. وقد فرّ من إيران بمعرفة بهشتي والخميني، ويعمل الآن في المعارضة من الخارج، وهو مواليد ١٣٣٤ هـ. [قُتل في منزله في فرنسا بتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٩١ م].

(1) أبو الحسن بني صدر: ولد في مدينة همدان في ١٦ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ (٢٣ آذار ١٩٣٢ م) حصل من جامعة طهران على الإجازة في العلوم الاجتماعية ثم في الحقوق والاقتصاد، ثم انتقل إلى فرنسا وتابع دراسته عام ١٣٨٢ هـ وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية.

كان رئيس اتحاد الطلاب في جامعة طهران، وعضواً مؤسساً للاتحاد العالمي للطلاب الإيرانيين. وأصدر في فرنسا صحيفة باللغة الفارسية تسمى (إيران آزاد) =

الإسلامية، ترشح نفسه يوم ٨ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ فحصل على نسبة عالية من الأصوات فكان أول رئيس جمهورية في إيران. وبقي هو المشرف على شؤون الدولة والموجِّه لإدارتها والمرعية، وكلمته هي المسموعة، ورأيه هو النافذ، ولا سلطة لأحدٍ عليه، وبيده القوة الحقيقية إذ الجميع يأتمرون بأمره. وكذلك أعطى الخميني رئيس جمهوريته (أبو الحسن بني صدر) منصب القائد العام للقوات المسلحة.

كان أبو الحسن بني صدر يعتمد في قوته على مجاهدي خلق، وعلى جريدته التي تنطق باسمه «الثورة الإسلامية» وعلى بعض ضباط الجيش.

استقالت حكومة مهدي بازركان[1] في ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ م)، فعهد إلى محمد علي رجائي بتشكيل حكومةٍ جديدةٍ بإشارةٍ من الخميني.

أخذ أبو الحسن بني صدر ينتقد حكومة محمد علي رجائي بأنها قد نزعت منه كافة صلاحياته، فأُقصي عن منصب القائد العام للقوات المسلحة، وعُيِّن مكانه رئيس الأركان اللواء ولي الله فلاحي. وفي ٥ شعبان

= أي إيران الحرة، وكان ينتقد فيها حكم الشاه. نزل الخميني في بيته عندما وصل إلى فرنسا في (٦ تشرين الأول ١٩٧٨ م)، وأصبح المستشار الاقتصادي لمجلس الثورة الإيراني، ثم مديراً للإذاعة والتلفزيون.
نجح نائباً عن طهران في انتخابات ١٠ رمضان ١٣٩٩ هـ، وتولى منصب وزارة الخارجية في ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ إلى جانب إشرافه على وزارتي المالية والاقتصاد.

(١) مهدي بازركان: ولد عام ١٣٢٣ هـ، ودرس العلوم الهندسية، وتولى عام ١٣٧٢ هـ في عهد حكومة محمد مصدق رئاسة اللجنة التنفيذية لتأميم النفط. انضم بعد الانقلاب على محمد مصدق إلى حركة المقاومة الوطنية السرية التي أسسها جماعة من أعضاء الجبهة الوطنية بزعامة آية الله حاج سيد رضا زنجاني. وشكل عام ١٣٨٠ هـ حزب حركة تحرير إيران، وسجن عام ١٣٨٣ هـ، وشكل أول حكومة في عهد الجمهورية، ثم استقال، وأخذ في المعارضة، فاتهموه بالخيانة، فخرج من البلاد.

١٤٠١ هـ (٧ حزيران ١٩٨١ م) أصدرت محكمة الثورة قراراً بإغلاق صحيفة «الثورة الإسلامية» صحيفة رئيس الجمهورية (أبو الحسن بني صدر)، وصحيفة «الميزان» الناطقة باسم «مهدي بازركان». وقامت مظاهرات ضد بني صدر، ولافتات عليها (الموت لمن يعادي بهشتي)، وآية الله بهشتي وهو زعيم حزب الجمهورية الإسلامية. ولم تكن الهتافات باسم رئيس الجمهورية صراحةً، وإنما معروف أنه هو المقصود. وانتقد أبو الحسن بني صدر قرار تعطيل صحيفته، ووقعت مصادمات بين مؤيديه ومعارضيه، وكان قد اختفى عن العيون منذ أن أُقصي عن منصب القائد العام للقوات المسلحة.

ظهر أبو الحسن بني صدر في ١٢ شعبان ١٤٠١ هـ (١٤ حزيران ١٩٨١ م) في المجلس النيابي، وألقى بياناً أمام المجلس دعا فيه إلى مقاومة الطغيان، وتوارى بعدها، وعاد إلى الاختفاء. فدعاه الخميني بوسائل الإعلام للذهاب إلى الإذاعة والتلفزيون وإعلان توبته لتعود الأمور إلى حالتها الطبيعية والقصد من وراء ذلك الخروج لإلقاء القبض عليه، ولكن (أبو الحسن بني صدر) أصبح يعرف أساليب الخميني فلم يستجب.

صدر أمر بمنع رئيس الجمهورية بالخروج من البلاد، وأصبحت تلصق به كل التهم التي يُدّعى أنها كانت سبب ما حدث في البلاد من مشكلات، وما وقع من حوادث، وخاصة عدم استعداد الجيش الكافي وهذا ما جعله يعجز عن مقاومة العراق والانتصار عليها.

وفي ١٩ شعبان ١٤٠١ هـ (٢١ حزيران ١٩٨١ م) قرر المجلس النيابي بموافقة ١٧٧ صوتاً ضد صوتٍ واحد، وامتناع ١٢ صوتاً عن التصويت عدم صلاحية (أبو الحسن بني صدر) لرئاسة الدولة، وفي اليوم التالي صادق الخميني على قرار المجلس بعزل بني صدر، وتشكل مجلس رئاسي مؤقت من ثلاثة أعضاء هم: رئيس المجلس النيابي هاشم رافسنجاني، ورئيس الحكومة محمد علي رجائي، ووزير العدل آية الله

بهشتي[1]. ولكن تفجّر مقر حزب الجمهورية الإسلامية، الحزب الحاكم، في ٢٦ شعبان ١٤٠١ هـ قُتل ثلاثة وسبعون عضواً من بينهم رئيس الحزب آية الله بهشتي.

وفي ٣ رمضان ١٤٠١ هـ (٤ تموز ١٩٨١ م) جرت الانتخابات الرئاسية، وفاز بالرئاسة محمد علي رجائي[2] رئيس الحكومة. وعُهد إلى محمد جواد باهونار[3] برئاسة الحكومة الإيرانية.

وتمكّن أبو الحسن بني صدر، ومسعود رجوي[4] من الهرب من البلاد

---

(١) آية الله بهشتي: محمد حسين بهشتي: ولد في أصفهان عام ١٣٤٧ هـ، درس في فرنسا، ونال درجة الدكتوراه في العلوم الدينية ودرس الفقه في جامعة طهران. ثم افتتح مدرسة للفقه في مدينة (قم). تزعم الجمعيات الإسلامية المؤتلفة التي دبرت اغتيال رئيس الوزراء حسن علي منصور في ١٩ رمضان ١٣٨٤ هـ لانحيازه الأمريكي الصارخ. وانتقل إلى ألمانيا ومثل الشيعة في مدينة هامبورغ عام ١٣٨٤ هـ وبقي فيها حتى عام ١٣٨٩ هـ. ووضع قواعد حزب الجمهورية الإسلامية، وكان أحد قادة المجلس الثوري، ورئيساً للمحكمة العليا. يجيد الألمانية والإنكليزية والفرنسية إضافة إلى الفارسية.

(٢) محمد علي رجائي: ولد في مدينة قزوين عام ١٣٥١ هـ، وعمل بالتدريس في المدارس الثانوية، وانضمّ عام ١٣٨٣ هـ إلى حركة تحرير إيران التي تزعمها مهدي بازركان، وانضم عام ١٣٩٨ هـ إلى حركة المعلمين المسلمين. وتسلم وزارة المعارف في أول حكومةٍ في عهد الجمهورية.

(٣) محمد جواد باهونار: ولد عام ١٣٥٢ هـ، وهو من أبناء إقليم كرمان، درس أصول الدين في كرمان، وفي معهد العلوم الدينية في مدينة (قم)، ونال درجة الدكتوراه في أصول الدين من جامعة طهران. وأخذ في إلقاء المواعظ، شارك في المظاهرات، وعيّنه الخميني عضواً في مجلس الثورة، وتسلّم منصب وزير التعليم، ومقرراً للجنة المركزية لحزب الجمهورية الإسلامية.

(٤) مسعود رجوي: زعيم منظمة مجاهدي الشعب الإيراني (سازمان مجاهدين خلق إيران) التي تعدّ آية الله محمود طالقاني زعيمها وحاولت ترشيحه في عام ١٤٠١ هـ لرئاسة الجمهورية، غير أنه رفض ذلك. وقفا مسعود رجوي موقف المعارضة من الحكم، ثم فرّ سراً إلى فرنسا، ويتخذ موقف المعارضة في المنفى.

على متن طائرةٍ عسكريةٍ إيرانية، ووصلا إلى باريس في ٢٨ رمضان ١٤٠١ هـ (٢٩ تموز ١٩٨١ م)، وأخذا هناك بمعارضة الحكم الإيراني القائم وسُمّي أبو الحسن بني صدر رئيساً موقتاً للدولة، كما سُمّي مسعود رجوي رئيساً للحكومة في المنفى، وهو رئيس منظمة (مجاهدي خلق).

وفي الأول من ذي القعدة ١٤٠١ هـ (٣٠ آب ١٩٨١ م) قُتل رئيس الجمهورية محمد علي رجائي، ورئيس الحكومة محمد جواد باهونار بحادث انفجار قنبلة.

بعد خلو رئاسة الجمهورية بمصرع محمد علي رجائي جرت الانتخابات لملء المنصب في ٤ ذي الحجة ١٤٠١ هـ (٢ تشرين الأول ١٩٨١ م) ففاز بها علي خامنئي[1]. وأقسم اليمين الدستورية بعد عطلة العيد الأضحى مباشرةً في ١٥ ذي الحجة ١٤٠١ هـ. واستمرّ في منصبه حتى انتهت مدته في ١٥ ذي الحجة ١٤٠٩ هـ.

كان الخميني قد عيّن في البداية خليفةً له آية الله منتظري، ثم عاد فعدل عن ذلك قبل وفاته بمدةٍ وجيزة، فلما مات في ٢٩ شوال ١٤٠٩ هـ (٣ حزيران ١٩٨٩ م) اجتمع العلماء في اليوم التالي مباشرةً وانتخبوا علي خامنئي حاكماً مدة شهرين ريثما يتمّ إدخال تعديلات على الدستور، وتنتهي المآتم التي تحدث في عاشوراء أي أن مدة علي خامنئي قد أضيف إليها شهر.

جرت الانتخابات الرئاسية، وفاز بها علي أكبر هاشمي رفسنجاني[2]

---

(١) علي خامنئي: أحد المقربين من الخميني، ومن مؤسسي حزب الجمهورية الإسلامية. تولّى إمام الجمعة في طهران بعد حسين علي منتظري، وعين معاوناً لوزير الدفاع مصطفى جمران في وزارة مهدي بازركان، وكان عضواً في مجلس الدفاع الأعلى الإيراني في بداية الحرب العراقية - الإيرانية. وأصبح أمين عام حزب الجمهورية الإسلامية بعد مصرع بهشتي. وتعرّض للاغتيال قبل اغتيال بهشتي بيومين أي في ٢٤ شعبان ١٤٠١ هـ (٢٧ حزيران ١٩٨١ م).

(٢) علي أكبر هاشمي رفسنجاني: ولد في قرية (نوج) من قرى إقليم كرمان عام =

الذي أقسم اليمين الدستورية في ١٥ محرم ١٤٠٩ هـ (١٧ آب ١٩٨٩ م).

لم يكن في حياة الخميني ليبرز أي رجل في الدولة حتى رئيس الجمهورية، لذا لم يُعرف عن حياة الرؤساء الإيرانيين إذ كانوا يعيشون في ظله، وحسب توجيهاته، ولا يستطيع أحد منهم أن يرفع رأسه فلما مات أخذ دور علي أكبر هاشمي رفسنجاني يظهر نسبياً، وقد برز نسبياً أيام حرب الخليج.

وفي حرب الخليج التي قامت بسبب احتلال صدام حسين حاكم العراق للكويت، حاولت إيران أن تقف على الحياد، وقد هبطت على مطاراتها وفي أرضها طائرات عراقية فأعلنت أنها لن تعيد أية طائرة تهبط على أرضها مهما كانت هويتها ولأحد الطرفين المتنازعين حتى تضع الحرب أوزارها، ولذا فلم تسمح بعودة الطائرات العراقية التي سقطت على أرضها أو هبطت في مطاراتها. وربما فعلت العراق ذلك لحماية طائراتها من الهجمات العنيفة التي شنتها القوات المتحالفة عليها، ولا قدرة لها لمقاومتها.

وإذا كانت الثورة الإيرانية قد نجحت واستقرت إلا أنه لا تزال هناك معارضة سواء في الداخل، ولكنها صامتة، أم في الخارج، وهي تتحرك ببطء، وتتمثّل هذه المعارضة في عدة فئات:

١ ـ معارضة المسلمين (السنة)، لما ينالهم من أذى، ولما يُخطط لهم من صهر في المجتمع الشيعي، أو التهجير، أو الإبادة، ولما تحويه مناهج التعليم، ولما تبثه وسائل الإعلام من إثارة، ومن مخالفات للإسلام، وطعن في صحابة رسول الله ﷺ وهم الرعيل الأول الذين تربوا على أيدي رسول الله ﷺ والطعن بهم طعن بمن ربّاهم، وتأكيد بأنه ليس أهلاً للتربية، ثم تقديس لما يُسمّونهم بالأئمة، ونشر للفساد بإباحة زواج المتعة. وقد وجدت منظمة الفرقان التي تضمّ المسلمين الذين يعارضون الحكم.

٢ ـ جماعة الحكم البائد: وتتمثّل في الامبراطورة فرح ديبا[1]، وما تدفع من مال، وابنها رضا بن محمد رضا بهلوي[2]، والأميرة أزهادة ابنة

---

* ١٣٥٢ هـ، وسافر إلى مدينة (قم) عام ١٣٦٧ هـ، وألقي القبض عليه عام ١٣٨٣ هـ.
انضمّ عام ١٣٨٥ هـ إلى منظمة مجاهدي الشعب (مجاهدين خلق)، وكان أحد مؤسسي حزب الجمهورية الإسلامية، واعتقل عدة مرات عام ١٣٩٨ هـ، ثم أفرج عنه بأمر من الشاه، تعرض للاغتيال قبل يوم واحد من تعرّض علي خامنئي للقتل أي في ٢٣ شعبان ١٤٠١ هـ، إذ اقتحم اثنان عليه المنزل، وأطلقا عليه النار، فجرح وعافاه الله. تولى رئاسة مجلس الشورى، وعين عضواً في مجلس الدفاع الأعلى، وعضو مجلس الرئاسة، والقائد العام للقوات المسلحة بالنيابة.

(١) فرح ديبا: ابنة سهراب ديبا الذي كان ضابطاً في الجيش الإيراني بعد تخرجه من فرنسا في الدراسات الحربية.
ولدت في ٢٠ شعبان ١٣٥٧ هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٣٨ م)، توفي والدها وهي في الثامنة من عمرها. تعلمت دراستها الابتدائية في مدرسة (جان دارك) بطهران، والمرحلة الثانوية في مدرسة (الرازي) بطهران أيضاً، وبعدها سافرت إلى فرنسا لمتابعة دراستها في الهندسة المعمارية في كلية (كول) باريس، وأمضت سنتين، ثم تزوجت بالشاه محمد رضا في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ (٢٤ كانون الأول ١٩٥٩ م)، وقد أنجبت أربعة أطفال هم:
رضا عام ١٣٨٠ هـ، وفرحناز ١٣٨٣ هـ، وعلي رضا ١٣٨٦ هـ، وليلى ١٣٩٠ هـ.
وتوجت امبراطورة على إيران ١٣٨٧ هـ، وعمرها تسع وعشرون سنة أما زوجها فكان في الثامنة والأربعين.
خرجت مع زوجها وأولادها إلى مصر واستقروا هناك، فلما مات زوجها بقوا في رعاية السادات فلما صرع انتقلوا إلى الولايات المتحدة.
(٢) رضا بن محمد رضا بهلوي: ولد في ١١ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٦٠ م)، وبعد شهر صدر مرسوم بتعيينه ولياً للعهد، وبعد سنتين عينت أمه وصية عليه في حالة وفاة أبيه، وصدر مرسوم بذلك.
ارتحل مع أمه وإخوته إلى الولايات المتحدة بعد هلاك أنور السادات في مصر، وكان قد درس هناك قيادة الطائرات من قبل في قاعدة (لوبوك) بولاية تكساس. أعلن نفسه امبراطوراً على إيران في ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩٨٠) وتسمى باسم الامبراطور رضا شاه الثاني.

أخت الأميرة أشرف[1]، وكان زوج أزهادة قد قتل في طهران في ١٨ محرم عام ١٤٠٠ هـ (٧ كانون الأول ١٩٧٩ م)، وتشجع الأميرة أزهادة عدداً من الضباط، وتقوم بنشاط في أوروبا، وتُصدر مجلة (إيران الحرة)، وتطلق على مجموعة الضباط الذين تمدهم بالمال اسم (الضباط الأحرار). وكان من بين المعارضة الجنرال (أوفيسي) قائد القوات البرية الذي قتل في باريس عام ١٤٠٤ هـ.

٣" ـ التجار: بعد تأميم الثورة للتجارة الخارجية.

٤" ـ فدائيو الشعب (فدائي خلق).

٥" ـ مجاهدو الشعب (مجاهدي خلق)، ويرأس هذا الحزب مسعود رجوي.

٦" ـ حزب (توده) الشيوعي.

٧" ـ حجة الإسلام حسّاني زعيم الحزب الإسلامي (آية الله شريعتمداري)[2].

---

(١) أشرف بهلوي بنت رضا بهلوي: توأم الشاه محمد رضا، ولدت وإياه يوم ٢ صفر ١٣٣٨ هـ (٢٦ تشرين الأول ١٩١٩ م).
وأمهما تاج الملوك. تزوجت أشرف من (علي قوام) وأنجبت له ابنها (شهرام)، ثم طلقت بعد ست سنوات من الزواج، ثم تزوجت من أحمد شفيق من مصر، وأنجبت له ابنها شهريار الذي اغتيل في باريس في شهر محرم ١٤٠٠ هـ (كانون الأول ١٩٧٩ م). وتزوجت للمرة الثالثة من المحامي الإيراني مهدي بوشهري الذي التقت به في فرنسا.
كانت الأميرة أشرف مغرمة بالملاهي الليلية وموائد القمار. ولها مجال في السياسة، فقد اتصلت بالمخابرات الإنكليزية التي شاركت المخابرات الأمريكية بالتخطيط للقضاء على حركة محمد مصدق. وزارت روسيا واستقبلها ستالين، وتولّت منصب مندوب إيران في الأمم المتحدة، ولها علاقات كثيرة مع السياسيين الأمريكان والأوربيين.
غادرت إيران عام ١٣٩٨ هـ إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تعيش مع أمها تاج الملوك.
(٢) آية شريعتمداري: من أصل أذربيجاني، يعدّ من كبار علماء الشيعة، تولّى رئاسة =

٨" ـ المجموعات غير الفارسية: نتيجة التعصب الإيراني للفرس، وهذا ما أثار نزعة العصبية القومية لدى تلك المجموعات، ومن أبرزهم الأكراد.

وربما تقلّ أهمية المعارضة بعد وفاة الخميني[1] للاعتدال، وقد تشتدّ حيث تزداد آمالها، وتتوقّع النجاح بعد ذهاب تلك الداهية.

= الحوزة العلمية في مدينة (قم)، شكل حزب جمهورية مسلمي إيران الإسلامية (جمهوري إسلامي خلق مسلمان إيران) الذي أعلن عن تأسيسه في ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٢٤ شباط ١٩٧٩ م)، ومن أهدافه إقامة جمهورية اتحادية
تعرّض لضغط شديد، واتهم أنه يريد تجزئة إيران، فأذاع بياناً في ٢٧ صفر ١٤٠٠ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٨٠ م) تنصّل فيه من الحزب، وانزوى هو معتزلاً السياسة، ويقيم في مدينة (قم)، ثم قام الحزب بحلّ نفسه
(١) آية الله الخميني: ولد في بلدة (خمين) في ٢٩ جمادى الآخرة عام ١٣٢٠ هـ، وعندما بلغ التاسعة عشرة من العمر، عام (١٣٣٩ هـ)، سافر إلى بلدة (عرق) ودرس على يد عبدالكريم حيازي، ثم أتم دراسته في مدينة (قم)، وانتقد رضا شاه، وبعد وفاة الشاه كتب الخميني كتابه (كشف الأسرار)، وتوفي الخميني عام ١٤٠٩ هـ، وبذا يكون قد عاش تسعةً وثمانين سنةً.

الفصل الرابع

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة إيران مليوناً وستمائة وخمسين ألف كيلومتراً مربعاً، ويُقدّر عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٤١١ هـ بما يزيد على خمسةٍ وأربعين مليوناً.

وتُقسم إيران إلى أربعة عشر إقليماً، يُعرف بالفارسية باسم «أوستان»، ويضمّ الإقليم عدداً من المحافظات، وتُعرف باسم «شهرستان»، وتشمل المحافظة عدداً من الأجزاء الإدارية التي هي أصغر منها، والأقاليم هي:

١ – الإقليم المركزي، ومركزه طهران.
٢ – إقليم جيلان، ومركزه رشت.
٣ – إقليم مازندران، ومركزه ساري.
٤ – إقليم أذربيجان الشرقية، ومركزه تبريز.
٥ – إقليم أذربيجان الغربية، ومركزه رضاية (أرومية).
٦ – إقليم كردستان، سنندج.
٧ – إقليم همدان، ومركزه كرمنشاه، ويشمل إقليم كرمنشاه أيضاً.
٨ – إقليم خوزستان، ومركزه الأهواز.
٩ – إقليم أصفهان، ومركزه أصفهان ويشمل يزد.
١٠ – إقليم فارس، ومركزه شيراز.
١١ – إقليم خراسان، ومركزه مشهد.
١٢ – إقليم كرمان، ومركزه كرمان.
١٣ – إقليم وجزر الخليج العربي، ومركزه بوشهر.
١٤ – إقليم وجزر خليج عمان، ومركزه بندر عباس.

وهناك أقاليم صغرى تتبع غيرها، وهي:

١ – إقليم كرمنشاه الذي يتبع همدان، ومقره كرمنشاه.
٢ – إقليم بلوخستان وسيستان ومركزه زهيدان.
٣ – إقليم سيستان ويقع شرق الإقليم المركزي.
٤ – لارستان جنوب همدان وشمال خوزستان.
٥ – إقليم عيلام بين الحدود العراقية ولارستان.
٦ – إقليم بختياري شرق خوزستان.
٧ – إقليم أحميدي شرق خوزستان.

وتختلف الأقاليم بعضها عن بعض بعدد سكانها:

١ – الإقليم المركزي، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٩,٢٢٤,٧٠٠ إنساناً.
٢ – إقليم جيلان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٣,٠٢٦,٤٠٠ إنساناً.
٣ – إقليم مازندران، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٣,٣٦٩,٧٨٠ إنساناً.
٤ – إقليم أذربيجان الشرقية، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٧٧٣,٨١٢ إنساناً.
٥ – إقليم أذربيجان الغربية، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٠٨٧,٠٥٢ إنساناً.
٦ – إقليم كردستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٩٥٦,٥٦٠ إنساناً.
٧ – إقليم همدان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ١,٤٥٥,٠٠٠ إنساناً.
٨ – إقليم خوزستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٩٥٦,٥٦٠ إنساناً.
٩ – إقليم أصفهان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٨٤٠,٢٦٠ إنساناً.
١٠ – إقليم فارس، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٢,٦٤٢,٢٨٠ إنساناً.
١١ – إقليم خراسان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ٤,٥٥٧,٠٦٠ إنساناً.
١٢ – إقليم كرمان، ويُقدّر عدد سكانه بـ ١,٣١٨,٨١٢ إنساناً.
١٣ – الأقاليم الجنوبية، ويُقدّر عدد سكانه بـ ١,٣٢٨,١٢٤ إنساناً.

٤٠,٤٣٦,٤٠٠ إنساناً.



أما الأقاليم الصغرى:

١٤" ـ إقليم كرمنشاه، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١،٥٧١،٤٠٠	إنساناً.
١٥" ـ إقليم بلوخستان وسيستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٨٦٤،٨٥٢	إنساناً.
١٦" ـ إقليم سيمنان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣٣٧،٥٦٠	إنساناً.
١٧" ـ إقليم عيلام، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٣٣٧،٥٦٠	إنساناً.
١٨" ـ إقليم لارستان، ويُقدّر عدد سكانه بـ	١،١٦٤،٠٠٠	إنساناً.
١٩" ـ إقليم بختياري، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٥١٢،١٦٠	إنساناً.
٢٠" ـ إقليم أحمدي، ويُقدّر عدد سكانه بـ	٢٧٩،٣٦٠	إنساناً.
	٤٥،٥٠٣،١٧٢	إنساناً.

ويختلف السكان حسب الشعوب، إذ تضمّ إيران عدداً من الشعوب، ويسيطر الفرس عليها جميعاً، ولذلك يسمون دولتهم «امبراطورية» التي تعني سيطرة شعب على شعوب أخرى. ويكثر الفرس في المناطق الوسطى من الشمال إلى الجنوب، أما الشعوب الأخرى فتقيم على الأطراف.

ويُقيم الأتراك في الشمال الغربي في أذربيجان وفي الشمال الشرقي في خراسان.

ويُقيم الأكراد في المناطق الغربية في كردستان ولارستان، وهناك مجموعات مُبعثرة في أنحاء من البلاد، في طهران، وكرمان، وجيلان، وهمدان.

ويُقيم العرب في إقليم خوزستان، وكان يعرف بالأهواز، ويُسمّيه العرب اليوم «عربستان»، كما يُقيمون في الأجزاء الجنوبية الغربية.

ويُقيم البالوخ في الجنوب الشرقي على حدود باكستان.

وهناك المغول والتركمان في المناطق الغربية أيضاً.

وتختلف نسبة أعداد هذه الشعوب بعضها عن بعض بالنسبة إلى الإيرانيين، إذ يُشكّل:

الإيرانيون:	٦١٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٢٧،٨٠٠،٠٠٠
ويشكّل الأتراك:	٢٠٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩،١٠٠،٠٠٠
ويشكّل العرب:	٧٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٣،١٨٣،٠٠٠
ويشكّل الأكراد:	٨٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٣،٦٢٠،٠٠٠
ويشكّل البلوخ:	٢٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩٠٠،٠٠٠
ويشكّل مجموعات أخرى:	٢٪	بالنسبة إلى السكان كافة، ويُقدّر عددهم بـ ٩٠٠،٠٠٠
		٤٥،٥٠٣،٠٠٠

أما من حيث العقيدة فإن غالبية السكان يدينون بالشيعة، وهم فرقة منحرفة عن الإسلام، وإن كانوا يدّعونه، ويضاف إلى ذلك ما يزيد على ثلث السكان من المسلمين (السنة) أما ما بقي من السكان وهم قلة لا يزيدون على ٢٪ فهم من النصارى الأرمن والنساطرة، ومن اليهود والبهائيين، والزرادشتيين.

وينشأ عن هذه الاختلافات صراعات سواء أكانت عنصرية أم عقيدية، مع ما يحدث من الصراعات الحزبية.

١" - الصراع العنصري

لما كان الشعب الفارسي يُسيطر على عدّة شعوب أخرى، فلا بدّ لهذه الشعوب من أن تتحرّك ضدّ الشعب المسيطر باستمرار، ويدفعها إلى ذلك:

١ - أن الشعب الفارسي لا يحكم هذه الشعوب باسم العقيدة التي تجمع بين هذه الشعوب، وإنما يتخذ لنفسه ميزاتٍ على هذه الشعوب، إذ لا يهتمّ بها كاهتمامه ببني جلدته، حيث نجد الفقر، والجهل، والمرض يتنابها على حين أن أبناء الشعب الفارسي أحسن حالاً، ولو كان نسبياً. كما أنه يفرض لغته عليها، ولا ميزة لهذه اللغة، فلو فرض على الجميع العربية لقبل بها الآخرون على أنها لغة الإسلام، وهم من أتباع هذا الدين.

٢ - أن غالبية الشعب الفارسي تتخذ من الرفض عقيدةً لها، على حين أن بقية الشعوب تدين بالإسلام (السنة)، ولو أن أكثر أفكار أهل السنة قد أُشربت بأفكار الشيعة نتيجة المناهج المدرسية، والتوجيه الدائم، والبيئة الشيعية المحيطة، ولا يمكننا أن نتجاهل أثر ذلك أبداً، غير أن العاطفة يبقى لها دورها، كما يبقى للانتماء أثره، وللتعصّب مفعوله، وكل ذلك يُثير الناس أو يكون دافعاً من دوافع التحرّك ضدّ الشعب المسيطر.

٣ - يتحرّك الشعب ضدّ الآخر المسيطر عليه فتقع صدامات، وتُورث أحقاداً، أو يُخضع المسيطرون الثائرين بقسوة، ويقع الظلم، فتتولّد الرغبة في ردّ الفعل والانتقام والثأر، ويستمرّ الصراع بين الطرفين.

٤ - لما كان الحاكم هو الذي يملك القوة الأكبر، والسلاح الفعّال فإ

الإمكانات الكبيرة، وهذا لا تملكه الحركات، ولذا فإن الغلبة عادةً للسلطة المركزية الأمر الذي يجعل رجال الحركات يفرّون إلى بلادٍ أخرى، ويطلبون منها المساعدة أو يستنجدون بها من الأساس، وهم لا يزالون على أرضهم التي يتحرّكون عليها، ومما يُساعد على ذلك وجود أرض هذه الشعوب على أطراف الدولة الإيرانية.

يقوم الفرس بإشاعة أن رجال الحركات هم على صلةٍ بالأعداء، وخصوم البلاد هم الذين يدفعونهم للحركة، ويمدّونهم بالسلاح في سبيل مصالحهم، ومن أجل تهديم العقيدة، وذلك حتى لا يلقوا تأييداً من أفراد الشعب العاديين، ولا يتعاطف معهم بقية أبناء الأمة.

وربما يحدث نتيجة الدعم الخارجي والمساعدة المستمرة قبول لأفكار المساعدين مع الزمن، أو أن هذه المساعدات ما كانت لتتم لولا الرغبة في نشر تلك الأفكار، إذ أن النفس البشرية تحاول دائماً الدفاع عن أفكار من يحسن إليها، وتجد المبررات لتصرفه، وبالتالي يتمّ مع الزمن، ومع الدفاع، ومع المحبة نتيجة المساعدة يتولّد قبول لأفكار وآراء من أحسن إلى شعبنا وأبنائنا. ومن هنا نرى انتشار الأفكار الاشتراكية في المناطق الشمالية المجاورة لتلك البلدان التي تحمل هذه الأفكار على حين تزداد نسبة الأفكار الرأسمالية في الجهات الجنوبية القريبة من مناطق انتشار تلك الأفكار.

ومع اختلاف الأفكار تزداد أسباب الصراع.

أما رجال الحركات الذين يفرّون فيتهمون المسيطرين بالظلم، والتعصّب، والاستبداد، وهذا ما أجبر المخلصين على التحرّك، وأثار فيهم العزة والكرامة ورفض الذلّ. وربما قبض المسيطرون على أعدادٍ من أبناء الشعوب الثائرة وألقوا بهم في السجون، وهذا ما يحرّك ذويهم في سبيل إنقاذهم، فتبقى حالة التوتر بين الطرفين، وتستمر الضغائن وخاصةً إن وجد من يحركها باستمرار.

هـ ـ أن الأعداء يجدون في الاختلاف العنصري أو التباين اللغوي، والتباعد العقيدي أو المذهبي مجالاً لإثارة الصراع كي تضعف الأمة ويتسنى لهم السيطرة وفرض النفوذ، بل ونشر الأفكار وتنفيذ المخططات. وهذا ما يحدث ـ مع الأسف ـ على الساحة الإيرانية وفي مختلف الأمصار الإسلامية.

١ ـ الصراع الإيراني ـ التركي:

سبق أن قلنا أن الأتراك ترتفع نسبتهم في الجهة الشمالية الغربية في إقليم أذربيجان، وفي الجهة الشمالية الشرقية في إقليم خراسان، ولكن هذا الصراع يختلف بين الإقليمين:

أ ـ الصراع في أذربيجان:

تبلغ مساحة إقليم أذربيجان ١٨٦،٠٠٠ كيلومتر مربع، وهو الآن قسمان، قسم تحت السيطرة الروسية، وتبلغ مساحته ٨٦،٦٠٠ كيلومتر مربع، ويُشكّل جمهوريةً اتحادية من جمهوريات الإمبراطورية الروسية البالغ عددها أربع عشرة جمهوريةً اتحادية، ولا شك فإن نظام الحكم السائد فيها هو النظام الشيوعي، أما القسم الآخر فهو يتبع إيران، وتبلغ مساحته ٩٩،٤٠٠ كيلومتر مربع، وهو إقليمان: أذربيجان الغربية ومركزها أرومية (رضائية)، وأذربيجان الشرقية ومركزها تبريز.

كانت تعيش عدّة مجموعاتٍ في إقليم أذربيجان، وتتكلّم عدة لغاتٍ إذ كان لكل مجموعةٍ لغتها الخاصة بها، وإن كانت متأثرةً باللغة العربية إلى حدٍّ كبير لأنها تدين بالإسلام، ومنذ القرن الخامس الهجري أخذت تفد إلى المنطقة كثير من القبائل التركية حيث سيطر السلاجقة على الدولة العباسية، ثم أخذوا يتوسّعون في الأناضول على حساب دولة الروم، واستقرّ الأتراك في ذلك الإقليم، وتفاعلت لغتهم مع اللغات المحلية فنشأت اللغة المعروفة الآن بالآذرية، والسائدة في إقليم أذربيجان.

قامت الدولة الصفوية الرافضية على أرض أذربيجان، واتخذت من مدينة تبريز عاصمةً لها. وفي عام ١٠٠٧ هـ نقل الشاه الصفوي عباس الأول عاصمته من تبريز إلى أصفهان، وفرض اللغة الفارسية على كل المناطق التي تخضع له، وبذلك حلّت اللغة الفارسية محل اللغة الأذرية رسمياً، ولكن الشعب بقي يتكلم لغته الخاصة به.

وكما فرض الصفويون اللغة الفارسية على أذربيجان، فقد فرضوا المذهب الرافضي، وقاموا بالتوجيه إليه، وغرس مبادئه في نفوس الناشئة حتى قبلت به نسبة من السكان، وهذا ما خفّف من عنف الحركة الأذربيجانية ضدّ التعصّب الفارسي، والتعصّب الرافضي.

قام الأذربيجانيون بحركات ضدّ الصفويين عام ١٠٧٩ هـ، وسيطروا على تبريز لمدة عامين، ثم هُزموا أمام الصفويين، وعادوا يتبعونهم.

ونتيجة الظلم الإيراني فإن أذربيجان عادت إليها الفوضى، وسادت الاضطرابات، وقامت حركات التمرّد، وخوفاً من الانتقام فإن قادة الحركة قد طلبوا من روسيا حمايتهم عام ١٢١١ - ١٢١٣ هـ.

وفي ١٥ صفر ١٢٢٠ هـ (١٤ أيار ١٨٠٥ م) خضعت منطقة (قره باغ) للحماية الروسية، وبدأت الحروب بين الروس والإيرانيين (١٢١٩ - ١٢٢٨ هـ)، وهدأت مدةً، ثم اندلعت من جديد (١٢٤١ - ١٢٤٣ هـ) ونتيجة تلك الحروب سيطر الروس على شمالي أذربيجان، فانقسم الإقليم الواحد إلى إقليمين، خضع أحدهما وهو الشمالي للروس، وبقي أذربيجان وهو الجزء الجنوبي بقي مع إيران. وأخذت مجموعات تفرّ من الجزء الجنوبي الإيراني إلى الجزء الشمالي الخاضع للروس، ليس حباً بالروس وإنما خوفاً من بطش الفرس.

ونشأ الحزب الاجتماعي الشعبي (اجتماعيون عاميون) في أذربيجان بتأثير الاشتراكيين الروس، وأخذ على عاتقه تنظيم الشعب للمقاومة.

وشارك الأذربيجانيون في إضراب عام ١٣٠٩ هـ الذي قام ضدّ اتفاقية التبغ، وكان ولي العهد هو حاكم أذربيجان، ولم يستطع ممثلو شركة «تالبوت» البريطانية من الوصول إلى مدينة تبريز.

وشاركت أذربيجان أيضاً في الثورة الدستورية (١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ)، وظهرت على الساحة الجمعيات السرية الأذربيجانية التي عُرف أعضاؤها باسم «المجاهدين» ولجؤوا إلى وسيلة الاغتيال، وإن لم تكن وسيلةً سليمة إلا أنهم قد اضطروا إليها تحت ظروف الضغط والبطش، وقُتل يومها رئيس الوزراء أتابك أعظم في ٢٣ رجب ١٣٢٥ هـ (٣١ آب ١٩٠٧ م)، وحاولوا قتل الشاه محمد علي في مطلع عام ١٣٢٦ هـ (شباط ١٩٠٨ م) بإلقاء قنبلةٍ على عربته.

وتأسس المجلس الشعبي في تبريز، وظهر من قادة الحركة (ستار خان) و(باقر خان)، وتمكّن الثوار من الاستيلاء على مخازن الأسلحة في تبريز في رمضان ١٣٢٦ هـ (تشرين الأول ١٩٠٨ م)، ولم ينته العام حتى سيطروا على الأجهزة الإدارية في المدينة كافةً.

استطاع الإيرانيون بمساعدة الإنكليز والروس من إخضاع الحركة الأذربيجانية في ربيع الأول ١٣٢٧ هـ (نيسان ١٩٠٩ م)، ولكن الروس احتلّوا المنطقة، فثار السكان ضدّهم، وألزموهم على الخروج من تبريز، ولكن جاءت قوات روسية ضخمة، وتمكّنت من دخول تبريز مرة ثانيةً في ١٥ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٠٩ م). وأخذ الثوار الأذربيجانيون يُهاجمون الروس ويُغيرون على مواقعهم التي تحصّنوا فيها، ذلك أن الروس كانوا يخططون للسيطرة على الجزء الإيراني من أذربيجان، ويُشجّعون على شراء الأراضي. وبقي الوضع كذلك حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وكانت أذربيجان يومها شبه محميةٍ روسيةٍ.

أثناء الحرب العالمية الأولى كانت أذربيجان مجالاً للصراع بين العثمانيين والألمان من جهةٍ وبين الروس من جهةٍ ثانيةٍ، وكان شجاع الدولة

حاكم الإقليم يميل إلى الروس، ويُشجعهم. ونشأ حزب مجاهدي أذربيجان، فدعا إلى التعاون مع العثمانيين ضدّ الروس الصليبيين. وعندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين أول ١٩١٧ م) اضطرت روسيا إلى ترك أذربيجان الإيرانية، وكذلك فإن الجزء الشمالي الذي كان تحت سيطرة الروس قد ثار على الروس وشكّل حكومةً محليّةً مناهضةً للشيوعية دعت إلى انضمام جزأي أذربيجان بعضهما إلى بعض، وجعل مدينة تبريز عاصمةً للدولة الجديدة.

نجح الشيوعيون في شهر جمادى الأولى من عام ١٣٣٦ هـ من السيطرة على (باكو) بمساعدة الاشتراكيين، والأرمن، وحزب همة، وقامت حكومة (باكو) الشيوعية التي قتلت من المسلمين ثمانية عشر ألفاً، وفرَّ قادة حزب المساواة إلى مدينة (غاندكا) وشكّلوا حكومةً معارضةً باسم مجلس أذربيجان الوطني. ثم اختلف الرفاق بعضهم مع بعض، وجاءت القوات العثمانية كدعمٍ للمسلمين، وقضي على الحكومة الشيوعية في ٧ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ (١٥ أيلول ١٩١٨ م). اضطر نوري باشا قائد العثمانيين (شقيق أنور باشا) أن ينسحب من (باكو) للهجوم الإنكليزي القادم من إيران، ولأن الدولة العثمانية خسرت الحرب، واضطرت إلى الانسحاب منها، ومن المواقع التي دخلتها بل من كل المناطق الخارجة عن المنطقة المعروفة باسم تركيا، ولكن بقيت حكومة مجلس أذربيجان الوطني قائمة في باكو، وهي التي دعت إلى الوحدة بين جزأي أذربيجان، ولكن الشيوعيين استطاعوا القضاء على حكومة مجلس أذربيجان الوطني في ١٠ شعبان ١٣٣٨ هـ (٢٧ نيسان ١٩٢٠ م)، وتمكّنوا من فرض سيطرتهم على إقليم أذربيجان الشمالي، وأنشؤوا جمهورية أذربيجان السوفيتية.

كما تشكّلت في أذربيجان الجنوبية الإيرانية جمعية نشر المعارف أثناء الحرب، واختلفت آراء قادتها حول الوقوف على الحياد أم بجانب العثمانيين أم إعلان الثورة على الحكومة الإيرانية والنفوذ الأجنبي فيها

الإنكليزي والروسي، وبرز من القادة (محمد علي خان) و(ميرزا رضا خان) و(محمد علي زاده)، وسافروا إلى برلين، والتقوا هناك مع حسن تقي زاده.

كما تأسّست جمعية عُرفت باسم (كاوه)، وأصدرت جريدةً بالاسم نفسه، ولكنها اختفت مع انتهاء الحرب، حيث برزت نتيجة الظروف.

وظهر على الساحة الأذربيجانية بشكلٍ بارز الشيخ محمد بن الحاج عبدالحميد الذي اشتهر باسم الشيخ (محمد خياباني)، وهو من مواليد عام ١٢٩٨ هـ في بلدة خامنئي قرب تبريز، يجيد العربية، والتركية، والآذرية، والفارسية والفرنسية. اشترك في انتفاضة تبريز، وفي الثورة الدستورية (١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ)، وانتخب عضواً في المجلس النيابي عام ١٣٢٧ هـ. ووقف ضدّ الإنذار الروسي عام ١٣٢٩ هـ، وعندما نجح الروس في تهديداتهم خاف ففرَّ سراً إلى بلاد داغستان، وعندما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى رجع إلى منطقته، ولما احتلّ العثمانيون مدينة تبريز عام ١٣٣٥ هـ قبضوا عليه ونقلوه إلى مدينة (قارص) شرقي الأناضول، ثم أفرجوا عنه فرجع إلى إقليمه وأسّس جريدة (تجدد) في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٥ هـ (٩ نيسان ١٩١٧ م)، ثم أسّس الحزب الديمقراطي في ١٠ ذي القعدة ١٣٣٥ هـ (أواخر آب ١٩١٧ م).

انسحب الروس من أذربيجان نتيجة الثورة الشيوعية في بلادهم، فأخذ محمد خياباني الجانب الاشتراكي ورجع العثمانيون إلى تبريز، فألقوا القبض عليه ثانيةً، ونقلوه إلى (أرومية) مع عددٍ من أعوانه، ولكن لم تلبث الدولة العثمانية أن هُزمت في الحرب العالمية الأولى، وانسحبت من الحرب، وخرجت من تبريز فعاد إليها محمد خياباني.

وقامت انتفاضة عنيفة في أذربيجان بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك أن وزارة وثوق الدولة أخذت تتعاون مع بريطانيا لدرجةٍ كبيرة، ووقّعت معها معاهدةً أصبحت إيران نتيجتها أشبه بمحميةٍ بريطانية، كما تردّت الأوضاع الاقتصادية لدرجةٍ لم يعد بالإمكان السكوت عنها، فأعلن

محمد خياباني في ٢١ رجب ١٣٣٨ هـ (٩ نيسان ١٩٢٠ م) عن استقلاله في أذربيجان، وقطع صلاته مع الحكومة المركزية في طهران، وسمّى بلاده بلاد الحرية (آزادستان) وركّز هجومه على الاتفاقية الأنكلو- إيرانية. وعملت بريطانيا جهدها على القضاء على هذه الحركة، وأخذت تُشجّع الحكومة المركزية على سحق حركة أذربيجان.

عيّنت الحكومة المركزية (مخبر السلطنة هدايت) حاكماً على أذربيجان، ودعمته بقواتٍ من القوزاق، وأخذ المبادرة بإجراء مفاوضات، وبينما كانت حكومة أذربيجان منصرفةً إلى المفاوضات ومطمئنةً إلى ما يجري، فُوجئت بهجومٍ قويٍ من فرق القوزاق وذلك في ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ (١٢ أيلول ١٩٢٠ م)، واستولى المهاجمون على مراكز الدولة، وقُتل محمد خياباني في اليوم الأول من عام ١٣٣٩ هـ (١٤ أيلول ١٩٢٠ م)، وسكنت أذربيجان بعدها.

وفي عام ١٣٤٤ هـ حدث تمرّد في ديلمان (شاهبور)، وفي معمل (الشخّاط) في مدينة تبريز.

وفي الحرب العالمية الثانية تدخّل الروس في أذربيجان، ولما أبعد الشاه رضا بهلوي في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م)، وتسلّم ولي العهد الأمر فقدت طهران سيطرتها تماماً على أذربيجان التي أصبحت خاضعةً للروس. ولكن عادوا فانسحبوا منها بعد انتهاء الحرب بضغطٍ من الغرب.

وفي الانتخابات التي جرت عام ١٣٦٢ هـ حصل على أكثر الأصوات في أذربيجان جعفر بيشوري الذي أسّس الحزب الديمقراطي الأذربيجاني عام ١٣٦٤ هـ، وقد افتتح المجلس الشعبي الذي يضمّ ٧٤٤ عضواً في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٤ هـ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ م)، ورفع شعار الحكم الذاتي في أذربيجان، وشكّل لجنةً مؤلّفةً من ٣٩ عضواً لإدارة البلاد، وفي ٨ المحرم ١٣٦٥ هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٥ م) جرى انتخاب المجلس

الوطني الذي ضمّ ١٠١ عضواً، وتسلّم جعفر بيشوري رئاسة الحكومة الأذربيجانية، وقد اعترفت بالحكومة المركزية.

وفي ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٥ هـ (٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ م) أرسلت حكومة طهران التي كانت برئاسة أحمد قوام السلطنة قواتٍ إلى أذربيجان تحت اسم الإشراف على الانتخابات ولضمان حريتها، ولكن حكومة أذربيجان رفضت ذلك فدخلت قوات طهران بالقوة، وفرّ جعفر بيشوري إلى جمهورية أذربيجان السوفييتية التي تحت سيطرة الروس، وهرب معه الكثيرون، وعدلت بعدها أحوال أذربيجان نسبياً.

ب ــ الصراع في خراسان:

خراسان منطقة واسعة، قسم منها يقع في إيران، وآخر في أفغانستان، والثالث تحت نير الاستعمار الروسي. والجزء الإيراني حاضرته مشهد، وأكثرية سكانه من الترك الذين يُعرفون هناك بالتركمان، وهو الاسم الذي أطلق في بداية الأمر على الترك الذين اعتنقوا الإسلام، وهم امتداد لسكان جمهورية تركمانستان الشيوعية الخاضعة للاستعمار الروسي.

ومما يلاحظ أن الحركات في خراسان قليلة جداً إذا قارناها مع منطقة أذربيجان، ويعود ذلك إلى قلّة الذين يُشجّعونها أو يدعمونها. فالتركمان الذين يعيشون في الأراضي التي يُسيطر عليها الروس لا توجد صلة بينهم وبين الحكومة الإيرانية لأنهم يدينون بالإسلام (السنة) على حين تأخذ إيران بالمذهب الشيعي وتتعصّب له، لذا لا يتوقّعون أي مساعدةٍ منها أو دعم، بل كأنه لا رابط بينهما، وبالتالي فهي لا تهتمّ بهم، ولا تُعيرهم أي بال، ومع أن إخوانهم من التركمان الذين يعيشون في خراسان الإيرانية يدينون بالإسلام مثلهم إلا أنهم لا يملكون من الأمر شيئاً فالأمر للحكومة التي بيدها الإمكانات وتستطيع التصرّف على حين أن سكان القسم الأذربيجاني الذي يخضع للروس يجد سكانه كل عطف من إيران لأن أكثريتهم من الشيعة، وهذا ما يُشجّعهم على الحركة، وهم بالتالي على

صلة بأبناء جلدتهم وعقيدتهم في إيران فإن ثار إخوانهم وفشلوا انتقلوا إليهم، ووجدوا المأوى والأمان. ومع ذلك فقد انتفض التركمان على الروس في انتفاضة تركستان العامة في المرة الأولى ١٣٣٥ - ١٣٤٠ هـ، وفي المرة الثانية ١٣٤٠ - ١٣٥٠ هـ.

ومن ناحية ثانية فإن الروس لم يهتموا بمنطقة خراسان الإيرانية لأن توسّعهم نحو الهند والمحيط الهندي إنما يكون عن طريق أفغانستان، ومن البلدان الإسلامية التي يسيطرون عليها أساساً وهي: تركمانستان، وأوزبكستان، وطاجكستان. كما أن الروس يتحاشون سكان خراسان حتى لا تكون هناك صلة بينهم وبين إخوانهم الذين يخضعون للسيطرة الشيوعية، وهم على عقيدتهم ومن أبناء جلدتهم، على حين أن الروس يهتمّون بموضوع أذربيجان لأنه المجال الطبيعي لهم للتوسّع نحو الخليج العربي.

٢ - الصراع الإيراني - الكردي:

تبلغ مساحة منطقة كردستان في إيران ما يزيد على ١٢٥,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويقيم فيها ما يزيد أيضاً على ثلاثة ملايين إنسان، غير أن عدد الأكراد في دولة إيران كلها يقرب من أربعة ملايين إنسان، حيث يُقيم عدد منهم في طهران، وجيلان، وأذربيجان، وكرمان، وهمدان، وشمالي خراسان، وفارس، ومن أشهر مدنهم: كرمنشاه، وسنندج، ومهاباد.

في العهد الصفوي حلّت المصائب بالأكراد، ونزلت بهم الفواجع نتيجة الحقد المذهبي الذي يحمله الصفويون، وهذا ما جعل الأكراد يميلون إلى الدولة العثمانية. فهجّر الصفويون خمسة عشر ألف أسرة كردية إلى خراسان، وبرز من زعماء الأكراد هولوخان زعيم الأردلان، وخان أحمد خان.

وفي عهد الأفشار فعل نادر خان الأعاجيب بالأكراد، ومع أنه كان من أهل السنة، وأراد إعادة الإسلام إلى الحكم - حسب مفهومه - إلا أنه كان يميل إلى القسوة.

أما الزنديون فكانوا من الأكراد، ورغم أن كريم خان كان متسامحاً، ويُعدّ عهده أكثر العهود حرية وتسامحاً ولكنه لم ينج من تعصّب الآخرين ورغبتهم في الانتقام.

وفي أيام القاجاريين بدأ مؤسس دولتهم آغا محمد خان بضرب الزنديين والبطش بهم، كما قسا على شيوخ القبائل الكردية ووجهائها، حتى الذين أيّدوه إذ خشي منهم، وهذا ما دعا الشيخ عبدالله بن طه الشمزيني إلى الانتفاض على القاجاريين في عام ١٢٩٨ هـ، وسيطر على أجزاء واسعة من كردستان، واقترب من تبريز مقرّ ولي العهد حاكم أذربيجان، فخاف الشاه ناصرالدين من هذه الحركة، واستنجد بالبريطانيين والروس، وأسرعت القوات الروسية إلى الحدود الإيرانية غير أن العثمانيين قد أمروا جيوشهم بالاستعداد والمرابطة على الحدود، ومنع الروس من دخول الأرض الإيرانية، فلم يُحرّك الروس ساكناً، وأخيراً جنّد الإيرانيون عشرين ألفاً، وساقوهم إلى كردستان بدعمٍ من الأجانب، وتمكّنوا من هزيمة الكرد، وفرّ الشيخ عبدالله إلى أراضي الدولة العثمانية، لكن الإيرانيين اتخذوا طريقة إرهاب السكان من قتلٍ، وسجنٍ، ونهبٍ، واعتداءاتٍ مختلفةٍ. ونقل الشيخ عبدالله إلى إستانبول في شهر شعبان ١٢٩٨ هـ (تموز ١٨٨١ م) بضغطٍ من الدول النصرانية، غير أنه فرّ بحيلةٍ في يوم عيد الفطر ١٢٩٩ هـ (١٥ آب ١٨٨٢ م) بحجة أنه معتكف في العشر الأخير في رمضان، وانتقل إلى ميناء (بوتي) على الساحل الشرقي للبحر الأسود، ومن هناك انتقل إلى كردستان، ولكن أُلقي عليه القبض ثانيةً، وبناءً على طلب الشاه ناصرالدين أمر السلطان عبدالحميد بنقله إلى مكة المكرمة، وهناك وافته منيته في شهر ذي الحجة من عام ١٣٠٠ هـ (تشرين الأول ١٨٨٣ م).

وثارت عشيرة (دشت) الكردية على سوء تصرّف حاكم (أرومية) الأمير جيهان سوز مرزا، وكانت بقيادة ولدي الشيخ حسن الذي مات في السجن، وهما: حسو، وبدر، وامتدّ لهيب الثورة إلى مدينة (مهاباد)، واستمرت

الثورة حتى عام ١٣٠٥ هـ، واضطرت حكومة طهران إلى الاستجابة إلى بعض مطالب الكرد، حيث عزلت الأمير جيهان سوز مرزا عن أرومية وعيّنت مكانه أحد أبناء المنطقة من الأكراد، وأبعدت عزة الله خان حاكم سردشت، وعيّنت مكانه أحمد المكري.

وقام الأكراد بحركةٍ أثناء الثورة الدستورية ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ.

ووقف قسم من الأكراد بجانب الأمير (سالار) عندما ثار ضدّ ابن أخيه شاه إيران محمد علي، وكان وقوفهم هذا بسبب حقدهم على أعمال الحكومة، ومنها فرض ضريبة الملح، ومن هذا يتبيّن أنهم كانوا هم المقصودون من هذه الضريبة لا سواهم.

وفي الحرب العالمية الأولى حاولت كل الأطراف المتقاتلة استغلالهم، الإنكليز، والروس، والألمان، ولكنهم وقفوا بجانب العثمانيين حلفاء الألمان بدافعٍ ديني، وضدّ التعصّب المذهبي الإيراني، وانتفض آل قاضي في مهاباد. كما ثار (باب الغوث آبادي) وحاول الاتصال بالروس.

وشارك الأكراد بعد الحرب العالمية الأولى في حركة (جيلان) التي قادها (مرزا كوجك خان) والتي عرفت باسم حركة (الجنكليين) حيث انضمّ إليها متطوّعون من أذربيجان، وكردستان، وطهران. وشكّلت لجنة (اتحاد إسلام)، وقاتلت المحتلّين من الروس والإنكليز. وجاء إلى الأكراد دعم من الدولة العثمانية بقيادة المقدّم حسين التبريزي، إذ أن العثمانيين قد دعموا هذه الحركة وأيّدوها. وقامت الجمهورية في (جيلان) عام ١٣٣٨ هـ، فأرسلت إليها حكومة طهران قوةً من فرق القوزاق، لكن هذه القوة قد هُزمت، واقترب خطر حكومة جيلان من طهران، ولكن القوات البريطانية المتمركزة في قزوين حالت دون تقدّم (الجنكليين) نحو طهران، وتحرّكت لقتالهم، وتمكّنت من القضاء على حركتهم في شهر صفر من عام ١٣٤٠ هـ (تشرين الأول ١٩٢١ م) وقُتل (مرزا كوجك خان).

وساهم الأكراد بالوقوف في وجه حكومة (وثوق الدولة) التي تشكّلت في شهر شوال من عام ١٣٣٤ هـ (آب ١٩١٦ م) لما عُرفت من موالاتها للبريطانيين، وكان الهدف من تلك الحركة إجبار الحكومة على إجراء انتخابات، وتشكيل المجلس النيابي.

وعاد الأمير (سالار الدولة) للقيام بثورة ضدّ ولد ابن أخيه شاه إيران أحمد، ولكن الأكراد لم يدعموه بقوة، وإن كان بعضهم قد وقف معه، فهُزم، وفرّ إلى العراق، وبعدها انتقل إلى حيفا في الشام.

وثار (سردار رشيد) في منطقة أردلان، وأقام صلات مع الأمير (سالار الدولة)، وعمل على الاتصال مع الروس، وامتدّ نفوذه إلى بقية جهات كردستان وخاصةً مدن كرمنشاه، وسنندج، ولكن الحكومة المركزية في طهران قد تمكّنت من إلقاء القبض عليه في جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ (شباط ١٩٢٠ م) بحيلة دبّرها حاكم (سنندج) شريف الدولة.

وثار إسماعيل شكّاك الذي عُرف باسم (سمكو)، وكان أخوه الأكبر جعفر قد قُتل عام ١٣٢٣ هـ لصلته مع الثوار الأكراد. بدأ (سمكو) ثورته في مدينة أرومية (رضائية) مع انتهاء عيد الفطر من عام ١٣٣٩ هـ، ودخل مدينة (مهاباد) في ٥ صفر ١٣٤٠ هـ (٧ تشرين الأول ١٩٢١ م)، كما دخل عدداً من المدن الأخرى، وأصدر جريدة أسماها (نهار الكرد ليل العجم). ولجأ رضا خان بهلوي إلى السياسة فاتصل بعددٍ من المتنفّذين الأكراد، ومنّاهم، وأرسل قوةً استطاعت دخول مدينة (مهاباد) غير أن (سمكو) لم يلبث أن استعادها، لكن قوته أخذت تضعف، وأخيراً هُزم أمام الإيرانيين، واحتلّوا مقرّه في (جهريق) في شهر ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (تموز ١٩٢٢ م) فانتقل إلى تركيا، ومنها إلى العراق، واتصل بالإنكليز، فمنّوه، وأسكتوه، وهدّدوه حيث لا يمكنهم التخلّي عن أصدقائهم ما داموا يسيرون كما يُريدون، ويُنفّذون مخططاتهم، ولا يقومون بأي عملٍ دون أوامرٍ من السادة. وتمكّن (سمكو) من العودة إلى كردستان عام ١٣٤٢ هـ، وبعد أشهرٍ اضطر للفرار

مرةً أخرى. وبعد مرور سنواتٍ رجع إلى موطنه، وثار الأكراد في مطلع شهر رجب من عام ١٣٤٨ هـ لأن إيران أرادت أن تُجبر الأكراد على ارتداء اللباس الفرنجي، وابتدأت ثورتهم قرب مدينة (مهاباد)، فأرسل لهم الشاه رضا بهلوي قوةً كبيرةً أخضعتهم، واضطر قادتهم إلى الهروب، ودخلوا العراق، ودُبِّرت مؤامرة في مدينة (أشنو) في ١٩ صفر ١٣٤٩ هـ (١٥ تموز ١٩٣٠ م)، وقُتل فيها (سمكو).

وخفّت بعد ذلك الحركات إذ عانى الأكراد الكثير من ثوراتهم، ومن ظلم الإيرانيين، ومن تأخّر الأوضاع الاقتصادية في منطقتهم بسبب ظروف التمرّد المستمر، والقتال الدائم.

قام جعفر سلطان بحركةٍ، وفشل، واضطر إلى الالتجاء إلى العراق في ٧ رمضان ١٣٥٠ هـ (١٥ كانون الثاني ١٩٣٢ م).

سنّ الشاه رضا بهلوي سياسةً أسماها (تخته قابو) أي سياسة استقرار القبائل حيث كان يريد القضاء على حياة الانتقال لما لها من أثرٍ على الفوضى والتمرّد، وصعوبة ضبط الأمور، غير أن هذه السياسة قد أثارت القبائل وخاصةً الكردية منها فقامت بعدة حركاتٍ من ١٣٥٥ - ١٣٥٨ هـ.

ولا شكّ فإن سياسة الاستبداد التي سارت عليها حكومات إيران المتعاقبة تجاه الأكراد هي التي كانت تُولّد عندهم روح التمرّد والانتفاضات هذا إضافةً إلى طبيعة بلادهم الجبلية التي تُساعد على ذلك، وحياتهم القبلية التي تُسهّل عليهم الانتقال، ونفوسهم التي تكره الاستبداد، وتأنف الذلّ، ويمكن أن نقول أيضاً: إن إهمال بلادهم من قبل الإيرانيين كان له دور فعّال في ذلك. فالحالة الصحية في كردستان كانت سيئةً للغاية تفوق بكثير سوء ما كانت عليه في بقية المناطق، لقد مرّت ستون سنةً، ولم تتغيّر فيها الحالة الصحية بل لم تكن توجد وزارة صحة في إيران، وإنما كانت مديريةٌ مُلحقةٌ بوزارة الداخلية.

ودأب الشاه رضا بهلوي على تهجير القبائل الكردية من مواطنها إلى مناطق أخرى بعيدةٍ عن منازلها الأصلية، ونائيةٍ عن بلاد الكرد، لقد هجّر قبائل (جلالي) و(بيران) و(كلباغي) إلى (سلطان آباد) و(شيراز) و(كرمان).

وعملت الحكومات الإيرانية المتعاقبة على منع استخدام اللغة الكردية كوسيلةٍ للتخاطب، وعلى تغيير الزي الكردي، ومحاولة إجبار الأكراد على ارتداء اللباس الفرنجي. وعملت كذلك على تغيير أسماء المدن الكردية إلى فارسية، فكان هذا كله عاملاً لانتفاض الأكراد والدفاع عن كرامتهم وحقوقهم.

وتشكّل حزب كردي صغير في بداية الحرب العالمية الثانية، وهو حزب التحرّر الكردي بزعامة (عزيز زندي) في منطقة (مهاباد)، وفي ٣ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٥ آب ١٩٤١ م) دخلت القوات الروسية من الشمال، والقوات البريطانية من الجنوب والغرب، فاستقالت حكومة علي منصور الموالية لألمانيا الهتلرية في ٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (٢٧ آب ١٩٤١ م)، واضطر بعدها الشاه محمد رضا بهلوي للتنازل عن العرش لابنه في ٢٥ شعبان ١٣٦٠ هـ (١٦ أيلول ١٩٤١ م).

وتأسّست جمعية (بعث الكرد)، وزاولت نشاطها في جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ (أيار ١٩٤٣ م)، وانضمّ إليها قاضي محمد، وكان ذا مواهب وإمكاناتٍ فزاد نشاطها. وفي ٨ رمضان ١٣٦٤ هـ (١٦ آب ١٩٤٥ م) رفع بياناً، وفيه توقيع ستةٍ وسبعين رجلاً من شيوخ وأعيان الأكراد، يُعلن عن تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران. وعقد الحزب أول اجتماعٍ له في مدينة (مهاباد) بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٣٦٤ هـ (٢٥ تشرين الأول ١٩٤٥ م)، ودام الاجتماع مدة ثلاثة أيام، وأصدر هذا الحزب جريدته التي تحمل اسم (كردستان) في ٨ صفر ١٣٦٥ هـ (١١ كانون الثاني ١٩٤٦ م)، وكان جعفر بيشوري قد أعلن في تبريز، وقبل شهر أي في ٨

محرم ١٣٦٥ هـ (١٢ كانون الأول ١٩٤٥ م) عن تأسيس جمهورية أذربيجان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي. وأعلن قاضي محمد في ١٩ صفر ١٣٦٥ هـ (٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ م) في مهاباد عن تأسيس جمهورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي، وأبان أنه لا ينوي الانفصال عن طهران، ولكن يُطالب حكامها بوضع حدٍّ للمظالم الإيرانية، وعرفت هذه الجمهورية باسم «جمهورية مهاباد».

وفي ٢٢ جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ (٢٣ نيسان ١٩٤٦ م) حدث تفاهم بين جمهوريتي أذربيجان وكردستان الديمقراطيتين، ووُقِّعت اتفاقية تعاونٍ بينهما، ولكن حاولت حكومة أحمد قوام السلطنة في طهران بذر الشقاق بينهما.

أرسلت حكومة طهران قواتٍ لاقتحام أذربيجان وكردستان بحجة أن هذه القوات إنما أُرسلت بمهمة الإشراف على الانتخابات المزمع إجراؤها، فعقد القاضي محمد اجتماعاً في مطلع عام ١٣٦٦ هـ (أوائل كانون الأول ١٩٤٦ م)، واحتجَّ على إرسال هذه القوات، وأعلن الاستعداد للمقاومة. أما في تبريز فقد أُذيع بيان سُمح فيه لقوات طهران بدخول أراضي أذربيجان، وفي اليوم التالي احتجَّ قاضي محمد على هذا البيان وشجبه.

تقدّمت قوات طهران نحو كردستان من أربع جهاتٍ، وتمكّنت من اجتياحها بعد أن قُتل ما يزيد على خمسة عشر ألف كردي، وأُلقي القبض على قاضي محمد وبعض الأفراد الذين كانوا دعامة له، وقُدّموا للمحاكمة التي قضت بإعدامهم، وفي ٨ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ (٣٠ آذار ١٩٤٧ م) ونُفّذ حكم الإعدام بقاضي محمد، وأخيه صدر، وابن عمه سيف.

وعلى الرغم من أن إيران أصبحت دولة غنيةً بعد تدفّق النفط في أراضيها إلا أن منطقة كردستان بقيت تُعاني من الفقر حيث لم يطرأ عليها تغيّر يُذكر.

وفي ٦ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م) جرت محاولة

لاغتيال الشاه محمد رضا بهلوي في جامعة طهران، وقد استغلّت السلطات الإيرانية هذه الحادثة، ومع موجة الاعتقالات التي تمّت في البلاد وجّهت ضربةً عنيفةً إلى كردستان واعتقلت الكثير من أبنائها.

وفي انتخابات ١٣٧٢ هـ حصل مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني على فوزٍ ساحقٍ في مدينة (مهاباد)، غير أن حكومة طهران قد ألغت تلك الانتخابات وعيّنت شخصاً من لدنها.

وفي العام نفسه انتفض فلاحو منطقة (مهاباد) فبطشت بهم الحكومة الإيرانية.

وساند الأكراد حكومة محمد مصدق.

وعندما جرى استفتاء حول تحديد صلاحيات الشاه في ٢٣ ذي القعدة ١٣٧٢ هـ (٣ آب من عام ١٩٥٣ م) وقف الأكراد بجانب القرار الذي يُحدّد صلاحيات الشاه.

وثارت كردستان ضدّ حلف بغداد، وطالبت بانسحاب إيران منه، وتكلم زعماؤها عن أهداف هذا الحلف الحقيقية، وأهداف من يقف خلفه من الدول النصرانية.

جرى هجوم إيراني كاسح على منطقة كردستان في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٧٥ هـ (٤ شباط ١٩٥٦ م).

ولما قامت حركة في العراق، وقضت على النظام الملكي، وأعلنت النظام الجمهوري في ٢٧ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ (١٤ تموز ١٩٥٨ م) خُصّصت محطة في إذاعة القاهرة مُوجّهة إلى الأكراد في إيران، وبدأت تبثّ أخبارهم، وما يُعانون من قسوة في ظلّ حكم الشاه.

وانفجرت ثورة في منطقة كردستان عام ١٣٨٧ هـ، ولم تستطع طهران من القضاء عليها إلا بعد مرور ثمانية عشر شهراً من اندلاعها.

٣ ـ الصراع العربي ـ الإيراني:

يعيش العرب في إيران في عربستان (الأهواز) وعلى سواحل الخليج العربي، وخليج عُمان، وإن كان تجمعهم الرئيسي في عربستان.

وعربستان هي المنطقة الواقعة إلى الشرق من شطّ العرب، وتُعدّ تتمةً لمنطقة السواد في العراق، وتصل إلى سفوح جبال زاغروس والتي تحيط بها من الشمال والشرق، وتعيش في شمالها قبائل (بختيار) و(اللور)، والتي تتنقل بين المرتفعات صيفاً، والسفوح والتلال شتاءً، بل تصل إلى سهل عربستان، يروي المنطقة نهرا (قارون) و(الكرخة) وروافدهما، وتبلغ مساحة المنطقة ما يزيد على ١٨٥ ألف كيلومتر مربع، ويسكنها ما يزيد على ثلاثة ملايين إنسان.

كانت قبيلة (كعب) العربية هي المهيمنة على المنطقة منذ القرن الثاني عشر الهجري، وحتى بداية القرن الثالث عشر، وفي منتصف هذا القرن أخذت تضعف، وتتفرق بطونها بعضها عن بعضٍ، وتمت من بين هذه البطون عشيرة (المحيسن) التي فرضت سيطرتها على البطون كلها، وكانت لها الهيمنة بزعامة رئيسها الشيخ جابر والذي توفي عام ١٢٩٩ هـ. وكان قد طلب من بريطانيا معاهدةً لحمايته من الفرس الذين يُشرفون على المنطقة أو هم في صراعٍ دائمٍ مع العثمانيين عليها. وتعمل إنكلترا جاهدة على الاحتفاظ بنفوذها في منطقة الخليج وما يجاورها من نقاط هامة باسم حماية الهند، غير أن الحرب الفارسية ـ البريطانية ١٢٧٣ هـ قد عرقلت هذه الجهود، ولكن بريطانيا بعدها قد استطاعت تشديد قبضتها على جنوبي فارس، ورغبت أن تبقى علاقاتها حسنةً مع الشاه، لذا رفضت توقيع معاهدة مع الشيخ جابر يستطيع بموجبها أن يحمي نفسه من الشاه، وإن كانت قد شكرت للشيخ جابر حسن ظنّه ببريطانيا وصداقته لها.

تولّى مشيخة المنطقة بعد جابر ولده (مزعل)، وقد جعل المنطقة تحت إشراف بريطانيا، التي تعرفت على مجرى نهر (قارون) بشكلٍ تامٍ،

وكان صديق (مزعل) الوكيل السياسي البريطاني في البصرة (روبرتسون)، وأنشئت قنصلية بريطانية في (المحمرة) التي غدت قاعدة المنطقة بعد أن كانت (الفلاحية)، وبدأت المنافسة التجارية في نهر (قارون) بين بريطانيا والشيخ (مزعل) الذي يملك سفينةً تجاريةً تعمل في ذلك النهر، وهذا ما أضعف الصلة بين الطرفين، واغتيل الشيخ (مزعل) في الثاني من محرم عام ١٣١٥ هـ (٢ حزيران ١٨٩٧ م) وكانت إشارات الاتهام تتجه إلى أخيه الشيخ (خزعل) بدعمٍ من بريطانيا.

تسلّم مشيخة المنطقة الشيخ (خزعل) بعد اغتيال أخيه الشيخ (مزعل)، وكان يميل إلى بريطانيا ويرغب في تقوية الصلة معها، والحصول على حمايتها خوفاً من هجومٍ عثمانيٍ، مرتقبٍ أو أي هجومٍ من خصمٍ وربما كان الفرس أشدّ هؤلاء الخصوم، إذ لهم الإشراف الاسمي على أملاك الشيخ (خزعل)، ولهم حاكم يُقيم في (المحمرة)، وتخضع له المنطقة اسمياً. وطلب الشيخ (خزعل) من بريطانيا دعمه للقيام باحتلال البصرة، وسلخها من العثمانيين، وضمّها إلى أملاكها، وأن يكون هو موظفاً بريطانياً في (عربستان) ليتخلّص من حكم الفرس.

أخذت روسيا تهتمّ بالمنطقة وبالشيخ (خزعل)، وهذا ما جعل بريطانيا تسرع في تنفيذ طلبات (خزعل) ليبقى في يدها، وتحت نفوذها، ولكن شُغلت روسيا في الحرب مع اليابان عام ١٣٢٢ هـ، فعملت بريطانيا أثناء ذلك على تثبيت مركزها في (عربستان).

أخذت آثار السياسة الدولية تطرق أبواب المنطقة إذ حدث تقارب بين بريطانيا، وفرنسا، واتجهت بريطانيا إلى تحسين علاقاتها مع روسيا التي كانت قد عقدت معاهدةً مع فرنسا، وترغب بريطانيا في التفاهم مع تلكما الدولتين خوفاً من توسّع السياسة العثمانية في منطقة الخليج وتوجّه الألمان إليها أيضاً عن طريق العثمانيين، إضافةً إلى خوف بريطانيا من نمو القوة

الألمانية المتزايدة في القارة الأوروبية. كما أرادت بريطانيا أيضاً العمل على التفاهم مع (خزعل) و(البختياريين).

اندلعت الثورة في فارس ضدّ الشاه من أجل وضع دستور للبلاد، وذلك في شوال ١٣٢٣ هـ (كانون الأول ١٩٠٥ م). وفي ٧ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٠٨ م) افتتح أول مجلس نيابي، ولكن مات الشاه مظفر الدين في ٢٤ ذي القعدة ١٣٢٤ هـ (٨ كانون الثاني ١٩٠٧ م)، وخلفه ابنه محمد علي، وكان يُماطل بفكرة الانتخابات، والمجلس النيابي وكانت الثورة أو ما عُرف باسم (الحركة الدستورية) ضدّ روسيا صاحبة النفوذ في شمالي إيران، على حين كانت عداوتهم للغرب أقلّ بكثير.

أخذت حكومة حزب الأحرار البريطانية تتقرّب من روسيا، والحركة الدستورية في إيران تُعادي روسيا، لذا فقد حدث تفاهم بين روسيا وبريطانيا ونتج عنه توقيع الاتفاقية بينهما بشأن إيران وذلك في رجب ١٣٢٥ هـ (آب ١٩٠٧ م)، وقُسّمت إيران بموجب تلك الاتفاقية إلى:

١ - منطقة نفوذ بريطانية في الجنوب وتقع جنوب خط يبدأ من حدود بلاد الأفغان إلى كرمان - بندر عباس إلى رأس الخليج العربي. وبذا تخرج منطقة عربستان عن دائرة النفوذ البريطاني.

٢ - منطقة نفوذ روسية في الشمال، وتقع شمال خط يبدأ من (قصر شيرين) على الحدود العراقية - أصفهان - يزد - الحدود الفارسية - الأفغانية - التركمانية.

٣ - منطقة محايدة بين المنطقتين السابقتين، ومن ضمنها عربستان.

عدّ قادة الحركة الدستورية أن بريطانيا قد خانتهم فتفاهمت مع روسيا. ويبدو من هذه الاتفاقية أن إنكلترا قد تخلّت عن نفوذها في (عربستان)، ولكن هذا لم يحدث بل أخذت تزيد من قوة نفوذها هناك، وتمدّه إلى منطقة البختياريين، وكان الاتفاق مع روسيا لم يتمّ.

كان الشيخ خزعل يرغب في تنفيذ بريطانيا لمشروع ريّ على نهر (قارون) ليحصل على تأييد سياسي بريطاني ليكون أكثر استقلالية عن إيران، غير أن بريطانيا كانت تتمنع وتناور في سبيل ارتماء أكثر من قبل الشيخ خزعل بين يديها، فكانت النتيجة أن سقط المشروع وضاع، ولكن بريطانيا كانت إذا شمّت رائحة مشروع روسي أو ألماني أحيت الفكرة وأبدت إمكانية العمل في المشروع، ولكن لا تلبث أن تتخلّى عنه.

وتخوّفت إنكلترا من المشروع الألماني (سكة حديد بغداد) الذي كان من المفروض أن ينتهي بأحد الموانئ على الخليج العربي كالكويت مثلاً، لكن الكويت كانت مغلقة تماماً في وجه هذا المشروع بعد اتفاقية بريطانيا مع أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح عام ١٣١٦ هـ، ولذا كان يمكن أن ينتهي هذا الخط في خور موسى في عربستان أي يتبع الأمر للشيخ خزعل، ويقع بذلك في المنطقة المحايدة حسب الاتفاقية البريطانية - الروسية أي يمكن لأية دولة أن تقوم بمثل هذا المشروع، ومن هنا زاد اهتمام ألمانيا بالمنطقة وشيخها، وهذا ما جعل إنكلترا تتخوّف من الأمر.

ورأت إنكلترا مدّ خط حديدي من (خرم أباد) في منطقة لورستان إلى المحمرة، ولكن خشي الشيخ خزعل من هذا المشروع حيث رأى فيه زيادةً لتقوية التدخّل الفارسي في منطقته عن طريق هذا الخط. ولكن إنكلترا كانت تخشى النفوذ الألماني، والنفوذ الروسي.

حصل المقاول البريطاني (وليم نوكس دارسي) على امتياز التنقيب عن النفط، واستثماره، وتصديره في الشهر الأول من عام ١٣١٩ هـ (أيار ١٩٠١ م)، ووُفّق في اكتشافه في شهر شوال ١٣٢١ هـ (كانون الثاني ١٩٠٤ م).

وتدفّق النفط من البئر الأولى في عربستان في (مسجد سليمان) في تاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٦ هـ (٢٦ أيار ١٩٠٨ م)، وبدأت المفاوضات بين الشيخ خزعل والحكومة البريطانية في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ (١٨

أيار ١٩٠٩ م)، وقد وضع الشيخ خزعل شروطاً لمصلحته، ووقّعت الاتفاقية بين الطرفين في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (١٦ تموز ١٩٠٩ م)، غير أن التكاليف قد ارتفعت بسبب الأنابيب، والتكرير، واضطرت الشركة إلى ممولٍ جديدٍ فأخذت الحكومة البريطانية ٥٠٪ من أسهم الشركة.

الحرب العالمية الأولى:

وصلت الحملة البريطانية إلى الخليج في ذي الحجة ١٣٣٢ هـ (تشرين الثاني ١٩١٤ م)، وكان العثمانيون يفكرون بالإفادة من خزعل بن جابر، كما كان البريطانيون يعتقدون ذلك، والواقع أنه كان إلى جانب الإنكليز بكل ثقله، وكامل تفكيره، إذ كانت هيبتهم في المنطقة أكبر من هيبة خصومهم العثمانيين كجانب من جوانب النقص التي تملأ ذهن الضعيف، إضافةً إلى الخبث الذي عُرف به الصليبيون، ولعبهم الدائم على الحبال، كما أن إيران التي يتبعها خزعل بن جابر مرتبطة منذ مدةٍ ببريطانيا وروسيا، وأن قوة بريطانيا البحرية في الخليج العربي كان لها دورها الكبير على ساحة الأحداث وعلى الناحية النفسية للسكان.

انضمّ خزعل بن جابر إلى بريطانيا لو أعلن ذلك صراحةً، فهو بجانبهم من قبل، واتخذ هذا القرار منذ تسلّم السلطة، وكان على صلةٍ بأمير الكويت، وسلطان نجد، وطالب النقيب أحد أعيان البصرة.

ولما كان مركز تكرير النفط في مدينة عبادان إحدى مدن عربستان، وتتبع إمارة خزعل بن جابر فلا بدّ من أن يتجه العثمانيون بتفكيرهم إلى مهاجمة ذلك المركز ذي الأهمية الحيوية، وبالتالي لا بدّ القيام بحملةٍ واسعةٍ على عربستان لتحقيق ذلك الهدف ولضرب المصالح البريطانية على تلك الجبهة. وسواء أحصلوا على مساعدة الفرس، أم خزعل، أم العراقيين أم لم يحصلوا، وهذا يقتضي حرب خزعل بن جابر،وإصدار قرارٍ بعزله عن تلك الإمارة إذ تدعي الدولة العثمانية أنها صاحبة السيادة عليه وعلى أملاكه.

وكانت إنكلترا حريصةً على المحافظة على مكانتها في الخليج، وعلى حماية مصادر النفط لذا لا بُدّ لها من أن تُفكّر في أن يكون أمراء تلك المنطقة إلى جانبها، وقد كانوا، إلا طالب النقيب الذي طالب أن يكون أميراً على البصرة تحت الحماية البريطانية، فلم يُوافق على طلبه حيث ادّعت بريطانيا أن طلبه غير معقولٍ، إذ ليس له ما يهيء له هذا من وجهاء البصرة وشيوخ القبائل المجاورة للبصرة.

عندما بدأت الحرب طلب العثمانيون من خزعل السماح لجنودهم بارتقاء سطوح المنازل في مدينة عبادان، والمطلة على الميناء لضرب السفينة الإنكليزية الراسية هناك، والتي سبق للعثمانيين أن طلبوا منها مغادرة شطّ العرب غير أن الطلب قد رفض يومذاك. ولم يكتف خزعل بردّ طلب العثمانيين بإعلان الحياد، بل قام بإبلاغ البريطانيين ذلك.

وطلبت بريطانيا من خزعل، ومبارك الصباح، وطالب النقيب وبقية أمراء المنطقة القيام باحتلال مدينة البصرة وطرد العثمانيين منها قبل وصول الحملة الإنكليزية، وقدّمت لخزعل بن جابر ثلاثة آلاف بندقية ومليون طلقة.

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ (١٠ تشرين الثاني ١٩١٤ م) سرى نبأ عزم العثمانيين على القيام بهجومٍ، فما كان من خزعل بن جابر إلا أن أخبر البريطانيين بذلك، تأكيداً لمناصرته لهم وانضمامه إليهم.

دعا العلماء في عربستان وغيرها الشعب للانضمام إلى حركة الجهاد ضدّ الحلفاء، ومؤازرة القوات العثمانية التي كانت بقيادة محمد فاضل الداغستاني، ولكن خزعل بن جابر أظهر الحياد، كما أعلنت إيران ذلك، وفي الواقع فإن خزعل قد ساعد البريطانيين في احتلال البصرة.

ثار الشيخ غضبان من بني لام على خزعل في منطقة (الحويزة)، وانضمّ إليهم بنو طرف، وعملوا معاً لصالح العثمانيين، وكذلك قامت أعمال العصيان في الأهواز، كما رفض البختياريون دعم خزعل.

حدث خلاف بين العرب والأتراك إذ انساق الطرفان في طريق العصبية ففرّقتهما، وتركوا سبيل الإسلام فضعف أمرهما، فانتصر الصليبيون على الترك، ولعبوا على العرب، وجزّأوا بلادهم، وتقاسموها، وجعلوهم تبعاً لهم، أو إن ترك العرب سبيل الإسلام قد جعلوا من أنفسهم مطيةً لأعدائهم، وهُزم الترك، وانسحبوا، ولم يُفكّروا بعدها بالهجوم على عربستان.

وفي الوقت نفسه تفككت القبائل المعارضة لخزعل بن جابر، فصفح عنهم، وتراجع بنو طرف بعد أن دمّر البريطانيون بلدتهم الرئيسية (الخفاجية)، وانتهت الحركات ضد خزعل. ولكن إذا كان الوضع قد هدأ في عربستان غير أنه انفجر في بقية أجزاء إيران، حيث قامت حركات ضدّ بريطانيا، وطُرد معتمدوها في كلٍ من: شيراز، ويزد، وكرمان، وحوصرت الحامية البريطانية في (بوشهر). وظهر أن القوة السويدية المرابطة في إيران تُؤيّد الألمان الذين أصبحوا يلقون استحساناً لدى الفرس، وتوقّعت بريطانيا صراعاً مع إيران لذا عادت تسترضي خزعل، وتتوقع أن تقدّمها نحو بغداد سيُمكّن لها الوضع في إيران وفي منطقة الخليج كافةً، ولكنها اندحرت فكان لتلك الهزيمة وقعها السيء في نفوس أعوانها وقادتها.

كان خزعل بن جابر يطمع بملك العراق أو على الأقل إمرة البصرة على أن يكون مستقلاً فيها، ولكن لم تنظر إنكلترا إلى طموحاته، واكتفت بتزويده بالأسلحة لمواجهة القبائل التابعة له والمسلحة بشكلٍ جيدٍ. وأخيراً اضطرت إنكلترا إلى أن تسحب قواتها من إيران كي تسحب روسيا بالمقابل جيوشها من أراضي الدولة الفارسية، ثم رشّحت إنكلترا فيصل بن الحسين بن علي لملك العراق بعد أن طُرد من الشام، وجاء إلى العراق، وتسلّم منصبه كملك للعراق، وهذا ما خيّب آمال خزعل.

كان لحادثة استسلام حامية (الكوت) البريطانية أثر سيء لدى البريطانيين وأعوانهم في ربيع عام ١٣٣٤ هـ حيث استسلم ثلاثة عشر ألف

جندي بريطاني للقوات العثمانية، وهذا ما أضعف حكومة الهند، فأُلغيت، وسُلّمت العراق لوزارة المستعمرات البريطانية. وكذلك فقدت ألمانيا بعد الحرب مكانتها ولم يعد لها دور كمخيف في منطقة الخليج، بل لم تعد إنكلترا لتهتم بها، وكذلك لم تعد إنكلترا بحاجةٍ إلى التفاهم مع روسيا التي أصبحت خصماً لها إذ سلكت طريق الشيوعية على حين تنهج بريطانيا سبيل الرأسمالية، ومن هذا كله فقد أظهر البريطانيون أنهم لم يعودوا بحاجةٍ إلى خزعل بن جابر.

عقدت بريطانيا معاهدةً مع إيران في جمادى الآخرة ١٣٣٩ هـ (شباط ١٩٢١ م)، ولما كانت ترى ضرورة تنفيذ بنود المعاهدة، كما تريد بقاء صلتها مع إيران بشكلٍ طيبٍ، لذا لم تر بقاء المحافظة على استقلال خزعل بن جابر في عربستان، وخاصةً أنها لم تعد بحاجةٍ إليه.

رغبت إيران في السير في سياسةٍ استقلاليةٍ، وهذا ما يجعلها تبتعد عن بريطانيا خوفاً من روسيا التي ستتدخل في شؤونها إن رأت نفوذ بريطانيا لا يزال قائماً، وحتى تجد بديلاً عن إنكلترا اتجهت نحو الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل الحصول على مساعداتٍ ماليةٍ، وهذا ما جعل بريطانيا تتجه ثانيةً إلى دعم خزعل بن جابر كي يبقى على استقلاله الذاتي لعل إيران تعود إلى رشدها ـ حسب رأي بريطانيا.

قررت حكومة إيران (قوام السلطنة) في جمادى الآخرة ١٣٤٠ هـ (شباط ١٩٢٢ م) استعادة نفوذها في عربستان، ورأت إرسال قوةٍ لتنفيذ ما قررته، فلجأ خزعل بن جابر إلى بريطانيا، غير أنها رأت ليس من مصلحتها التدخّل في الأمر، فما كان من خزعل إلا أن أذعن لمطالب الحكومة المركزية، وأخذ يدفع ما عليه من إيرادات إلى طهران، ولكنه في الوقت نفسه عمل على الحصول على السلاح، والتفاهم مع البختياريين، والاتفاق مع جمعيةٍ إسلاميةٍ في مدينة (النجف) تدعو إلى الوحدة الإسلامية لكسب التأييد وعطف الرعية عليه.

وفي ٢٤ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ (١٨ تموز ١٩٢٢ م) أعلنت حكومة طهران عن تسيير خمسمائة جندي مع المدفعية المرافقة إلى عربستان. حاولت بريطانيا التدخّل من بعيدٍ أو الوساطة فطلبت وقف تحرّك القطعات المتجهة إلى عربستان غير أن وزير الحرب الإيراني رضا خان رفض ذلك إلا بأمرٍ من رئيس الوزراء الذي وافق على وقف الحركة موقتاً ولمدة شهرين فقط.

وفي ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ أي في الوقت نفسه الذي وافق رئيس الوزراء على تأجيل الحركة سيّر مائتي جندي للإقامة في (شوشتر)، بحجة أنهم لن يدخلوا الأراضي التي تقع تحت نفوذ خزعل بن جابر. وعندها رأت إنكلترا أن حكومة طهران تُخاتل، وهذا ما جعلها تتدخّل من بعيدٍ فاستدعت اثنين من البختياريين، وأبانت لهم الخطر الذي يكمن وراء إرسال قوة من طهران إلى المنطقة، وأن مصالح بريطانيا، وخزعل، وبختيار تسير في خطوط متوازية ولا تقاطع فيها. غير أنها لم تلبث أن فوجئت بنصب كمينٍ والهجوم على قوةٍ من الفرس مؤلفة من أربعمائة جندي في أصفهان، وتجريدهم من السلاح وقتل أربعين رجلاً منهم، واتجهت أصابع الاتهام من الحكومة المركزية إلى اللوريين، ثم اتجهت إلى أحد زعماء البختياريين وهو الأمير مجاهد صديق خزعل بن جابر.

وفي ١٠ صفر ١٣٤٢ هـ (٢١ أيلول ١٩٢٣ م) غادر أصفهان مائتا جندي إيراني متوجهين إلى عربستان في سبيل تنفيذ خطة وضع ألف جندي في (بهبهان) بحجة حماية حقول النفط من هجوم القبائل، وكان وزير الحرب الإيراني رضا خان قد نصّب نفسه رئيساً للوزارة مع الاحتفاظ بحقيبة وزارة الحرب لنفسه. وعمل الإنكليز على إقناع خزعل بن جابر على الرضا بمرابطة جنود إيرانيين على حدود إمارته.

وفي الثاني من ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (١١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م) جاء وفد من طهران إلى عربستان للمفاوضات بشأن إيرادات عربستان،

واستحقاقات الحكومة المركزية، وطريقة تسديدها، ولما وصلت المفاوضات إلى طريقٍ مسدودٍ لجأ خزعل إلى بريطانيا، وهدّد الوفد الإيراني باحتلال عربستان، وأسرع الإنكليز إلى المستشار المالي الأمريكي الذي حاول التسوية، وأعلن عن اتفاقية بين الطرفين في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ م)، وتقضي هذه الاتفاقية بأن يدفع أمير عربستان مبلغ خمسمائة ألف تومان، وأن يكون إلى جانبه معتمد مالي من قبل الحكومة المركزية.

ضعف مركز خزعل بن جابر، وأصبحت طهران تُشرف على البريد والبرق في المحمرة، وعمل رئيس الوزارة الإيرانية على الوقيعة بين القبائل البختيارية، واللورية، وأمير عربستان، وأعلنت إنكلترا تميل إلى الحكومة المركزية الإيرانية التي يرأسها رضا خان كي تستطيع هذه الحكومة أن تقف في وجه الأطماع الروسية، ولذا عملت على استلام خزعل إلى طهران بعد أن نجحت في إبعاد خانات البختياريين الكبار عنه، ولكن الصغار منهم بقوا إلى جانبه. وأعلنت إنكلترا أنها لا تؤيّد انسحاب الجند الإيرانيين من عربستان وعن حدودها، كما لا تؤيّد موقف خزعل من الإيرادات وعدم تسديد حكومة طهران نصيبها منها، وتطلب منه الذهاب إلى طهران والاجتماع برئيس الوزراء رضا خان والتفاهم معه، وبالمقابل فإنها ستحصل له على عفوٍ من رضا خان له ولحلفائه وأعوانه.

اقتنع خزعل أن بريطانيا قد تخلّت عنه، وصرّح بأنه لن يذهب إلى طهران لأنه ربما يُقتل هناك، وعلى إنكلترا أن تحول دون تحرّك الجنود الإيرانيين في عربستان، وإلا فإن عربه سيهاجمون قوات الحكومة المركزية في (بهبهان).

عادت إنكلترا فأعلنت أنها لن تؤيّد موقف خزعل، وأنه لن يجد منها أي تعاونٍ أو دعم. أما روسيا فقد كانت تثير دائماً حكومة طهران على أمير المحمرة، وتذكر مخالفاته، وتعدّه من صنائع الإنكليز مهما كانت الصورة الظاهرية.

شكّل خزعل حزب السعادة، وهو حزب الأحرار من أجل إطلاق الحرية السياسية في إيران كلها، وهدّد بالانسحاب من عربستان والتوجه إلى العراق، وهو يعلم أن هذا لا يمكن أن تُوافق عليه بريطانيا لأن هذا يعني أنها تتخلّى دائماً عن أصدقائها، وخاصةً بعد أن تخلّت عن الشريف حسين بن علي الذي نصرها في أشدّ الأوقات عليها فلما أن تمّ لها ما أرادت رمته، ويُهدّد خزعل بالإشارة بأنه إذا ما ترك مقرّ إمارته فإن رجال قبائله سيُغيرون باستمرارٍ على منابع النفط، وسيهاجمون المصالح البريطانية هناك، وإذا ما التجأ إلى العراق فإن الشعب هناك سيلتفّون حوله، ويمكنه وقتذاك إثارة السكان على بريطانيا ثأراً لتخلّيها عنه.

اقترحت بريطانيا على رئيس الوزارة الإيرانية رضا خان الموافقة على الاجتماع بأمير عربستان خزعل في (أصفهان) أو (بوشهر) فيما إذا وافق على طرد المتآمرين معه، وإذا سرّح رجاله من العربان. وقد وافق رضا خان على اللقاء بخزعل فيما إذا أظهر الطاعة، واعتذر عما بدر منه.

وافق خزعل على الاجتماع برئيس الحكومة المركزية رضا خان، وقام بتسريح رجاله، غير أن ذلك لم يفده شيئاً، إذا لم تهدأ الحركات ضدّه بل زادت فقد تمرّد بنو طرف، وأصدر علماء الشيعة في النجف وكربلاء بياناً بالتخلّي عن خزعل والوقوف ضده.

وفي ٢٧ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ (٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٤ م) أرسل خزعل برقية خضوعٍ إلى رئيس الحكومة المركزية رضا خان، وأتبعها بثانية، وفي ١٠ جمادى أولى ١٣٤٣ هـ (٦ كانون الأول ١٩٢٤ م) التقى به في مدينة الأهواز، وجاءت بعدها في الشهر التالي قوات الحكومة المركزية، وعسكرت في مراكز القبائل العربية، وبذا فقد أمير عربستان سلطته على القبائل، وشُلّت حركتها وإمكانية قيامها بعملٍ، كما فقد خزعل إمكانية جمع الإيرادات.

نصّب رئيس الحكومة المركزية في طهران أميراً على الفلاحية من

قبله، وهو المنافس العربي لخزعل، وطلب من أمير عربستان السابق خزعل بن جابر زيارة طهران فخاف مغبة هذه الزيارة، فأرسل عائلته إلى البصرة، وفي ٢٦ رمضان ١٣٤٣ هـ (١٩ نيسان ١٩٢٥ م) نزل جنود يتبعون الحكومة المركزية من زورقٍ وألقوا القبض على خزعل، ونقل وابنه عبدالحميد إلى طهران، وهناك استقبله رضا خان بحرارة، ووعده بحلّ مشكلاته كلها، وجاء ممثل بريطاني ليزور خزعل فمُنع من ذلك. وأصبحت أملاك خزعل تتبع الشاه، وبقي خزعل في طهران حتى توفي في ١١ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ (٣٠ حزيران ١٩٣٦ م).

وهكذا انتهى الصراع بين الحكم الإيراني وخزعل، ولم يكن يحمل الصبغة العصبية القومية، وإنما كان يحمل الأطماع الشخصية والمصلحة الفردية، ومن ذلك نرى ارتماءه في أحضان البريطانيين ورغبته الدائمة في ذلك بل يُطالبهم بأكثر من الواقع الذي هو فيه. غير أن خزعل بن جابر قد استغل أفراد قبيلته ذات الأصل العربي، ولذا فقد صنفنا حركته ضمن الصراع التعصبي.

وهدأت أحوال عربستان بعد خزعل، ولم تحرص إنكلترا على إثارة هذا النزاع بين الدولتين المتجاورتين لأن نفوذها قائم في كليهما، وللسبب نفسه لم يحرّك الجانب العراقي العرب في ذلك الإقليم، ولكن إذا حدث خلاف بين الدولتين فإنما هو على مجرى شط العرب فقط، وينظر فيه إلى الاتفاقات والمعاهدات السابقة والأحداث الجارية في المنطقة، وهذا الذي وقع، واندلعت الحرب بين الجارتين.

وقامت عدة حركات في منطقة عربستان أثناء الحرب العالمية الثانية، وألمحنا إليها في حينها.

ولكن وإن لم تُطالب العراق بتسوية الحدود على أساس العصبية رغم حملها لهذه الفكرة ومناداتها بها إلا أن السكان هناك قد قاموا بتنظيم

مصور
عربستان

ايران
العراق
المحمرة
العراق
ايران
الخليج العربي

شط
العرب

البصرة
المحمرة
ام الرصاص
الخزعلية
شطيط
الدواسر
جزيرة خضر
(عبادان)
القصبة
الخليج العربي

الأحزاب والتجمعات السياسية بهذا القصد، وهذا ما سنجده - إن شاء الله - في موضوع الصراع الحزبي.

ونتيجة مرور الزمن ودراسة التاريخ من وجهة النظر الشيعية، والتوجيه الدائم من خلال وسائل الإعلام كلها، فقد تأثر بعض السكان بهذا وأصبحوا شيعةً على حين بقي آخرون على مذهب أهل السنة والجماعة مع بعض التأثر، وهذا ما خفّف الصراع، وخاصةً أننا نعلم أن نسبةً كبيرةً من الشيعة تقطن جنوبي العراق، وتقوم هناك أماكن مقدسة لدى الشيعة جميعاً في (النجف) و(كربلاء)، وهذا ما يُقلّل الصراع، ويخشى من نتائجه فيما إذا اندلع.

٤ - الصراع البالوخي - الإيراني:

يسكن البالوخ جنوبي شرقي إيران على حدود باكستان، وتمتدّ منازلهم داخل الأراضي الباكستانية، ولا نستطيع أن نقول: إن هناك صراعاً واضحاً بين البالوخ والحكم الإيراني وذلك لقلة عدد السكان الذين يعودون إلى أصل بالوخي في إيران حيث لا يصل عددهم إلى نصف مليون هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن البالوخ في باكستان هم أنفسهم أقلية صغيرة، وليس لهم شأن، وكذا الحال في أفغانستان. ولكن هناك أيد غريبة تلعب في الخفاء، وتحرّك البالوخ لإقامة دولةٍ مستقلةٍ لهم تضمّ كل العناصر ذات الأصل الواحد. وذلك في سبيل زيادة تقسيم بلاد المسلمين وإضعاف شأنهم، وإفادة أعدائهم من ذلك، وكان للشيوعية دور كبير في ذلك، وأخذت العصبية بعضهم فقاموا يُطالبون بذلك، وأنستهم الغفلة واقعهم وحقيقة الأعداء.

٥ - الصراع المغولي - الإيراني:

لا يزال يعيش في إيران بعض بقايا من المغول، ويسكن أكثرهم في أصفهان ومنطقة (بختياري)، ولا تزال لهم مكانة، ويحمل كبارهم اسم (خان)، ولما كانت أعدادهم قليلةً لذا فإنهم لا يمكنهم الصراع أو دخول ساحته وحدهم، ولكن ينزلون إليه مع غيرهم حسب مصالحهم، ولما كانت منطقتهم منطقة الأقليات لذا تراهم تارةً مع هذه الأقلية، وتارةً مع تلك، ومرةً ثالثةً مع الحكومة المركزية. وقد رأينا دعم كبارهم في بعض الأحيان لخزعل بن جابر، كما كان لهم شأن في الحكومة المركزية إثر الحركة الدستورية. وما داموا تجمّعاً على أساسٍ تعصبي فإن تحرّكهم تعدّه صراعاً، وإن كانوا أحياناً إلى جانب الحكم، إذ يتحرّكون حسب مصالحهم.

٦ - الصراع التركماني - الإيراني:

ويمكن أن نضيف تحرك قبيلة (قشقائي) التركمانية الدائم ضد الحكومة المركزية، ووقوفها إلى جانب المعارضين لطهران.

"٢" - الصراع العقيدي

تبلغ نسبة المسلمين في إيران ٩٨٪، ومع هذه النسبة المرتفعة، وانخفاض نسبة المجموعات العقيدية الثانية أو الأقليات حتى لتعدّ بحكم المعدومة نرى أن الصراع العقيدي على أشدّه إذ ليس هو بين أصحاب الديانات المختلفة، ذلك لأن الديانات الأخرى لا تسمح لها أعدادها الضئيلة بالدخول في صراعاتٍ مع المسلمين، وإنما الصراع هو بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة التي هي الأكثرية في إيران، بل إن إيران هي المصر الوحيد في العالم الإسلامي الذي تزيد فيه نسبة الشيعة، وإنهم يُشكّلون أكثرية شيعة العالم.

قلنا أن عدد سكان إيران يزيد اليوم على خمسة وأربعين مليوناً، ويشكّل المسلمون بينهم ٩٨٪، أما الباقي وهو ٢٪ فيتوزّع بين عدد من أصحاب الديانات الأخرى.

المسلمون:		٩٨٪		٤٤،١٠٠،٠٠٠	
	الشيعة		٦٣٪		٢٨،٣٥٠،٠٠٠
	السنة		٣٥٪		١٥،٧٥٠،٠٠٠
النصارى:		١٪		٤١٠،٠٠٠	
	الأرمن				٣٢٨،٠٠٠
	النساطرة				٨٢،٠٠٠
اليهود:				٧٣،٠٠٠	٧٣،٠٠٠
الزرادشت:				٢٠،٠٠٠	٢٠،٠٠٠
البهائيون:		١٪		٣٩٧،٠٠٠	٣٩٧،٠٠٠
		١٠٠٪		٤٥،٠٠٠،٠٠٠	٤٥،٠٠٠،٠٠٠

وإذا كانت الأقليات العقيدية في إيران صغيرة الحجم، قليلة العدد لا يمكنها الدخول في صراعاتٍ مع المسلمين إلا أنها تقف دائماً في الصف المعادي للإسلام فهي مع الإلحاد، ومع الفساد، ومع كل ما يُهدّم في الإسلام، أو يُبعد عنه، وهي مع الشيوعية، ومع الرأسمالية، ومع الفوضى الاقتصادية المهمّ ضدّ النظام الإسلامي أو كل من يدعو إليه أو يُنادي به. الشيوعيون في إيران وفي كل مكانٍ أقرب إلى الرأسمالية، ويمكنهم التعاون معها، ويستطيعون مهادنتها بل يتفاهمون معها ضدّ الإسلام. والرأسماليون في إيران وفي كل مكانٍ على استعدادٍ للتعاون مع الشيوعية، ولا يجدون فيها خطراً عليهم، ولكن الخطر كل الخطر إنما هو في الإسلام، ويمكنهم التعاون معها لضرب الإسلام. وقد علمتنا الأحداث أنه ما من مرةٍ يلتقي سدنة الشيوعية مع سدنة الرأسمالية إلا ويتمّ التفاهم بينهما على ضرب الإسلام، أو يكون هو الموضوع الرئيسي والأساسي في ذلك اللقاء. بل إن الاجتماع لم يكن ليتمّ لولا داعٍ له وغالباً ما يكون تقدماً إسلامياً أو انتصاراً أحرزه المسلمون، أو أن هناك مشكلةً يُخشى أن يستفيد منها المسلمون.

وتتخذ هذه الأقليات كل الوسائل من جنسٍ، واقتصادٍ، ومؤسساتٍ ربويةٍ، ومراكز إفسادٍ و... لإبعاد المسلمين عن دينهم ولا شك أن اليهود لهم موقعهم المالي، وإن قلّ عددهم، ولهم إشراف على كثيرٍ من مراكز الدعارة، ولا يقلّ الأرمن عنهم في تعصّبهم، ويعادل البهائيون اليهود في موضوع الجنس. والنساطرة والزرادشت لهم دورهم في كل هذا.

أما الصراع العنيف فهو ما يحدث بين المسلمين (السنة) وبين الشيعة إذ أن الشيعة يتصوّرون كل مسلمٍ قد تخلّى عن عليّ، رضي الله عنه، وأيّد معاوية، رضي الله عنه، وشارك في قتل الحسين، رضي الله عنه، والآن عليهم أن يثأروا من خصوم عليّ، رضي الله عنه، وقتلة الحسين، رضي الله عنه، لذا فهم يتعصّبون ضدّ المسلمين السنة، ويتحزّبون للشيعة. أما أهل السنة فلا يحقدون أبداً على الشيعة ويعدّونهم إخواناً لهم، ولكن يسخرون من بعض أقوالهم وأفعالهم.

إنهم يسخرون من زواج المتعة، ولا يقبلونه أبداً، ويعتقدون بحرمته، وحتى الجاهل منهم الذي لا يعرف أن رسول الله ﷺ، قد نهى عنه، وحرّمه يوم خيبر، ثم أكّد ذلك يوم الفتح، هذا الجاهل لا يقبل عقلاً زواج المتعة، وينفر منه، ويعدّه والزنا شيئاً واحداً.

إنهم يسخرون من صلاتهم على القرص، وادعائهم أن هذا من تربة كربلاء التي تخضّبت بدم الحسين، رضي الله عنه، ورغم أن السادة منهم ينكرون هذا، ويدّعون أن السجود على تراب هو الأصل، وهو واجب لأن السجاد لا يطهر بالدباغة ـ حسب فقههم ـ، ولكن رأي السادة هذا لا ينظر إليه أحد، والعامة من الشيعة كلهم يدّعون أن القرص من تربة كربلاء، وهذا ما يقوله لهم أيضاً أولئك الذين يبيعون هذه الأقراص.

إنهم يعجبون جداً من رفضهم الاقتداء بالمسلمين في الصلاة رغم ادعائهم الإسلام، وعدم صلاتهم الجمعة ما دام الإمام غائباً، وبقي ذلك حتى ظهر نائب الإمام حسب دعواهم، وهو الخميني.

إنهم يسخرون من أقوالهم إن الإمام محمد المهدي مكبّل في السرداب، مُقيّد في سجنه، لن يخرج حتى يكثر الفساد فإذا خرج أعاد الحق إلى نصابه وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويعلم المسلمون أنه لا يوجد رجل يدعى محمد المهدي فليس هو سوى أسطورة أضلهم بها محمد بن نصير حاجب الحسن العسكري.

إنهم يتأثرون جداً من تفضيلهم الأئمة على الأنبياء، ويعدّون هذا خروجاً من الدين، وبُعداً عن الفهم الإسلامي الصحيح.

إن المسلمين يتأثرون كثيراً من طعن الشيعة بالصحابة، وإذا كانت الشيعة قد استطاعت نتيجة التوجيه الدائم، وتدوين التاريخ الإسلامي حسب أفكارها وآرائها أن تجعل المسلمين ـ مع الأسف ـ يقبلون الطعن ببعض الصحابة أمثال عثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً، إلا أنها لم تستطع أبداً أن تجعلهم يقبلون الطعن بالصحابة الآخرين أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، رضي الله عنهم جميعاً. وهذا ما يجعل المسلمين ينظرون بعين الكراهية لمن يتبنّى هذا، ويقوم بترديده ونشره. ومن هذا كله نشأت كراهية المسلمين لأولئك الشيعة الذين جعلوا دينهم الشتم والطعن بالصحابة، ولكن هذه الكراهية أبداً لم تصل إلى المرحلة التي وصل إليها الشيعة من التعصّب، وفكرة الثأر، واستئصال شأفة المسلمين ـ إن استطاعوا ـ. ولهذا وقف المسلمون (السنة) دائماً بجانب الشيعة في مقارعة الظلم والاستبداد، ومقاومة الاستعمار، ومحاولة الإصلاح.

وهذا الذي ذكرناه هو ما يلاحظه العامة من أهل السنة دون الخوض في موضوع العقيدة، من عقيدتهم بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وبالوحي، وتمام القرآن الكريم. وهذا ما يختص به العلماء عادةً، ولكن العامة ينظرون إلى ما يرونه أمامهم، ويفكّرون فيما يسمعون دون الخوض بأبعد من ذلك، ولو جالوا في ذلك الميدان لابتعدت الشقة، ولأخرج طرف الآخر من الملّة.

لقد أيّد المسلمون الثورة الإسلامية في بداية الأمر على أنها تقوم على الإسلام، وساروا مع قادتها، فلما رأوا التعصّب الشيعي، وطرح الأفكار الشيعية المخالفة للعقيدة من تقديم الأئمة على الأنبياء، وطرح فكرة

الإمام المنتظر، والدعوة له بالخروج والتخلّص من قيوده، وكانت هذه الطروحات من الآيات وليست من العامة، لما ولوا ذلك انزووا، وبدا الخلاف يبدو واضحاً.

لقد سارت إيران حديثاً على أنها حامية للشيعة في كل مكان، وأخذت تمدّ لهم يد العون، وتقدّم لهم التوجيه وكل وسائله بل أخذت تغري الآخرين بالمنح الدراسية، وبعضها بالكتب الموجّهة فأقبلوا نحوها، وهم المحرومون، واندفعوا إليها وهم الفقراء، ولم يسبق لأحدٍ قبل ذلك أن مدّ لهم يد العون، ودخلت الشيعة إلى إفريقية، ولم يكن قبل ذلك أحد في تلك القارة ينتمي إلى هذه الفئة، وبذا ستزداد نسبة الشيعة في العالم بعد أن كانت لا تزيد على ٦،٤٪ من مجموع المسلمين، أو سيحدث، كما حدث في إيران نفسها، قبيل المغول ـ كما سبق أن ذكرنا ـ لم يكن فيها من هذه الفئة سوى تجمعاتٍ صغيرة، فلما جاء المغول، وفرض آخر حكام الدولة الإيلخانية هذا المذهب وصلت نسبة الشيعة إلى ١٠٪ وهي النسبة التي كانت عليها إيران عندما جاء الصفويون، ونتيجة الضغط، والإغراء والتوجيه، ومع الزمن وصلت النسبة إلى ما هي عليه الآن وهو ٦٣٪، وستزداد مع الزمن نتيجة تسلّم السلطة، وامتلاك الوسائل، إضافة إلى المظهر الذي يسير عليه اليوم حُكّام إيران من لباسٍ، ولحىً للرجال، واحتشام وتسترٍ للنساء، وهو أمر واجب وطيب، ومن نشر للمذهب باتخاذ كل الوسائل، وتسخير أجهزة الدولة لذلك، وهو عمل ضروري ومطلوب.... لكن العقيدة مع الأسف ـ فاسدة ـ وكم نتمنّى لو صُحّحت.
وأما المسلمون في إيران من أهل السنة فليس لهم من راعٍ، ولا مهتم فيهم، ويُضيَّق عليهم ولا مسعف.

هذا مع العلم أن أهل السنة في إيران إنما يُقيمون على أطراف البلاد، في كردستان، وعربستان، وبالوخستان، وخراسان، وفي أجزاء من أذربيجان، وهذه المناطق كلها على الأطراف فيمكن الاتصال بهم، ودعمهم

والتحرّك نحوهم، كما أن هناك بعض التجمّعات لهم في المدن الكبرى، وبعض الجهات، وربما لو كان أهل السنة في الداخل لاحتجّ بعض الناس بصعوبة الاتصال بهم.

كان أول ما وقع الانفصام بين المسلمين (السنة) وبين الشيعة بعد الثورة عندما دُوّن الدستور فقد نصت المادة (١٢) منه على: «إن الدين الرسمي هو الإسلام، والمذهب الجعفري هو الاثنا عشري، وهذه المادة غير قابلة إلى التغيير إلى الأبد».

وظهر التعصّب الفارسي في الدستور أيضاً عندما نص على أن رئيس الدولة يجب أن يكون فارسياً. أي لا يكفي أن يكون شيعياً، وسمحت الدولة للزرادشت بإحياء أعيادهم، وعاداتهم، فشعر المسلمون ارتباط ذلك بالفرس ولا علاقة لذلك بالإسلام فانزووا وأدركوا أنهم خُدعوا وأصبحوا يتخلّون عن الثورة بعد أن كانوا من الدعاة لها بل ومن أشدّ المتحمسين لها. وقد وجدوا أنفسهم أنهم أقلية كالنصارى واليهود، إذ نصت المادة (١٣) على «إن الأقليات المذهبية (غير الشيعية) لهم حرية في إجراء مراسمهم المذهبية فقط تحت نظام الحكومة».

أسّس أحمد مفتي زاده من كردستان (مجلس الشورى المركزي لأهل السنة) ودعا علماء المسلمين إليه، فالتقوا فكانت النتيجة قتل من قُتل وسجن من سُجن، وتبعثر العلماء، وأخذت التهديدات تظهر على لسان زعماء الثورة، وهوجمت قرى السنة وأُبيد الكثير من أهلها. ومن تصريحات المسؤولين الخاصة والسرية أنهم يعملون للقضاء على المسلمين في إيران خلال خمسين سنة تشيّعاً وتهجيراً وإبادةً.

وكان للمسلمين (السنة) عدة منظمات خاصة بهم فانتهت على أيدي ما يُسمّى بالثورة بعد تلفيق اتهامات للقائمين عليها، وافتراءات يحيكها (حرس الثورة)، ومن هذه المنظمات:

١" ـ منظمة شباب أهل السنة في مدينة (سروان) ويرأسها إمام مسجد النور، وتصدر مجلة شهرية هي (نهضة جوانان).

٢" ـ منظمة (سازمان محمدي) في مدينة زهدان، ويرأسها عبدالملك زادة، ولها جريدة شهرية (انتشارات سازمان محمدي).

٣" ـ جمعية (وحدة إسلامي بلوشستان) في مدينة (إيران شهر)، ويرأسها (محمد إبراهيم واحتي).

٤" ـ منظمة (إسلامي دانش آموزان ومصلحين بلوج) في مدينة (إيران شهر) أيضاً.

وأصبحت هذه المنظمات في خبر كان.

وما حدث للمنظمات والجمعيات حدث للمدارس الإسلامية، كالمدرسة الإسلامية في (بندر لكنه، والمدرسة العربية في (بندر خير).

وهذا ما تم لبعض المساجد الكبيرة التي هدّمت لأسباب ملفقة، ولحق بها أئمتها، وخطباؤها، وعلماء البلدة، إن كانوا من البارزين، أو عرفوا بعلمهم وقوة حجتهم.

ووقعت صدامات عنيفة بين الطرفين بعد أحداث مفتعلة، وإثارات مصطنعة في أكثر المناطق التي يكثر فيها المسلمون (السنة).

٣" ـ الصراع الحزبي

أيام القاجاريين:

لم تعرف الحياة الحزبية في الدولة الفارسية قبل عام ١٣٢٤ هـ إثر إعلان الدستور في جمادى الآخرة ١٣٢٤ هـ (آب ١٩٠٦ م) حيث نشأ حزبان هما:

١" ـ الحزب الدستوري (مشروطه خواه).
٢" ـ حزب الحكم المطلق (مستبد).

ولم تكن الحياة الحزبية ذات مفهوم واضح حيث لم تقم على أفكار ومبادئ، وإنما كانت تجمّعات تُراعي المصلحة، وتعتمد على تحقيق المنفعة، لذا لم يلبث الحزبان أن انتهيا بتغير الوضع.

وعندما تشكّل المجلس النيابي الثاني في رجب ١٣٢٧ هـ، وتمّ افتتاح الدورة الثانية في الثاني من شهر ذي القعدة ١٣٢٧ هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩٠٩ م) وُجد حزبان جديدان هما:

١" ـ الحزب الثوري (انقلابي).
٢" ـ الحزب المعتدل (اعتدالي).

ولكن عندما مارسا نشاطهما والتأمت دورة المجلس النيابي برزا باسمين جديدين هما:

١" ـ حزب العموم الديمقراطي: (ديمكرات عاميون)، ويمثّل الأقلية في المجلس النيابي حيث كان يتبعه ثمانية وعشرون نائباً، وكان برئاسة سيد

تقي حسن زادة، ومن أشهر رجاله: حسين قلي خان نواب، وسليمان مرزا، وسيد محمد رضا مساوات، ووحيد الملك. وكان من أهدافه التي يُنادي بها:

أ- فصل الدين عن الدولة وعن السياسة.
ب- فرض الجندية الإلزامية.
جـ- توزيع الأرض على الفلاحين.
د- منع الاحتكار.
هـ- التعليم الإلزامي.
و- إنشاء مصرف زراعي لمساعدة الفلاحين.
ز- إلغاء مجلس الأعيان.
ح- زيادة الضرائب غير المباشرة.
ط- زيادة العلاقات السياسية مع دول العالم كافةً.

وقد أصدر عدة صحف وهي:

أ- إيران نور: في طهران، وشفق في تبريز، ونوبار في خراسان.

٢" - حزب اجتماعيون اعتداليون (الاجتماعي المعتدل)، ويُمثِّل الأكثرية في المجلس النيابي حيث كان يتبعه ستة وثلاثون نائباً إضافةً إلى تأييد سبعةٍ من المستقلين، وأربعةٍ من حزب الاتفاق والترقي، ومن زعمائه: ميرزا محمد صادق طباطبائي، وميرزا علي أكبر خان دهخدا، وميرزا علي محمد دولت آبادي، وآغا بزرك شيرازي، وشكر الله خان قوام الدولة.

ويُعدّ هذا الحزب محافظاً، وأكثر أعضائه من الأثرياء، وكبار رجال الدولة. وبلغ الصراع أشدّه بين هذين الحزبين الكبيرين، فكان حزب العموم الديمقراطي يتهم خصمه بالرجعية، والسعي وراء المصلحة، على حين كان حزب اجتماعيون اعتداليون يتهم منافسه بالمروق من الدين، والزندقة. وربما كان كلاهما متهماً بالصلة مع دولةٍ أجنبيةٍ حيث كان حزب العموم الديمقراطي على صلةٍ مع بريطانيا بينما كان حزب اجتماعيون اعتداليون على صلةٍ مع روسيا. وقُتل سيد عبدالله بهبهاني، واتُّهم الديمقراطيون بقتله، واضطر زعيمهم سيد تقي حسن زادة أن يفرّ خارج البلاد، ولم يستطع العودة حتى تغيُّر الوضع.

وجرت الانتخابات النيابية عندما تسلّم أحمد شاه السلطة بعد أن بلغ سنّ الرشد، فنجح حزب العموم الديمقراطي وفاز بواحد وثلاثين مقعداً، بينما فاز حزب (اجتماعيون اعتداليون) بتسعة وعشرين مقعداً، وفازت الهيئة العامة بأربعة عشر مقعداً، وحصل المستقلون على عشرين مقعداً.

وجرى الائتلاف بين حزب العموم الديمقراطي والمستقلين، وعاد الحكم الدستوري إلى البلاد، وزاد النشاط الصحفي، ومن أهم الصحف التي ظهرت يومذاك:

صحيفة نوبهار: وتتبع حزب العموم الديمقراطي.
ستارة إيران: وتتبع حزب العموم الديمقراطي.
صحيفة شورى: وتتبع حزب (اجتماعيون اعتداليون).
صحيفة رعد: مستقلة، ولكنها تؤيِّد الحلفاء.
مجلة عصر جديد: أسبوعية، وتؤيِّد الحلفاء.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى مال حزب العموم الديمقراطي إلى الألمان، وشكّل لجنة الدفاع الوطني (كميتة دفاع ملي)، وقدم إلى إيران أحد الألمان وهو (شونمان)، وعمل على تنظيم الدفاع عن البلاد ضد الغزاة الروس، الذين تقدّموا من ناحية القفقاس، غير أن الإيرانيين بقيادة سليمان ميرزا قد هُزموا عند خانقين، وبعد الهزيمة عقد زعماء الحزبين اجتماعاً، وقرّروا حلّ حزبيهما. وبعد زوال آثار الحرب، عادت الحياة الحزبية من جديد، فظهر على الساحة:

١" - الحزب الاشتراكي (سوسياليست): وأسّسه جماعة من قادة الحزبين السابقين، وكان يميل إلى الحزب الشيوعي الروسي الذي تسلّم السلطة في روسيا بعد الثورة الشيوعية التي اندلعت أثناء الحرب العالمية الأولى في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ (١٧ تشرين الأول ١٩١٧ م)، ويُمثّل الأقلية في المجلس النيابي الرابع. ورشّح هذا الحزب لرئاسة الوزارة ميرزا حسن مستوفي الممالك.

٢ - حزب إصلاح طالبان (المطالبون بالإصلاح): وتشكل أيضاً من قادة الحزبين السابقين، ورشح هذا الحزب لرئاسة الوزارة أحمد قوام السلطنة، وحسن بيرنيا (مشير الدولة)، ويمثل الأكثرية في المجلس النيابي.

ولا نستطيع أن نقول: إن هناك صراعات إذ كثيراً ما يترك عدد من النواب هذا الحزب لينضموا إلى ذاك فيصبح أكثرية بعد أن كان أقلية، وتسقط الحكومة السابقة وتخلفها وزارة جديدة، ثم يرجع من ترك حزبه إليه مرة أخرى فيعود أكثرية، ويعود إلى السلطة، وهكذا، ويثير الخلاف ويحرك اللعبة رضا بهلوي.

٣ - حزب مؤتمر المستبدين (انجمان مستبدين): ويعارض الدستور، ويرى الحكم المطلق، وقد أنشأه أعوان الأسرة القاجارية أمثال: مفاخر الملك، شيخ فضل الله، هاشم أجود أباشي، صنيع حضرت. وكان الشاه محمد علي يدعم هذا الحزب بالمال، ويؤيده، ويقرّب زعماءه، ويسمع منهم، فلما سقط، وفرّ إلى روسيا قُبض على زعماء الحزب، وأعدموا جميعاً.

٤ - حزب داشناكسوتيون (الاتحاد الثوري)، وهو حزب خاص بالأرمن، ويمثله في المجلس النيابي النواب الأرمن الذين يمثلون طائفتهم. وانتهى الحزب بسقوط الشاه محمد علي، وفراره إلى روسيا، وقُدّم قادة الحزب إلى المحاكمة، فحُكم عليهم بالإعدام، ونُفّذ بهم الحكم.

أيام الأسرة البهلوية:

عرفنا أنه تعاقب على حكم إيران اثنان فقط من هذه الأسرة، وهما رضا بهلوي، وابنه محمد رضا الذي أطاحت به (الثورة الإسلامية)، وأعلنت الجمهورية.

أ - عهد رضا بهلوي:

لم يظهر في عهده أي تنظيم سياسي سواء أكان حزباً أم جمعية،

ولكن وجدت فعلاً تنظيمات سياسية سرية، اتخذت السرية وسيلة لها لكتمان أمرها، بل بالغت في الكتمان، حتى أطلقت على نفسها رمزاً مبهماً، من غير أن تُطلق على تنظيمها اسماً واضحاً، وما ذلك إلا بسبب الخوف من الحكومة التي سارت على النهج الاستبدادي. ومن هذه التنظيمات:

١ - حزب أو (هو): ولم يعرف مؤسسه، ولا يُعلم أحد من قادته، وإنما كانت إشاعات تُطلق عن مؤسسه، أو يُتهم أحد بالانتماء إليه انتماءً من غير بيّنة، وأُشيع أن علي دشتي هو مؤسس هذا الحزب، غير أنه أنكر ذلك، كما أُشيع أن (سبهر) مؤرخ الدولة هو الذي أسسه، لكنه كذّب ذلك وتبرّأ من هذا الاتهام.

٢ - كروه پولاد (جماعة الفولاذ): ويبدو أن مؤسسي هذه الجماعة فئة من الجيش، وذكروا منهم: محمود خان پولادين، وأحمد خان پولادين، ونصر الله خان، وروح الله خان. كما انضمّ إليهم، ممثل اليهود في المجلس النيابي «حاييم»، وأعداد من موظفي الدولة والتجار. وقد انكشف أمر هذه الجماعة، فأمر رئيسها محمود خان پولادين بإتلاف الوثائق، وهذا ما جعل أخبارها وأعلامها مجهولة، وألقي القبض على من عُرف من أعضائها وقُدّموا لمحاكمة سرية، فأُعدم خمسة من زعمائها، وألقي الآخرون في السجن في ١١ شعبان ١٣٤٥ هـ (١٣ شباط ١٩٢٧ م).

٣ - حزب ض. أ: والاسم ليس سوى رمز، وبقي الحزب سرياً، وكل ما عُرف عنه أنه ظهر في أواخر عهد رضا بهلوي. وأشيع أن مؤسسه هو أحد الوزراء، واتجهت الأنظار إلى وزير المالية ميرزا علي أكبر خان الذي كان يدعو إلى الوقوف في وجه الأجانب، وضرورة العمل المشترك لهذا الهدف.

ب - عهد محمد رضا بهلوي:

حدث افتتان بالغرب والطريقة السياسية التي يسير عليها، وهذا ما

جعل الشاه الجديد يفسح المجال لقيام أحزاب وتجمعات سياسية، غير أن النزعة الفردية القائمة، وعدم المفهوم الحزبي الصحيح، واختلاف طبيعة المجتمع كل هذا قد جعل الأحزاب تزداد لدرجةٍ يختلّ معها الوضع السياسي، وتعمّ الفوضى. ولعلّ أهم الأحزاب التي وجدت على الساحة الإيرانية، والتي كان لها دور في الحياة السياسية.

١ ـ حزب توده: وقد أعلن عن قيامه في الثلاثين من رمضان ١٣٦٠ هـ (٢٠ تشرين الأول ١٩٤١ م)، وكان من أبرز مؤسسيه خليل ملكي، إحسان طبري، وتقي أراني. فعندما ترك رضا بهلوي البلاد، ودخل الحلفاء إيران استغلّ الحزب الشيوعي وجود القوات الروسية في شمالي البلاد لحمايته، واستفاد من النقمة التي كانت قائمة على النظام الاستبدادي الذي كان مسيطراً على البلاد، ومن الأزمة التي فرضتها ظروف الحرب، وأعلن عن تشكيل لجنةٍ مؤقتةٍ مؤلفةٍ من خمسة عشر عضواً برئاسة سليمان ميرزا اسكندري. وقد انبثق هذا الحزب من:

أ ـ الحزب الشيوعي: الذي نشأ أصلاً من جماعة عدالة والتي تكوّنت ١٣٣٦ هـ بعد نجاح الشيوعيين بالسيطرة على الحكم في روسيا في الأول من المحرم ١٣٣٦ هـ، وعقد هذا الحزب أول اجتماع له في ميناء (انزلي) الذي عُرف فيما بعد باسم (بندر بهلوي) على بحر الخزر وذلك بتاريخ السادس من شهر شوال ١٣٣٨ هـ (٢٢ حزيران ١٩٢٠ م).

ب ـ جماعة تقي أراني: الذي كان في ألمانيا، وتأثر بالأفكار الاشتراكية، والتقى بأعدادٍ من الإيرانيين هناك وعاد إلى طهران عام ١٣٥١ هـ ليشغل منصب رئيس جامعة طهران، فشكّل مجموعةً نُسبت إليه، وأصدرت مجلة (دنيا).

ومن اندماج هاتين المجموعتين نشأ حزب توده.

شارك في حكومة أحمد قوام الدولة بعد الحرب العالمية الثانية، وتسلّم ثلاث حقائب وزارية هي: التربية الوطنية، والصحة، والصناعة.

وأيّد إقامة حكومةٍ شيوعيةٍ في أذربيجان بعد أن سيطر عليها (جعفر بيشه وري) بمساعدة القوات الروسية. وكان (جعفر بيشه وري) قد أسّس الحزب الديمقراطي الأذربيجاني في ٢٦ رمضان ١٣٦٤ هـ (٣ أيلول عام ١٩٤٥ م)، واندمج معه فرع حزب (توده) في أذربيجان، ورغب بالحصول على الاستقلال الذاتي، ولكن طهران رفضت ذلك، فأعلن الاستقلال بمساعدة القوات الروسية. فأحيل الموضوع إلى الأمم المتحدة، ووقفت بجانب إيران، واضطرت روسيا إلى سحب قواتها، ففرّ (جعفر بيشه وري) إلى روسيا.

وعندما جرت محاولة اغتيال الشاه يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ (٤ شباط ١٩٤٩ م)، حُلّ الحزب، وطورد أعضاؤه.

وعاد إلى النشاط أيام حكم محمد مصدق وأيّده، ثم اختلف معه، وكان له جناح عسكري، فعندما تمّ الانقلاب على محمد مصدق في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) أُلغي الحزب، وأُبيد عدد من أعضائه، واعتقل خمسمائة ضابطٍ من جناحه العسكري، وأعدم سبعة وعشرون منهم.

ورجع الأمين السر الأول لحزب توده إلى طهران (نور الدين كيانوري) في ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (١٣ نيسان ١٩٧٩ م)، واقترح تشكيل جبهةٍ شعبيةٍ متحدة (جبهة متحدة خلق)، وجعل من أهدافها.

١ ـ تأييد الخميني.
٢ ـ التخلص من التسلّط الاستعماري الاقتصادي (الإمبريالي).
٣ ـ تأميم المؤسسات الصناعية والزراعية.
٤ ـ تأميم المصارف.

وقد انبثقت من حزب توده جماعة خوفاً من البطش بها، وحظر الحزب، وقد عُرفت هذه الجماعة باسم منظمة المتطوعين الفدائية الشعبية. ولكنها عادت إلى أصلها الحزبي فاندمجت في حزب توده عندما رجع إلى النشاط.

٢ ـ حزب القوة الثالثة (نيروي سوم): انشق ثلاثة وخمسون عضواً

برئاسة خليل ملكي عن حزب توده، وانضمّوا إلى حزب (كادحي الأمة الإيرانية). ثم وقع الخلاف بين الزعماء، فأسّس خليل ملكي بمجموعة حزباً جديداً أطلق عليه اسم حزب القوة الثالثة، غير أنه قد انتهى بانتهاء حكومة محمد مصدق التي أيّدها. أما مظفر بقائي كرماني الذي كان زعيم حراس الحرية فقد تزعّم حزب العمال، وعارض محمد مصدق.

٣ ـ **التجمّع الاشتراكي**: فقد أسّسه مظفر بقائي كرماني، وضمّ حراس الحرية، التجمعات الطلابية الاشتراكيين في جامعة طهران، والاشتراكيين المستقلين.

٤ ـ **الجبهة الوطنية (جبهت ملي)**: برئاسة محمد مصدق، وقد برزت على الساحة السياسية منذ نهاية عام ١٣٦٨ هـ، وكانت تدعو إلى تأميم النفط، وعدم تدخّل الحكومة في الانتخابات النيابية. وهذا ما دعا محمد مصدق للسير إلى القصر في ٢٢ ذي الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٤٩ م) على رأس وفدٍ يضمّ مائة وثمانين عضواً من السياسيين وأساتذة الجامعة والصحفيين، ولكنهم لم يستطيعوا مقابلة الشاه، فاختاروا تسعة عشر منهم بقوا معتصمين بالقصر حتى تستجاب مطالبهم، وكان من أبرزهم: محمد مصدق، حسين فاطمي، كريم سنجابي، مظفر بقائي كرماني، وحُدّدت المطالب بالانتخابات:

١ ـ إلغاء الانتخابات التي تمّت.

٢ ـ تشكيل حكومةٍ محايدةٍ للإشراف على انتخاباتٍ جديدةٍ.

ولكن الشاه رفض هذه المطالب.

وفي ١٣ محرم ١٣٦٩ هـ (٤ تشرين الثاني ١٩٤٩ م) قُتل وزير البلاط عبدالحسين هجير بيد أحد رجال فدائيان إسلام لتدخّل الوزير بالانتخابات، واحسّت الحكومة بخطورة الوضع، وأصدر المجلس الأعلى قراراً بعدم شرعية الانتخابات، وبذا أصبحت مُلغاة، ويجب إجراء انتخاباتٍ جديدةٍ، وهذا ما تُطالب به الجبهة الوطنية.

جرت الانتخابات الجديدة في ٢ صفر ١٣٧٠ هـ (١٢ تشرين الثاني ١٩٥٠ م)، وفازت فيها الجبهة الوطنية، وعُهد إلى محمد مصدق بتشكيل الحكومة في ١٣ رجب ١٣٧٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٥١ م)، وبقي في الحكم مدة سبعة وعشرين شهراً حيث جرى انقلاب عليه قاده الجنرال زاهدي في ٩ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (١٩ آب ١٩٥٣ م) وحُلّت الجبهة، وشُرّد أعضاؤها، وألقي بعضهم في السجن، وأُعدم بعضهم الآخر.

عادت الجبهة إلى الظهور ثانية بعد احتجاب سبع سنوات، حيث دعا حسن نزيه إلى اجتماعٍ في دار فيروز أبادي بتاريخ ٢٧ المحرم ١٣٨٠ هـ (٢١ تموز ١٩٦٠ م)، وشملت التنظيمات السياسية كافةً باستثناء الشيوعيين، وأخذت تُطالب بـ:

١ً ـ حل جهاز الأمن السري (السافاك).

٢ً ـ إطلاق الحريات العامة.

٣ً ـ إعادة الدستور.

٤ً ـ عدم تدخّل الشاه في شؤون الحكم.

ولكن لم تلبث أن انقسمت إلى فئتين: أولاهما ترى استعمال القوة لإسقاط النظام على حين ترى الأخرى عدم استعمال السلاح، وإنما اتباع السياسة والإعلام لإسقاط الحكم القائم، وتسلّم السلطة. وهذا ما جعلها تتفكّك، ويتجه بعض قادتها لتشكيل أحزابٍ جديدةٍ.

ولكنها عادت إلى الظهور ثانية عام ١٣٩٨ هـ، وشملت أيضاً التنظيمات السياسية كلها باستثناء الشيوعيين الذي ترتبط مصالحهم بمصالح الشيوعية العالمية، ولا يتحركون إلا حسب توجيهاتها. وكان من قادتها: كريم سنجابي، شابور بختيار، مهدي بازركان، داريوش فروهر، حسن نزيه، وإبراهيم يزدي، وكاظم حسيبي.

وشكّل مهدي بازركان أول حكومةٍ في ظلّ الثورة، والتي ضمت بعض رجال الجبهة، ومنهم كريم سنجابي الذي تسلّم وزارة الخارجية

وذلك في ١٦ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (١٣ شباط ١٩٧٩ م)، وبعد شهرين قدم وزير الخارجية كريم سنجابي استقالته، ولم يمض أكثر من تسعة أشهر حتى استقالت حكومة مهدي بازركان في ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ م)، وضمّت الجبهة:

أ – حزب الأمة الإيراني (ملّت إيراني).

ب – حزب إيران.

ج – جماعة إيران المعاصرة السياسية (كروه سياسي إيران امروز).

د – حركة تحرير إيران (نهضت آزادي إيران).

هـ – حركة مسلمي إيران الثورية (جنبش انقلابي مردم مسلمان إيران)، ونختصر بكلمة «جاما».

ولهذه الأحزاب شخصيتها الاعتبارية لأنها ذات ماضٍ حزبي وتاريخ في النشاط.

٥ – حزب الأمة الإيراني (حزب ملّت إيران): ويرأسه داريوش فروهر، وأيّد حكم محمد مصدق.

٦ – حزب إيران: وظهر أثناء الحرب العالمية الثانية برئاسة (الله يار صالح)، وقد شارك في حكومة أحمد قوام الدولة إثر الحرب، تلك الحكومة التي شارك فيها حزب توده، وكذلك شارك في حكومة محمد مصدق، ومن أعضائه شابور بختيار، وكاظم حسيبي، ورحيم شريفي، وأبو الفضل قاسمي، وعبدالحسين ثاني، وعبدالحسين دانشور.

٧ – حركة تحرير إيران (نهضت آزادي إيران): وتشكّل هذا الحزب إثر سقوط حكومة محمد مصدق، حيث مالت الجماعات الوطنية إلى العمل السري. وقام الفريق المتدين بزعامة آية الله زنجاني (حاج سيد رضا) وشكّل حزب حركة المقاومة الوطنية (نهضت مقاومت ملّي)، ثم انضمّ إليهم مهدي بازركان في ١١ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ (٢١ آب ١٩٥٣ م)، ولكنه لم يلبث أن أُلقي القبض على آية الله زنجاني، وأُبعد عن منطقة

نشاطه، وأُعدم حسين فاطمي، وقد كشف أوراق منظمة توده العسكرية فأُعدموا.

وعاد الحزب فظهر من جديد عام ١٣٨٠ هـ، وكان مؤسسوه آية الله سيد محمود الطالقاني، ومهدي بازركان، وحسن نزيه، ومنصور عطائي، يدالله سحابي، ورحيم عطائي، وعباس سميعي. فأُلقي القبض على مهدي بازركان في ١٣ المحرم ١٣٨٣ هـ (٥ حزيران ١٩٦٣ م)، ثم أعقبه القبض على آية الله الطالقاني. وعطف العلماء والتجار على هذا الحزب.

٨ – جماعة إيران المعاصرة السياسية (كروه سياسي إيران امروز)، وكان يرأسه سعيد فاطمي.

٩ – حركة مسلمي إيران الثورية (جنبش انقلابي مردم مسلمان إيران)، ويرأسها آية الله شريعتمداري.

١٠ – الحزب القومي الإيراني (حزب ناسيونال ليست إيران): نشأ بعد الانقلاب على محمد مصدق، وتكوّن من عدة جماعات منشقة من عدة أحزاب.

١١ – فدائيان إسلام: رأسه مجتبى نواب صفوي إثر الحرب العالمية الثانية، وقد عمل على قتل الذين يقفون في وجه الإسلام بأية صورة من الصور. فقام حسين إمامي وقتل علي كسروي، ثم قتل وزير البلاط عبدالحسين هجير بتهمة التدخّل في الانتخابات وذلك في ١٣ محرم ١٣٦٩ هـ (٤ تشرين الثاني من عام ١٩٤٩ م)، وقتل خليل طهماسبي رئيس الوزراء (علي رازمارا) بتهمة عمالته لأمريكا، وأطلق عبد خدائي النار على وزير الخارجية حسين فاطمي عندما وقع الخلاف بين الحزب وبين حكومة محمد مصدق.

وأطلق ذو القدر النار على رئيس الوزراء حسين علائي، وضاقت الحكومة ذرعاً بالحزب فألقت القبض على زعيمه مجتبى نواب صفوي، وأعدمته مع مساعديه، وانتهى أمره.

عاد الحزب إلى النشاط في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (٢٥ أيار ١٩٧٩ م)، وسمّى أتباعه أنفسهم حراس الثورة، ووضعوا أنفسهم تحت تصرّف آية الله الخميني، واختاروا صادق خلخالي رئيس المحاكم الثورية الإيرانية رئيساً لهم.

١٢ ـ حزب مليون (حزب الوطنيين): حدث فراغ سياسي في إيران بعد سقوط محمد مصدق واختفاء الجبهة الوطنية فوجد الشاه أن تقوم أحزاب مُؤيِّدة لنظام حكمه، وأخرى معارضة له ظاهرياً تحت سمعه وبصره وتوجيهه، وباختياره نفسه لقادة تلك الأحزاب المؤيدة والمعارضة على حدٍّ سواء. وكان يهدف من ذلك ملء الفراغ السياسي الذي وُجد بعد سقوط نظام محمد مصدق، وتمزّق الجبهة الوطنية، هذا بالإضافة إلى السيطرة التامة على الشعب ودفع الشيوعيين والوطنيين إلى الخلف، وإزال أتباعه مكانهم. ولم يكن لهذه الأحزاب من آراء تنادي بها أو أفكار تطرحها، وإنما كانت أعواناً للشاه تأتمر بأمره، وتتلقى التوجيهات منه.

كلّف الشاه أحد أعوانه وهو منوجهر إقبال بتأليف حزب الوطنيين (مليون) كحزبٍ مُؤيِّد، فقام بالعمل، وأوكل مهمة الأمين العام فيه إلى نصرت الله الكاظمي، وذلك عام ١٣٧٦ هـ، ودعم الحزب بمساعدات مالية كافية، فأصدر صحيفة تحمل اسم الحزب (مليون)، ثم عهد إلى زعيم الحزب منوجهر إقبال بتشكيل الوزارة في ٥ رمضان ١٣٧٦ هـ (٤ نيسان ١٩٥٧ م).

ولم يطل عمر هذا الحزب حيث وُجِّهت انتقادات واسعة لزعيمه حتى من مؤسسيه، وبدأوا يتخلّون عنه، وترك رئيسه الحكم فتفكّك الحزب، وانتهى.

١٣ ـ حزب مردم (حزب الشعب): وقد كلّف الشاه أحد أصدقائه، وهو أسد الله علم، ليؤلف حزباً يأخذ موقف المعارضة، فشكّل حزب الشعب، وكانت الحكومة مسؤولة عن نفقاته، وقد أصدر الحزب صحيفة تحمل اسم «طريق الشعب» (راه مردم)، ومجلة أسبوعية تحمل اسم «مهر

إيران» (شمس إيران). ونشأ الحزب مع سابقه في وقتٍ واحدٍ، وانتهى بعد باندماجه في حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملت إيران) عام ١٣٩٥ هـ. ونادى هذا الحزب بالإصلاح الزراعي، وتحديد الملكية كنوع من أنواع التضليل.

١٤ ـ حزب إيران نوين (حزب إيران الحديثة): وتأسس عام ١٣٨٤ هـ، وهدفه حماية ما أطلق عليه الشاه اسم الثورة البيضاء، وكان أمينه العام حسن علي منصور، الذي عُهِد إليه باستلام السلطة، وقد اغتيل على باب المجلس النيابي، حيث عُدّ المسؤول عن منح الضباط الأمريكيين والمستشارين الحصانة القانونية، وعُهِد بالحكم من بعده لوزير ماليته أمير عباس هويدا، والذي حكم البلاد أكثر من اثني عشرة سنةً ونصف.

١٥ ـ حزب بان ـ إيرانيست: ونشأ بعد الحرب العالمية الثانية تحت اسم (معركة إيران)، وضمّ العناصر المعادية للإنكليز والتي زاد عددها بعد احتلال الحلفاء لإيران، وأصبحت تميل للألمان نتيجة عدائها للروس والإنكليز الذين احتلّوا البلاد. وبرزت فكرة الصلة بين العرقين الآري والجرماني. لم يلبث أن وقع الخلاف بين قادة الحزب حول شخصية الشاه، والجيش فاتجهوا فريقين:

أ ـ فريق بزعامة محسن بزشكبور، وأعلن إخلاصه غير المشروط للشاه، بل تعاون مع المخابرات الخاصة. وأسس حزب بان إيرانيست، وهو ذو نزعة عنصرية استبدادية. وقد انضمّ عام ١٣٩٥ هـ إلى حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملت إيران)، فلما بدأ الانشقاق في هذا الحزب أعلن محسن بزشكبور إعادة تشكيل حزبه بان ـ إيرانيست من جديد. ويعدّ هذا الحزب مُعادياً للعرب، ويعتبر البحرين جزءاً من إيران، ويدعو إلى التوسّع.

ب ـ فريق بزعامة داريوش فروهر الذي اتخذ موقفاً شبه معارض للقصر، وأيّد محمد مصدق. وأسس حزب الأمة الإيرانية.

١٦ ـ حزب إيرانيان (الإيرانيين): انفصل فضل الله صدر عن حزب بان إيرانيست، وشكل حزباً خاصاً به أطلق عليه حزب إيرانيان، ولا يختلف في أفكاره عن أصله، ثم انضمّ إلى حزب بعث الأمة الإيرانية (رستا خيز ملّت إيران) عام ١٣٩٥ هـ، فلما أخذ بالانشقاق، رجع حزب إيرانيان من جديدٍ يقوم بنشاطه في ظل حكومة الثورة.

١٧ ـ حزب رستا خيز ملّت إيران (حزب بعث الأمة الإيرانية): أنشأه الشاه في ١٩ صفر ١٣٩٥ هـ (٣ آذار عام ١٩٧٥ م)، وأعلن أنه سيكون حزب إيران الوحيد، لذا فقد أعلنت الأحزاب التي تؤيد الشاه انضمامها إلى هذا الحزب بعد أن أعلنت حلّها، وضمّت أموالها وممتلكاتها إلى مالية الحزب، وهذه الأحزاب هي: حزب مردم (الشعب)، وحزب إيران نوين (إيران الحديثة)، وحزب بان إيرانيست، وحزب إيرانيان (الإيرانيين)، وتعهدت الدولة أن تخصص جزءاً من ميزانيتها للحزب كي يستطيع النمو والانتشار بين أفراد الشعب. أما الأحزاب التي رفضت الاندماج في هذا الحزب فقد مُنعت من ممارسة نشاطها.

وكلّف الشاه رئيس الوزراء أمير عباس هويدا ليتولّى منصب الأمين العام لهذا الحزب. ولكن أخذ الحزب بالتفكك مع بداية الأحداث، ورجع كل حزبٍ ليشكل نفسه من جديدٍ وليقوم بنشاطه الخاص، واستمرّ ذلك بعد قيام الثورة.

١٨ ـ الأحزاب في منطقة عربستان (الأهواز): وقامت أحزاب محلية أهدافها حلّ مُشكلة إقليمٍ من الأقاليم أو انفصالها عن الامبراطورية والتحاقها بالشعب الذي تنتمي إليه، أو استقلالها، ولعل إقليم عربستان (الأهواز) كان أهم الأقاليم التي تعدّدت فيه تلك الأحزاب المحلية، وكانت تعمل على الانفصال عن إيران والالتحاق بالمنطقة العربية التي تجاور إيران على أساس أن سكان إقليم عربستان أكثرهم من العرب.

ولكن تعدد هذه الأحزاب، وعدم شمولية الحزب الواحد للإقليم كله، واقتصارها على مدينةٍ واحدةٍ، الأمر الذي جعل الأثر محدوداً، والضعف عاماً، فلا تلبث أن تنتهي تلقائياً أو تتمكن السلطة الإيرانية من القضاء عليها، ثم تبرز بعد مدةٍ من جديدٍ، ولكن لا تلبث أن تزول وهكذا، ولعلّ أشهر هذه الأحزاب:

أ ـ حزب السعادة الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وتعاونت السلطة الإيرانية مع القوات الإنكليزية للقضاء عليه، وقامت الفتنة بين هذا الحزب، وفرع حزب توده في مدينة عبادان حتى قضي عليه.

ب ـ جمعية الدفاع عن عربستان، وأعطى المؤسسون أنفسهم أسماء حركية حملت أسماء الصحابة والقادة في صدر الإسلام.

ج ـ جبهة تحرير عربستان: وظهرت بعد سقوط محمد مصدق، واستمرّت أكثر من سبع سنوات، وكان لها جناح مدني، وآخر عسكري، وأخيراً تسلّلت المخابرات الإيرانية بين صفوفها، وعرفت أسرارها، وكشفت اجتماعات القادة في عبادان، فألقت القبض عليهم في ٩ رجب ١٣٨٣ هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٣ م)، وقُدّموا إلى المحكمة بتاريخ ٣ صفر ١٣٨٤ هـ (١٣ حزيران ١٩٦٤ م) وحُكم على بعضهم بالإعدام.

د ـ الجبهة الوطنية لتحرير عربستان، وتُعدّ امتداداً للجبهة السابقة، وكان التنظيم في مدينة المحمرة، واغتيل قائد الجبهة بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٨٨ هـ (٢٦ كانون الثاني ١٩٦٩ م).

هـ ـ الجبهة القومية لتحرير عربستان: وبدأ التنظيم في منطقة الخفاجية عام ١٣٨٠ هـ، ثم وصل إلى مدن عبادان، والمحمرة، والأهواز، وطلبت الدعم من العراق، فلم تحصل عليه، فأصيب قادتها بالهزيمة النفسية، وغيّروا اسم جبهتهم إلى الجيش الشعبي العربستاني.

و ـ الجبهة القومية لتحرير عربستان: ونشأت ١٣٨٧ هـ بعد اختفاء

سابقتها، وحملت اسمها، وقامت في منطقة المحمرة، ولكنها بدّلت اسمها بعد عامين إلى جبهة تحرير الأهواز.

ز ـ الحركة الثورية لتحرير عربستان: بدأت عام ١٣٨٨ هـ، وأصدرت نشرة تحمل اسم «أصداء الثورة» ولكن لم يطل عمرها.

ح ـ الجبهة الشعبية لتحرير الأهواز: ونشأت عام ١٣٨٨ هـ، وعدّت العمل المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق أهدافها، وأصدرت صحيفةً لها، تحمل اسم «الأهواز» وقامت بعددٍ من العمليات التخريبية، ومنها ضرب مراكز النفط، وإحراق ميناء المحمرة، ونسف محطة البثّ التلفزيوني، ومراكز الشرطة، والإغارة على المراكز العسكرية التابعة للسلطة الإيرانية. وأخيراً انتهت عام ١٣٩٥ هـ.

وفي المرحلة الأخيرة من حكم الشاه محمد رضا بهلوي، وخاصةً بعد تأزّم الوضع، وضعف الحكم زادت الأحزاب زيادةً واضحةً، وهذا يدلّ على وجود النزعة الفردية لدى القادة، ووجود أهداف غير ظاهرة تختفي تحت أسماء أحزاب وجمعيات تبدو ضعيفة، وربما هدفها معارضة الحكم والعمل على زيادة إرباكه.

بعد تفكّك حزب رستا خيز ملت إيران (بعث الأمة الإيرانية) عادت الأحزاب التي تألف منها إلى الظهور وهي:

١ ـ حزب الشعب (مردم).

٢ ـ حزب الإيرانيين (إيرانيان).

٣ ـ حزب إيران الحديثة (إيران نوين).

٤ ـ حزب پان إيرانيست.

وانقلبت لجنتان أسهما الحزب إلى حزبين وهي:

٥ ـ الحزب القومي الإيراني (ناسيوناليست إيران) برئاسة علاء الدين زرين بور، ونشأ هذا الحزب من لجنة البحث في المشكلات الداخلية والقومية (كروه بروسي مسائل داخلي وملي).

٦ ـ حزب الوطني الإيراني: ونشأ من لجنة البحث في المشكلات الإيرانية برئاسة وزير التعليم العالي هوشنك نهاوندي، ووزير التربية والتعليم فروغي، ووزير العمل والشؤون الاجتماعية كاظم وديعي.

ووجد كذلك من الأحزاب والجمعيات الآتية:

٧ ـ الجبهة الوطنية (جبهت ملي) برئاسة كريم سنجابي.

٨ ـ النهضة الوطنية (نهضت ملي) برئاسة رحمه الله مقدم مراغة أي.

٩ ـ حركة التحرير (نهضت آزادي) برئاسة مهدي بازركان.

١٠ ـ كادحو الأمة الإيرانية (زحمتكشان ملّت إيران) برئاسة مظفر بقائي كرماني.

١١ ـ مجمع المعلمين (جامعت معلمين) برئاسة محمد درخيش.

١٢ ـ الحزب الليبرالي الإسلامي (ليرال إسلاميك) برئاسة سيف الدين نبوي.

١٣ ـ الحزب الاشتراكي الديمقراطي (سوسيال دموكرات) بزعامة أحمد بني أحمد.

١٤ ـ الحركة (جنبش) برئاسة علي أصغر حاج سيدي جوادي.

١٥ ـ المسلم الحر (مسلم آزاد) برئاسة مصطفى رهنما روحاني.

١٦ ـ الحزب الديمقراطي الإيراني (دموكرات إيران) برئاسة علامير دللور.

١٧ ـ الحزب الاشتراكي الآري (سوسياليست آريا) برئاسة هادي سپهر.

١٨ ـ جمعية حراس الدستور (جمعيت پاسداران قانون أساسي) برئاسة سيد مهدي پيراسته.

١٩ ـ اللجنة الإيرانية للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان وتطبيقها في إيران حسن نزيه.

٢٠ ـ جمعية المحامين الإيرانيين برئاسة حسن نزيه أيضاً.

٢١ ـ جمعية الحقوقيين الإيرانيين، والأمين العام لها عبدالكريم لاهيجي.

٢٢ ـ جمعية الدفاع عن حقوق السجناء السياسيين.

ولا شك أن كثرة الأحزاب والجمعيات ميزتها من الآراء، والأفكار،

وجهات النظر، ويساعد على صعوبة التفاهم، وبالتالي عموم الفوضى.

ونستطيع أن نلخص الصراع الحزبي أيام الشاه محمد رضا بهلوي، بما يأتي:

أ ـ بدأ النشاط الحزبي بعد الحرب العالمية الثانية بظهور حزب توده والأفكار الاشتراكية، وكانت تجد دعماً من دولة روسيا والشيوعية العالمية، وتعمل لنشر أفكارها، وضدّ الدول الغربية لمصلحة الروس، وضدّ السلطة الحاكمة لارتباطها بالغرب، وتستغل الفقر، والجهل، واستبداد الحكم، وترف وتبذير الشاه.

ب ـ ظهور الجبهة الوطنية برئاسة محمد مُصدّق، والصراع من أجل تأميم النفط، والتدخل الأجنبي، والاستبداد، وتصرّف الأسرة المتسلطة.

ج ـ ظهور أحزاب مؤيدة للشاه، تعمل بتوجيهه، ونفقاتها من الحكومة، واختفاء الأحزاب المعارضة. فكان الصراع تحت الرماد.

د ـ كثرة الأحزاب واختلاط الأمر في المعارضة والتأييد.

أيام الثورة:

أخذت تظهر الأحزاب الإسلامية مع بقاء عددٍ من الأحزاب التي كانت قائمةً قبل الثورة على اختلاف اتجاهاتها سواء أكانت وطنيةً حسب ما اصطلح تسميتها أم اشتراكيةً ورأسماليةً، وإن كانت كلها تخالف الاتجاه الإسلامي وتأخذ بمفهوم العلمانية.

ومن الغريب الإبقاء على نشاط هذه الأحزاب مع العلم أنه لا توجد أحزاب وتجمّعات في ظل الدولة الإسلامية، لأن الأمة تكون كلها ذات أهدافٍ واحدةٍ، وتنطلق كلها وراء تحقيق تلك الأهداف، والدولة هي التي تُهيء المناخ الملائم، وتقود الرعية لتسعى وراء أهدافها، وتحول دون تشتيت الآراء، وتفتيت القوى، وبعثرة الجهود، وبلبلة الأفكار، وإثارة قضايا

ومنازعات. أما عندما لا توجد دولة تحكم بالإسلام فلا بدّ من تنظيم المسلمين لأنفسهم حتى يقيموا تلك الدولة.

ولسنا ندري فيما إذا كان القصد من وراء الإبقاء على تلك الأحزاب هو إظهار عُوار أفكارها ومبادئها بعد تطبيق الإسلام أم تركها لتذوب تلقائياً بعد أن فقدت فائدة وجودها بتحقيق ما كانت تتشدّق به، أم هو المحافظة على فكرة الحرية التي يتسابق الناس لإظهارها والمطالبة بها، فيكون رغبة في إسكات المتاجرة، أم هو الخطأ السياسي لعدم الوضوح في الرؤية، أم هي هذه الأمور مجتمعة كلها لست أدري!!! وربما كانت السلطة تدفع بعض مؤيديها لتشكيل أحزاب ومنظمات تظهر المعارضة لتشجع الآخرين المخالفين فعلاً وحقيقةً لتأسيس الأحزاب فتصيدهم السلطة ولا يمكن تصيدهم بغير هذا التصرّف ـ والله أعلم ـ.

١ ـ حزب الجمهورية الإسلامية (جمهوري إسلامي): ويعدّ حزب السلطة الحاكمة، وقد أُسس بتوجيه من الخميني، وأُعلن عن إنشائه في ٢١ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (١٨ شباط ١٩٧٩ م)، وذلك بعد سقوط قصر نافران الملكي بأسبوعٍ واحدٍ، ووقّع البيان الأول له كل من:

١ ـ محمد جواد باهنر. ٢ ـ سيد محمد بهشتي.

٣ ـ سيد علي خامنئي. ٤ ـ سيد عبدالكريم موسوي.

٥ ـ أكبر هاشم رفسنجاني.

واحتوى حزب (فدائيان إسلام).

٢ ـ حزب جمهورية مسلمي إيران الإسلامية (جمهوري إسلامي خلق مسلمان إيران). وأُعلن عن إنشائه في ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٢٤ شباط ١٩٧٩ م) أي بعد ستة أيام من تشكيل حزب الخميني. وأصدر صحيفة (خلق مسلمان) أي الشعب المسلم. ووقعت صدامات بينه وبين حزب السلطة، وأعنفها ما وقع بتاريخ ٢١ محرم ١٤٠٠ هـ (١٠ كانون الأول ١٩٧٩ م) حيث قتل اثنا عشر رجلاً، وجرح أكثر من مائة، واعتقل أكثر من

عشرين من ضباط القوة الجوية، وأُعدم أربعة منهم رمياً بالرصاص بتهمة تزويد حزب جمهورية مسلمي إيران بالأسلحة.

ويدين هذا الحزب بالولاء لآية الله كاظم شريعتمداري الذي خضع لضغطٍ فوجّه نقداً بالإذاعة لتصرّفات حزبه.

٣ ـ حركة المعلمين المسلمين (جنبش معلمين مسلمان): ونشأت في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٢٠ نيسان عام ١٩٧٩ م)، وترى تعديل مناهج التعليم على أساس إيماني، وتصفية العناصر غير الصالحة من المعلمين.

٤ ـ منظمة المعلمين المسلمين (سازمان معلمان مسلمان): وأنشئت في ٤ جمادى الأول ١٣٩٩ هـ (١ نيسان عام ١٩٧٩ م).

٥ ـ منظمة الموحدين (سازمان موحدين): وهي منظمة سرية عسكرية، مستقلة أو تتبع أحد الأحزاب، وقامت ببعض حوادث الاغتيالات، ثم تمكّنت منها الحكومة، وقضت عليها.

٦ ـ حزب الاتحاد من أجل الحرية (اتحاد براي آزادي): ونشأ في ١٨ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (١٥ نيسان ١٩٧٩ م) برئاسة أحمد بني أحمد الذي يُعدّ الأمين العام للحزب. وكان بالأصل جمعيةً تحمل الاسم نفسه، وجدت كتجمعٍ سياسيٍ في مجلس النواب عندما أخذ حزب بعث الأمة الإيرانية يتفكّك، ووقف كتجمّعٍ مُعارضٍ لحكومات شريف إمامي، وغلام أزهري. وأصدر هذا الحزب صحيفةً أسبوعيةً تحمل اسم «العصر الجديد» (عصر نوين).

٧ ـ حزب جمهورية اتحاد شعوب إيران (جمهوري فدارتيو خلقهاي إيران): وأعلن عن قيامه في ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ (١٩ آذار ١٩٧٩ م)، ويرى إقامة جمهورية اتحادية، وتحديد الملكية، وتأميم المصارف.

٨ ـ الحزب القومي الديمقراطي الإيراني (ناسيونال دموكرات إيران): وأعلن عن قيامه في ١٢ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١١ آذار ١٩٧٩ م)، ويرى الفكر القومي أساساً للمنطلق الإيراني، وتوزيع الثروة واحترام الأقليات، وضرورة وجود جيش شعبي.

٩ ـ جماعة بشارة السياسية (كروه سياسي بشارت): وبرزت في ٥ شعبان ١٣٩٩ هـ (٣٠ حزيران عام ١٩٧٩ م)، وظهر من أعضائها محيي الدين نبوي، ومنوجهر فرهنك، وتنادي بمقاومة الإلحاد والفساد.

١٠ ـ حزب الرسالة الإنسانية لشعب إيران (رسالت إنساني مردم إيران)، واختصاراً (راما)، وهو الاسم الذي اشتهر به، ونشأ في ٢٥ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٢٢ شباط ١٩٧٩ م).

١١ ـ حزب الوطنيين الإيراني (ميهن دوستان إيراني):

١٢ ـ الحزب الديمقراطي الوطني (دموكرات ملي): ونشأ في الثاني من ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٨ شباط عام ١٩٧٩ م).

١٣ ـ حزب الجمهوريين (جمهور بخواه): وأسّسه عبدالحسين بقائي كرماني، وأصدر صحيفة تحمل اسمه.

١٤ ـ منظمة متطوعي إيران القومية (سازمان چريك هاي ناسيوناليست إيران): وأعلنت المنظمة عن قيامها بتاريخ ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ (١٢ حزيران ١٩٧٩ م).

١٥ ـ المنظمة الثورية (سازمان انقلابي): وتنادي بانسحاب إيران من حلف شمالي الأطلسي، وإلغاء المعاهدات المعقودة بين إيران وبين الدول الكبرى الغربية وروسيا، كما ترى تأميم المصارف.

١٦ ـ الجمعية الوطنية للثورة الإيرانية (جمعيت ملي انقلاب إيران).

١٧ ـ حزب العمال الاشتراكي (كاركران سوسياليست): وكان أمينه العام

الأول هرمز وحيهمان، ثم انتخب مكانه بابك زهرائي، وممن برز من رجاله جولد صديق، وهوشنك سپهري، وعرف من نسائه پروين تجفي.

١٨ – الحزب الشيوعي الإيراني: (كمونيست إيران): ونشأ في مطلع ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٦ شباط ١٩٧٩ م).

١٩ – حزب الأحرار (حزب آزادكان): وأعلن عن قيامه في ١٤ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١١ آذار ١٩٧٩ م).

٢٠ – حزب المساواة الإسلامي: (حزب مساوات إسلامي) برئاسة أحمد مفتي زاده، وهو من الأكراد. ويدعو إلى المساواة بين السنة والشيعة في الحقوق. وإعطاء حق تقرير المصير لكردستان، وتقسيم دخل النفط على الأقاليم حسب عدد السكان.

٢١ – الحزب الديمقراطي الكردستاني (دموكرات كردستان)، وهو خاص بالمنطقة الكردية، ويتزعمه عبدالرحمن قاسملو الذي يتولّى منصب الأمين العام، وللحزب جناح عسكري يقوده مسعود بن الملا مصطفى البارزاني، ومع أن الحزب قائم منذ السنوات الأولى التي تلت الحرب العالمية الثانية، إلا أنه برز بعد الثورة وأعلن (صارم الدين صادق وزيري) في طهران في يوم الخميس ١١ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٨ آذار ١٩٧٩ م) مبادىء الحزب التي تتلخص في:

أ – إقامة جمهورية ديمقراطية في إيران.

ب – إعطاء حق تقرير المصير للشعب الكردي في كردستان، وللشعوب الإيرانية الأخرى.

ج – وجوب مشاركة نواب عن الشعوب الإيرانية في الجمعية التأسيسية التي ستضع الدستور الجديد.

وجرى قتال بين قوات الحكومة وقوات الحزب التي تُسمّى (پيشه مارگه)، وأعلن الخميني في شهر شوال من عام ١٣٩٩ هـ حلّ هذا الحزب.

٢٢ – المنظمة السياسية للشعب العربي المسلم: (سازمان سياسي خلق عرب مسلمان): وتتداخل آراء هذه المنظمة بين العروبة والإسلام والإيرانية والمطالبة بالحكم الذاتي لعربستان.

٢٣ – منظمة مجاهدي الشعب العربي (سازمان مجاهدي خلق عرب) ومقرها في المحمرة، وهي منظمة عسكرية، تسعى لتحرير عربستان من النفوذ الفارسي، وتعمل بسرية تامة، والمعروف منها: شاكر شكوري.

٢٤ – المنظمة السياسية للشعب العربي الخوزستاني (سازمان سياسي خلق عرب خوزستان): وكانت قائمةً قبل الثورة، ومغضوباً عليها، ثم أعلنت عن نفسها بعد الثورة.

٢٥ – الجبهة العربية لتحرير الأهواز: ومن أعضائها البارزين فاخر مجيد الزرقاني نائب الأمين العام، ومحمود حسين مشاري أمين السر، وعقد قادتها مؤتمراً صحفياً في ٧ ذي الحجة عام ١٤٠١ هـ (٥ تشرين الأول ١٩٨١ م) أبانوا فيه آراءهم، وأنهم يتبنّون فكرة القومية العربية، والكفاح المسلح، والتعاون بين الشعوب الإيرانية، والسعي لدى البلدان العربية لتدريس إقليم الأهواز.

٢٦ – مجتمع البختياريين (جامعت بختياريها): وقد شارك في أحداث مقدمة الثورة، ويهدف إلى الدفاع عن حقوق البختياريين.

هذه الأحزاب والتجمعات السياسية التي برزت بعد نجاح الثورة على حين كانت أخرى قبل نجاح الثورة، واستمرت بعدها تُمارس نشاطها، ومنها:

٢٧ – جمعية معلمي إيران (جامعت معلمان إيران)، وقد ظهرت مع نهاية الحرب العالمية الثانية برئاسة محمد درخشش، وقد أصدرت صحيفة (مهركان) السياسية والثقافية، ومجلة أخرى تحمل الاسم نفسه غير أنها طلابية، وأنشأت نادياً يحمل الاسم نفسه أيضاً، وأيدت حكومة محمد

مصدّق. وقامت بإضراب أجبرت حكومة جعفر شريف إمامي على الاستقالة، وعيّنت الحكومة الجديدة رئيس الجمعية محمد درخشش في منصب وزير التربية والتعليم.

وشاركت الجمعية بالإطاحة بنظام الشاه، وبعد نجاح الثورة عُطّلت صحيفة الجمعية، وأُغلق ناديها، وتقوم الآن بدور المعارضة للنظام القائم.

٢٨ ــ منظمة مجاهدي الشعب الإيراني (سازمان مجاهدي خلق إيران): وتأسست عام ١٣٨٥ هـ برئاسة مسعود رجوي، وهي منظمة عسكرية سرية، وكانت تعدّ محمود الطالقاني زعيمها السياسي والديني، وبعد نجاح الثورة دعت أعضاءها للتدريب على استعمال السلاح، وأصدرت صحيفة باسم «رسالة الشعب»، وأنشأت لها فروعاً منها: منظمة الشباب المجاهد (سازمان جوانان مجاهد)، ومنها الجناح السياسي الذي يعرف بالحركة الوطنية لمجاهدي شعب إيران (جنبش ملي مجاهدي خلق إيران)، وقد أعلن عن قيام تضامن بين منظمة مجاهدي خلق والحركة الثورية لشعب إيران المسلم (جاما)، وإعلان التضامن أيضاً بين مجاهدي خلق والجبهة الديمقراطية الوطنية الإيرانية (جبهت دموكراتيك ملي إيران).

وتأخذ هذه المنظمة موقف المعارضة، وقد أُلقي القبض على أحد زعمائها وهو محمد رضا سعادتي وفرّ رئيس المنظمة مسعود رجوي إلى فرنسا مع (أبو الحسن بني صدر) يوم ١٢ شعبان ١٤٠١ هـ (١٤ حزيران عام ١٩٨١ م)، وعدّ نفسه رئيس حكومة في المنفى، كما عدّ (أبو الحسن بني صدر) رئيس الدولة الموقت. وتعد حكومة المنفى الأكراد بالاستقلال الذاتي، وكذا بقية الأقليات، والقيام بالإصلاح الزراعي، وتصفية النظام القائم.

٢٩ ــ جماعة إيران المعاصرة السياسية (كروه سياسي إيران أمروز): برئاسة سعيد فاطمي، ومن أعضائه البارزين جواد صادقي الضابط الذي دافع عن

منزل محمد مصدق حتى اللحظة الأخيرة، وعلي زندي، وعلي زرين، وعلي رضا شهبازي، ومحمد روحي.

ومع هذه الجماعة يوجد «التجمع السياسي للشرق المعاصر» (كروه سياسي باختر أمروز) الذي يرأسه أيضاً سعيد فاطمي.

٣٠ ــ حركة المقاومة الوطنية الإيرانية: (نهضت مقاومت ملي إيران): ويُمثلها شابور بختيار الذي كان رئيس الحكومة الأخيرة للشاه، والتي سقطت بنجاح الثورة، وفرّ شابور بختيار إلى فرنسا، وأخذ في معارضة الحكم القائم في إيران.

٣١ ــ منظمة المتطوعين الفدائية الشعبية الإيرانية (سازمان چريكهاي فدائي خلق إيران): ساهمت في القضاء على نظام الشاه، ويبدو أنها تعمل بسرية تامة، وقادتها غير معروفين، وهناك تعاون بينها وبين حزب توده، بل انشقّ منها فريق، سمّى نفسه «المتطوعون المنشقون» (چريكهاي منشعب) وانضمّ إلى حزب توده. ولهاجناح عمالي يصدر صحيفة تُسمّى «العمل» (كار).

٣٢ ــ جماعة الوطنيين (كروه ميهن پرستان): وكانت تعمل على تطبيق الدستور، وهذا ما ألزمها للوقوف بجانب نظام الشاه، مما أدّى إلى افتراق أعضائها.

٣٣ ــ منظمة الأحرار (سازمان آزادكان) بزعامة الجنرال بهرام آريانا رئيس أركان الجيش الإيراني في عهد الشاه، وتعمل ضد نظام الحكم الجمهوري القائم، وانضمت أخيراً إلى حركة المقاومة الوطنية التي يتزعمها شابور بختيار.

٣٤ ــ الحركة الثورية الديمقراطية لتحرير عربستان (جنبش انقلابي دموكراتيك براي آزادي عربستان): ونشأت عام ١٣٩٣ هـ، وتُصدر مجلة في ليبيا تُسمّى «قارون»، وتحتل مساحة عربستان مائتين وخمسين ألف كيلو متر مربع، حيث تمتد لتشمل سواحل الخليج العربي.

٣٥ ـ الحركة الوطنية لمجاهدي قزوين (جنبش ملي مجاهدي قزوين).

كما لا تزال تنظيمات وأحزاب كانت تعمل من قديم مثل:

٣٦ ـ حزب توده:

٣٧ ـ الاتحاد الثوري الأرمني (حزب داشناكسوتيون):

٣٨ ـ جمعية الزرادشتيين في إيران (كميته) زرتشيان إيران): وتصدر صحيفة باسم «علم الحرية».

٣٩ ـ جمعية المثقفين اليهودية الإيرانية (جامعت روشنفكران يهودي إيران): وقد أعلنت تأييدها للجمهورية، وتدّعي أنها تناضل ضدّ الصهيونية، وتُطالب بإيجاد منظمات للمجتمع اليهودي في إيران.

وهناك جمعيات يبدو عليها الطابع المهني أو الاجتماعي غير أنها في الواقع ذات أهداف سياسية ومنها:

٤٠ ـ الجمعية الثقافية للشعب العربي المسلم في إيران.

٤١ ـ جمعية معلمي الأهواز المستقلة.

٤٢ ـ مؤتمر الطلاب المسلمين بجامعة طهران.

٤٣ ـ المنتدى الإسلامي للثقافة والفن.

٤٤ ـ الجمعية الإيرانية للتعاون مع فلسطين.

٤٥ ـ جمعية تحرير المرأة.

وتصل أعداد هذه الأحزاب والتجمعات السياسية إلى أكثر من خمسين منظمةٍ وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على كثرة انتشار النزعة الفردية في المجتمع، وعلى تباين الآراء، والذي يُؤدّي بدوره إلى زيادة الاختلاف والبلبلة في الأفكار، وبالتالي الفوضى، وبعثرة الصفوف، وإيجاد منافذ وقنوات يمكن اختراقها والتسلّل عبرها إلى الداخل والعبث والتهديم.

المراجع

١ ـ الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران، محمد وصفي أبو مغلي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

٢ ـ إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية، عبد الهادي كريم سلمان، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨٦.

٣ ـ التاج الإيراني، أسيمة جانو، مكتبة مدبولي.

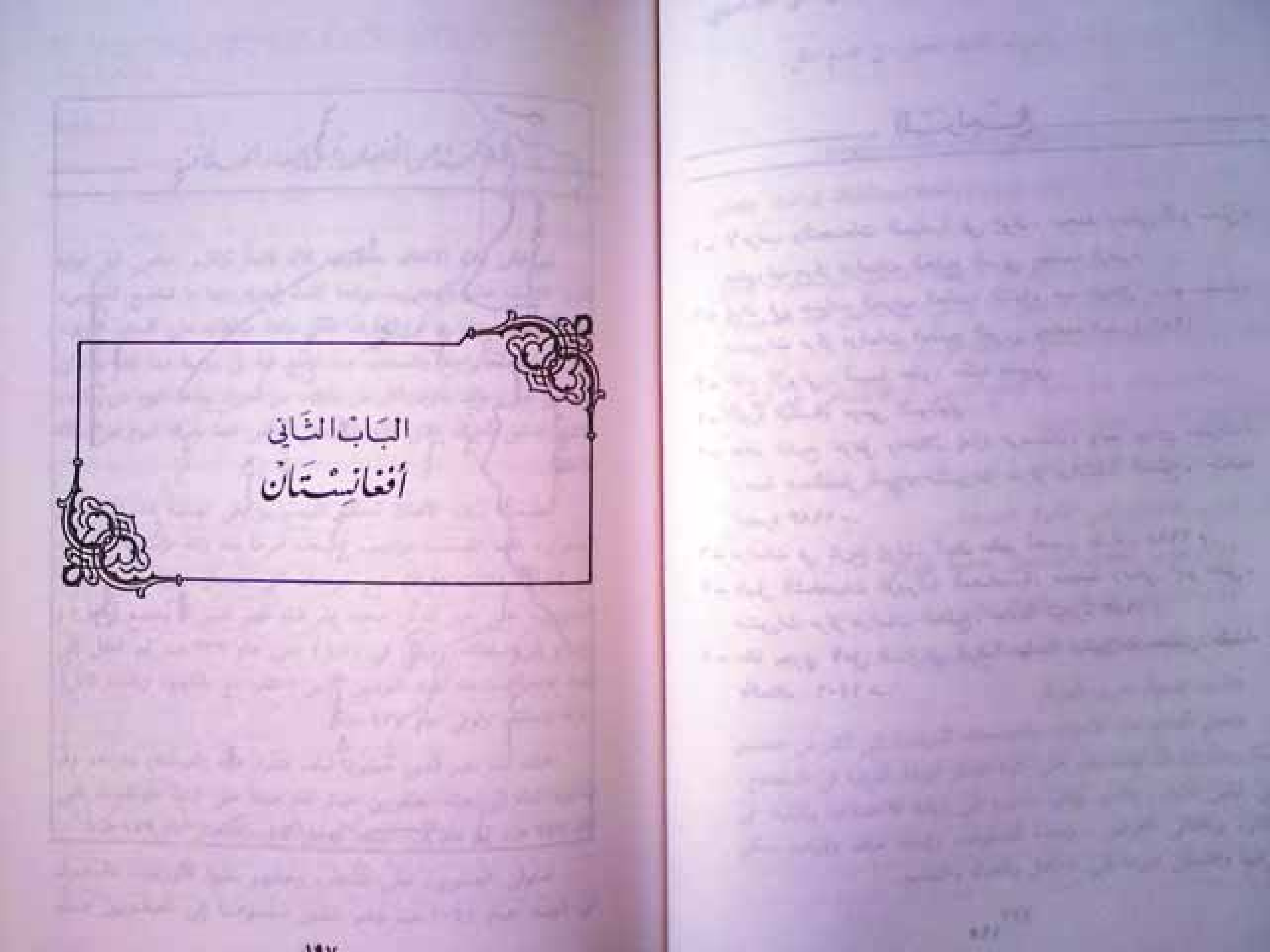
٤ ـ الثورة البائسة، موسى الموسوي.

٥ ـ حكم الشيخ خزعل واحتلال إمارة عربستان، وليم تيودور سترنك، ترجمة عبدالجبار ناجي، منشورات مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة ١٩٨٣ م.

٦ ـ دراسات في تاريخ إيران، كمال مظهر أحمد، بغداد ـ ١٩٨٥ م.

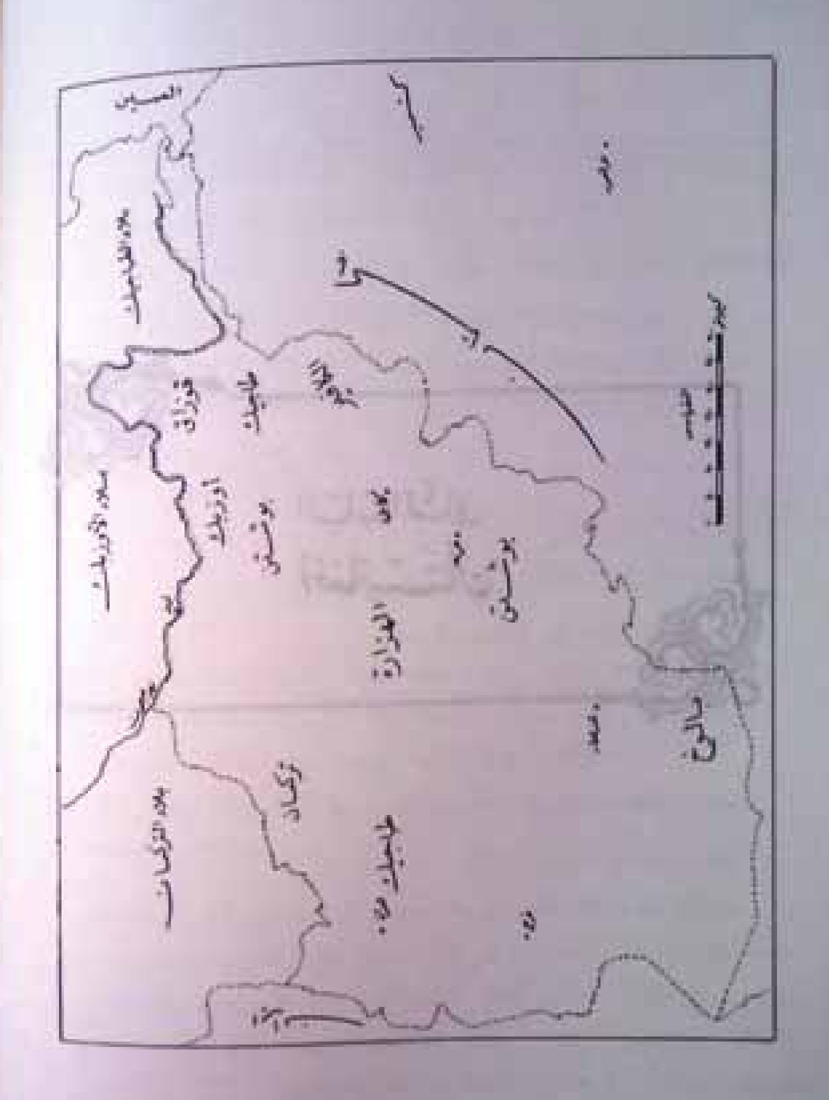
٧ ـ دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، محمد وصفي أبو مغلي، منشورات مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة ١٩٨٣ م.

٨ ـ ماذا يجري لأهل السنة في إيران؟ سلسلة منشورات مجلس علماء باكستان. ١٤٠٦ هـ.



الباب الثاني

أفغانستان



لمحة عن الأفغان قبل إلغاء الخلافة

لم تكن بلاد الأفغان بمفهومها الآن قائمةً كإقليمٍ خاصٍ قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وإنما كانت أجزاء منها ما تخضع للفرس، وأخرى للهند، وإذا ما قوي طرف طغى وامتد سلطانه على أقسامٍ أُخرى، وإذا ما ضعف تراجع وانسحب مما توسّع فيه بل وربما مما كان يستولي عليه من قبل، وقد يكون أكثر من ذلك، من أجزاء نعدّها اليوم من بلاده، وكانت تدخل أحياناً قبائل الأوزبك على أراضٍ مما نعرفه اليوم من بلاد الأفغان.

خضعت بلاد الأفغان لحكم التيموريين في نهاية القرن الثامن الهجري، فلما انقسمت دولتهم، وضعف أمرها بعد وفاة مؤسّسها انقسمت إلى إمارات فكانت (هراة) تتبع خراسان التي يسيطر عليها حسين بيقرا التيموري، على حين تمكّن محمد بابر شاه ظهير الدين أن يُخضع (كابل) و (غزنة) إلى سلطانه، وبقي في (كابل) حتى عام ٩٣٢ هـ، ثم انتقل إلى الهند عندما استدعاه أمراء اللوديين الذين اختلفوا مع ملكهم، وبقيت كابل، وغزنة تتبعانه، وتوفي عام ٩٣٧ هـ.

خلفه ابنه نصر الدين همايون شاه، فتمّرد عليه (شيرشاه) وهزمه، وفرّ همايون شاه إلى دولة الصفويين حيث أقام ضيفاً على الشاه طهماسب حتى عام ٩٤٧ هـ، ثم عاد إلى الهند، ودخل كابل وقَنْدَهار عام ٩٥٢ هـ.

استولى الصفويون على قَنْدَهار، وخلفهم عليها الأوزبك، فالمغول في الهند عام ١٠٢١ هـ، وهم الذين سلّموها إلى الصفويين عام

١٠٣٨ هـ، وقد شمل سلطانهم بعد ذلك أكثر الأجزاء التي تُعرف اليوم باسم أفغانستان.

قَنْدَهار:

قام مير أويس عام ١١٢٠ هـ في قندهار ضد الحاكم الجورجي الذي عيّنه عليها الصفويون، وانتصر عليه، وطرده من البلاد، وتسلّم السلطة، وتوفي مير أويس عام ١١٢٧ هـ، وأصبحت قَنْدَهار إمارةً خاصةً، حكمها محمود بن مير أويس، وكان صغيراً، فخرج عليه عمه عبدالله مستعيناً بالفرس، وعندما شبّ محمود تمرّد على عمّه وقتله، وأخذ الحكم.

هـراة:

إن ما حدث في قندهار قد شجّع قبائل الدورانية (العبدلية) في هراة على التحرّك، فقام أسد الله ضدّ الفرس متفاهماً مع الأوزبك، وأسّس إمرةً حاكمةً في هراة متفاهمةً مع إمارة قندهار، وكلاهما ضدّ الفرس.

انتصر مير محمود على الصفويين، ودخل عاصمتهم أصفهان عام ١١٣٥ هـ، ولم تبق للصفويين سوى رقعةٍ صغيرةٍ من الأرض في الشمال فاستنجدوا بالروس فأمدوهم، فتراجع مير محمود، وهدّد العثمانيون الروس، ثم اتفقوا معهم على اقتسام الدولة الفارسية. وضعف مير محمود عقلياً فأقام الأفغان ابن عمّه أشرف بن عبدالعزيز الذي حارب العثمانيين لأنهم اتفقوا مع النصارى الروس ضدّ المسلمين. وأخيراً قامت حركات تمرّد ضدّ أشرف في كثيرٍ من الجهات.

قام نادرخان بدعم الصفويين، وانتصر على الأفغان، وطردهم من (مشهد) و (هراة)، ثم دخل أصفهان، وخرج منها أشرف بن عبدالعزيز أمير الأفغان، واتجه نحو (قَنْدَهار) ولكنه قُتل في الطريق عام ١١٤٢ هـ، وتابع نادرخان زحفه فدخل قَنْدَهار، ثم احتلّ (غزنة) و (كابل) وأخذهما من ملوك

الهند، وفي الوقت نفسه تسلّم جيشه مدينة (بلْخ)، وهكذا أصبحت بلاد الأفغان تحت حكم نادرخان.

قُتل نادرخان عام ١١٦٠ هـ، في بلاد (شروان)، وعندما رجعت الفرقة الأفغانية التي كانت معه إلى بلادها، واستقرّت في (قندهار)، ونادت بقائدها أحمد شاه العبدلي، وهو من الأسرة الدورانية، وعُرفت إمارته باسم الدولة الأفغانية.

الأسرة الدورانية:

توسّع أحمد شاه فضمّ إليه (الملتان) و(لاهور) و(كشمير)، وقاتل السيخ، وعاد إلى قاعدة ملكه حيث توفي عام ١١٨٧ هـ، تولّى بعد أحمد شاه ابنه تيمور شاه الذي كان يوم وفاة والده في (هراة)، فنافسه أخوه سليمان في (قندهار)، فتمكّن من احتلال العاصمة (قندهار)، وقتل أخيه، ونقل عاصمته إلى (كابل). دخل السيخ (الملتان) فاستردّها منهم عام ١١٩٦ هـ، وقام أمراء السند بحركات لمدة أربع سنوات، فاستقلوا ذاتياً، وانتصر على أمير بخارى (معصوم) الذي دخل (مرو)، وأخمد حركةً قامت في كشمير، وتوفي عام ١٢٠٧ هـ، بعد أن شجّع الإنكليز السيخ في الهند على حربه، والقاجاريين في فارس على قتاله.

خلف تيمور شاه ابنه زمان شاه الذي حكم حتى عام ١٢١٥ هـ ثم تغلّب عليه أخوه محمود، فوضعه في السجن، وحكم مكانه، ولكن أخاهما الثالث شجاع الملك قد نافس محموداً، وأعلن نفسه ملكاً في (بشاور) ثم اتجه إلى كابل، وخلع أخاه محموداً، وأخرج أخاه زمان شاه من السجن كفيفاً.

بقيت قَنْدَهار بيد قمران بن محمود ويؤيده عمّه فتح خان. تصالح الأخوان، ثم عادا فاختلفا. كان شجاع الملك يُقاتل في بلاد الهند، وفتح خان يخطط. وأخيراً هُزم شجاع الملك وفرّ إلى الهند عام ١٢٢٤ هـ ورجع محمود إلى السلطة ثانية.

اعتمد محمود على أخيه فتح خان، واعتمد فتح خان على أخيه الرابع دوست محمد الذي برز، واشتهر، وقوي أمره فقاتل أخاه محموداً، وهزمه عام ١٢٣٥ هـ. وكان محمود قد قتل أخاه فتح خان، وقام دوست محمد بثأر لأخيه فتح خان، فدخل كابل، وسمّى نفسه أمير كابل. وأخذ الفرس مدينة (هراة) من قمران بن محمود عام ١٢٥٨ هـ، وأخذ السيخ المقاطعات الهندية. وقامت أسرة محمد زائي تنافس الأسرة الدورانية، وهي فرع منها، وتمكّن محمد زائي من السيطرة على الوضع عام ١٢٥٠ هـ.

استنجد شجاع الملك بالإنكليز، فأرسلوا له جيشاً دخل (كابل) عام ١٢٥٥ هـ، ونصّب شجاع الملك حاكماً عليها، وفرّ (دوست محمد) إلى بخارى، وأراد مهاجمة الأفغان، غير أنه فشل في غاراته، وجاء إلى كابل، وسلّم نفسه للإنكليز، فنقلوه إلى البنغال.

انسحب الجيش الإنكليزي من كابل عام ١٢٥٧ هـ، وأثناء انسحابه هاجمه محمد زائي ومعه أكبر خان بن دوست محمد وكاد يُبيده، وقُتل شجاع الملك أثناء القتال بين الطرفين، وكان إلى جانب حلفائه الإنكليز، ومُنيت إنكلترا بخسائر كبيرة، واضطرت أن تُعيد (دوست محمد) إلى بلاد الأفغان، وأن تعترف بحكمه.

عقد (دوست محمد) معاهدة صداقة مع إنكلترا، وصالح روسيا، وأعاد إخوته وأبناءه إلى الإمارات، ولكن الخلاف بينهم لم ينته. وقامت الثورة في بلاد الهند ضدّ الإنكليز ولم يُساعد أمير الأفغان الإنكليز، وهذا ما أغضبهم، فأخذوا يروّجون الشائعات ضدّه بأنه يعمل لصالح روسيا، حيث كانت المنافسة قائمةً بين إنكلترا وروسيا، وزحف الجيش الإنكليزي نحو بلاد الأفغان، غير أنه لم يستطع التقدم إذ فشل أمام المقاومة العنيفة التي أبداها الأفغان وهذا ما اضطره أن يتراجع، واضطرت إنكلترا إلى الاعتراف بالحكم الأفغاني، وتوفي دوست محمد عام ١٢٨٠ هـ.

قام بعد دوست محمد ابنه (شير علي)، وعادت إنكلترا إلى التدخل

في شؤون الأفغان، تارةً بحجة ردّ غارات القبائل الأفغانية عن بلاد الهند، وأخرى بحجة الوقوف في وجه النفوذ الروسي الذي ابتلع بلاد المسلمين في وسط آسيا، ويريد التقدّم نحو الجنوب، وتعمل إنكلترا للدفاع عن الهند. ولكثرة التدخّل الإنكليزي في شؤون الأفغان اضطر شير علي للاستعانة بالروس ضدّ إنكلترا، ورحّب بالبعثة الروسية، ورفض قبول الوفد الإنكليزي، فأسرعت إنكلترا، واحتلّت بلاد الأفغان عام ١٢٩٥ هـ، وإن كانت قد خسرت خسائر جسيمةً في هذا الاحتلال، وتوفي شير علي عام ١٢٩٦ هـ، وخلفه ابنه يعقوب الذي اضطر بعد ثلاث سنوات أن يعفي نفسه من الإمارة بعد أن هاجم رجاله الوزير الإنكليزي المقيم في مدينة كابول، وقطعوه. وكان قد رفض الأفغانيون حكم يعقوب بن شير علي لأن ميوله كانت إلى جانب إنكلترا، وبدأت الحركات تقوم في وجه المحتلين حتى اضطرت إنكلترا للانسحاب من بلاد الأفغان، وعُقدت معاهدة بين الطرفين اعترفت فيها إنكلترا باستقلال بلاد الأفغان، ولكن بقيت السياسة الخارجية الأفغانية بيد إنكلترا.

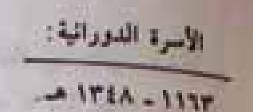
تسلّم حكم بلاد الأفغان عبدالرحمن بن أفضل بن دوست محمد. وهاجمت روسيا مدينة (هراة) عام ١٣٠٢ هـ، وأسرعت إنكلترا للدفاع عنها حرصاً على مصالحها، وعُقدت معاهدة بين إنكلترا وروسيا عام ١٣٠٥ هـ في بطرسبرغ (لينينغراد)، واكتفى الروس فيها بما أخذوه من خراسان. ولكن عادت روسيا مرةً أخرى للتحرش في بلاد الأفغان من جهة الشمال الشرقي، وغدت منطقة (باداخشان) مثاراً للنزاع بين الطرفين، وعُقدت معاهدة أخرى عام ١٣١٣ هـ اعترفت فيها روسيا أن منطقة (باداخشان) جزء من بلاد الأفغان، ورُسمت الحدود بين بلاد الأفغان وبين المناطق الإسلامية التي يُسيطر عليها الروس في وسط آسيا، وكان أيوب ابن عم شير علي قد هرب إلى إيران وجمع رجاله، ودخل قندهار عنوةً فخرج إليه عبدالرحمن وألزمه على الرجوع إلى إيران وبقي فيها حتى مات عام ١٣٠٦ هـ.

وكذلك ثار عليه ابن عمه إسحاق خان الذي كان والياً على المناطق الشمالية، واقترب من كابول فخرج إليه عبدالرحمن وهزمه، ففر إلى سمرقند، وأقام برعاية الروس حتى وفاته.

وتوفي عبدالرحمن عام ١٣١٩ هـ، وخلفه ابنه الكبير حبيب الله خان.

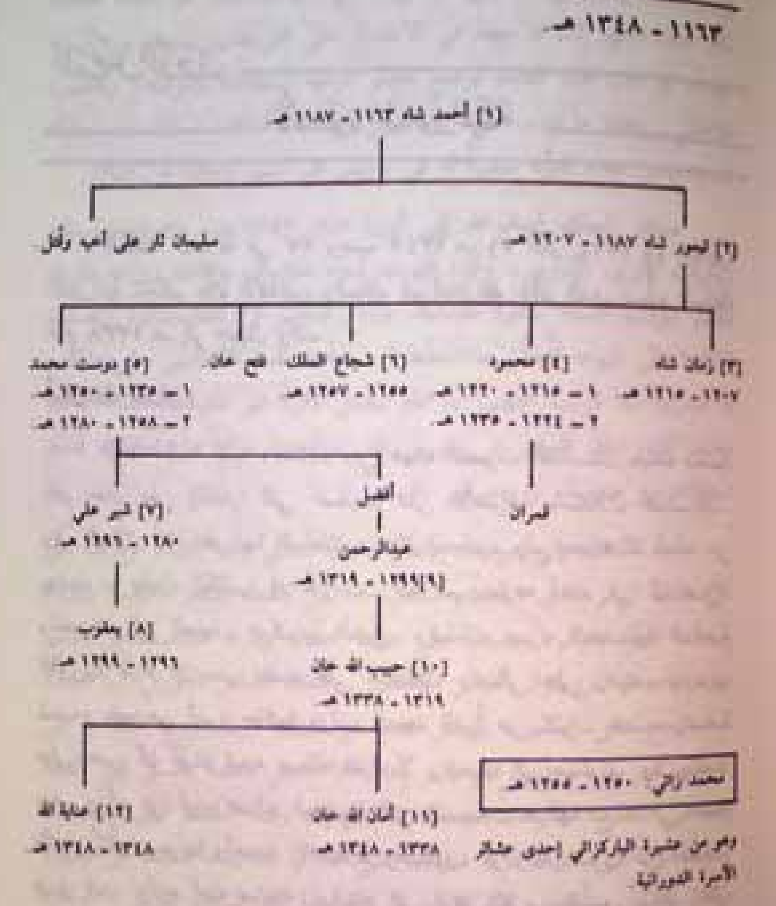
ازداد النفوذ الإنكليزي في عهد حبيب الله خان، وعُقدت معاهدة بين إنكلترا وروسيا عام ١٣٢٥ هـ اعترفت فيها كلا الدولتين باستقلال بلاد الأفغان. وحاول العثمانيون جرّ حبيب الله خان إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى، وإعلان الجهاد ضدّ الإنكليز، ولكنهم فشلوا لإصراره على تأييد الإنكليز، وهذا ما أزعج الأفغانيين فاغتالوا أميرهم عام ١٣٣٨ هـ.

تسلّم السلطة بعد حبيب الله خان ابنه الثالث أمان الله خان، وتسمّى باسم ملك، وحاول التخلّص من النفوذ الإنكليزي، فساءت العلاقات بين الطرفين، وجرى القتال، وتمكّن الأفغان بقيادة محمد نادر شاه من الانتصار على الإنكليز في عددٍ من المعارك المتتابعة، كما استردّ المناطق التي يسيطر عليها الإنكليز، وأجبر إنكلترا على الاعتراف باستقلال بلاد الأفغان التام. وحسّن الملك أمان الله خان صلاته مع كل من: إيران، وتركيا، وروسيا. وانصرف بعدها إلى حياة اللهو والترف، والرحلة الدائمة إلى أوروبا في وقتٍ كانت تئن فيه خزينة الدولة من العجز. ثم أبعد القائد محمد نادر شاه عن البلاد.



الأسرة الدورانية:

١١٦٣ - ١٣٤٨ هـ.



الفصل الأول

الأسرة الدورانيّة

ألغيت الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ (٣ آذار ١٩٢٤ م) والأسرة الدورانية تحكم بلاد الأفغان، والملك هو أمان الله خان الذي تسلّم السلطة عام ١٣٣٨ هـ إثر اغتيال والده.

أمان الله خان:

اتخذ لنفسه لقب «ملك»، وفي عهده انتصرت أفغانستان بقيادة محمد نادر خان على إنكلترا التي اضطرت على الاعتراف باستقلال أفغانستان. وغرّ الملك أمان الله أبهة السلطان، فترك الحكم، ولم يعد هناك أمامه من يهدده ما دامت إنكلترا قد هُزمت، كما لم يُنازعه أحد في الداخل، وانصرف إلى الصيد، وركوب الخيل. وكذلك بهرته الحضارة المادية الأوربية فأراد أن يسير بنفسه على خطاها، وتعالى على رعيته، وازدرى شعبه، فهو من أسرة حاكمة ورثت المجد كابراً عن كابر ـ حسب زعمه ـ على حين أن أفراد شعبه بسطاء فقراء لا يرتفعون إلى مستواه، ولا يدنون منه. ورأى في أوربا ضالته المنشودة التي انسجمت حياتها مع ما في نفسه فأخذ يُقلّد مجونها وأعجبه الاختلاط والسفور، أو وجد هوى في نفسه فسار فيه، وألزم أهله متابعته، وارتاح إلى الزي الغربي فقلّده، وكان ينظر إلى زي الأفغانيين نظرة ازدراء، وأصبحت هوة سحيقة بينه وبين رعيته. وعمل على تنفيذ ما أراده لكن هذا يتطلب مالاً كثيراً ففرض الضرائب، فأثقل كاهل شعبه، فزادت الهوة اتساعاً بينه وبين السكان.

ورغب في تحقيق ما أراده فقرّر القيام برحلة طويلة إلى أوربا ليمارس

ما أعجبه، وقد أمن الداخل، ولكن خشي أمراً واحداً، هو القائد محمد نادر خان الذي كان له جهد في الانتصار على البريطانيين، وهو من أسرته أيضاً، إذ كان هذا القائد موضع تقدير الرعية لشجاعته واتزانه، وتقديره للأهالي، وهذا ما وطّد الصلة بينه وبين الشعب، فخاف الملك منه، وأراد أن يتخلص منه، فعيّنه سفيراً له في باريس في سبيل إبعاده عن البلاد.

سافر الملك أمان الله إلى أوربا عام ١٣٤٧ هـ، وخرجت نساؤه سافرات بالزي الأوربي، وكذا ظهرت نساء حاشيته، وكانت زوجته ثريا تتقدّم موكب النساء سافرةً متبذّلةً، وشاع الخبر في أفغانستان، وعملت إنكلترا على ذيوعه لتحقق ما تُخطّط له، فزادت نقمة الأفغانيين على ملكهم إذ شعروا أنه غريب عنهم، ما دام يحمل فكراً غير فكرهم. أما القائد محمد نادر خان السفير في باريس فقد ساءه ما سار عليه مليكه فقدّم استقالته من منصبه، ورجع إلى بلده.

عاد الملك إلى موطنه، وشعر بالنقد الذي وجه إليه، وعرفه من الاستقبال الفاتر الذي استقبله الشعب به، بل سمعه بأذنه، فأغضبه ذلك، وأخذته العزة بالإثم، وصمم على متابعة خطّه، وإلزام الشعب على السير معه، فأصدر أمراً بترك اللباس الأفغاني، واتخاذ اللباس الأوربي زيّاً عاماً، كما شجّع على السفور، وأرسل عدداً من البنات دون محرم للدراسة في استانبول من باب تحدّي الرعية. وهذا ما جعل النقمة تصل إلى القمة وانتفض الشعب ضدّ هذه المخالفات الشرعية، وضدّ الملك الذي يجب أن يكون أميناً على عقيدة الأمة محافظاً على عاداتها وتقاليدها النابعة من دينها، وشُده الملك من هذه الحركة حيث كان يظنّ أن الشعب فقير لا يمكنه الحركة، بائساً يسعى وراء لقمة العيش، ولم يدرك أن العقيدة إن انتهكت تثب الحياة في الرعية، وانتفضت لتدافع عن عقيدتها، وتذبّ عن دينها، وعمّت الفوضى البلاد.

استغلّ هذه الفوضى التي أربكت أوضاع أفغانستان أحد الرجالات

الطامعين فجمع حوله بعض الرجال من ذوي المصالح، وقطاع الطرق، وسيطر على كابول، ذلك هو باچي السقا (ابن السقا)، واضطر الملك أمان الله إلى الفرار إلى مدينة «قندهار»، وهناك تنازل لأخيه الأكبر منه وعناية الله. أما هو فقد انتقل إلى بريطانيا ليعيش هناك حسبما يهوى، وحسب المفاهيم التي تبنّاها.

عنايـة الله:

لم يستطع عناية الله مقاومة ابن السقا الذي أعلن نفسه ملكاً باسم حبيب الله غازي، وبقي تسعة أشهرٍ يعبث في أفغانستان فساداً حيث يريد تعويض نقصه بما يفرضه من أوامر على الشعب، وتعمل عصابته على إرواء نهمها بما كانت تُعاني من جوعٍ، وخوفٍ نتيجة ما يقوم به من تصرّفٍ. وتدخّل في الأمر القائد السابق محمد نادر خان، وخاصةً أنه من أفراد الأسرة الحاكمة، وله ماضٍ في الدفاع عن البلاد وتحقيق النصر - بإذن الله - ضد الصليبيين من الإنكليز، والتفّ حوله الذين ضاقوا ذرعاً بتصرفات ابن السقا، وتمكّن محمد نادر خان من فرض سيطرته على البلاد في نهاية عام ١٣٤٨ هـ.

محمد نادر خان:

ألقى القبض على ابن السقا، وأعدمه شنقاً. وتسلّم أعباء الحكم، وقدّم خدماتٍ واسعةً للبلاد، وسار بالناس سيرةً حميدةً فقضى على الرشوة والفساد، إذ صرف من الخدمة في الدوائر عدداً من الذين عُرفوا بسوء الإدارة وممارسة الرشوة، فاغتيل محمد نادر خان عام ١٣٥٢ هـ على يد أحد أبناء الذين شملهم الإعفاء من المناصب انتقاماً لأبيه، وحقداً على من قضى على أخذ الأموال بصورةٍ غير شرعيةٍ. وتسلّم الحكم بعد محمد نادر خان ولده محمد ظاهر شاه.

محمد ظاهر شاه:

كان شاباً لا يزيد عمره على التاسعة عشرة عندما آل إليه الأمر، ولا يزال في طيش الشباب، تسلّم السلطة من غير كدٍّ، وتربّى على الدلال في بيت العزّ فلم يحسّ بشيءٍ من المسؤولية، ولكن أحاط به رجال أبيه فرعوه، وكان يشعر بالحاجة إليهم، فسارت البلاد بشكلٍ جيدٍ مدة خمسة عشر عاماً، وأحسّ بعدها محمد ظاهر شاه أنه ليس بحاجةٍ إلى أحدٍ، ولا إلى استشارة رجلٍ، فترك من كان حوله وسار وحده، وقد غرّته السلطة فسار في طريق الانحراف الذي أخذ انفراج زاويته يزداد مع الزمن.

كانت السياسة الخارجية تسير في فلك السياسة البريطانية، وقد تمّ توقيع ميثاق سعد أباد الذي شمل تركيا، والعراق، وإيران، وتدور هذه كلها بمداكٍ في اتجاهٍ واحدٍ، وكان الميثاق يهدف إلى الوقوف في وجه السياسة الروسية أو في وجه الأطماع السوفيتية حسب الاصطلاح الغربي. وتنحصر معرفة هذه السياسة بالرجال القائمين على الحكم أو بعضهم، وقد تمّ توقيع هذا الميثاق عام ١٣٥٦ هـ. أما جلّ الرعية فكانت بسيطةً لا تعرف شيئاً عن السياسة الخارجية، غير أنها تمقت الأجانب (الأوربيين) وتكتفي بحياتها البسيطة التي تعيش عليها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وكانت إنكلترا وروسيا ضمن دول الحلفاء، وهذا ما جعل التنافس بين هاتين الدولتين يزول في هذه الأثناء، وعاد التنافس بين المعسكرين بعد الحرب. ولكن لم يحدث شيء من هذا في أفغانستان ويبدو أنه قد تم التفاهم بين أقطاب المعسكرين على توزيع مناطق النفوذ بينهما، وكانت أفغانستان من نصيب روسيا، ويمكن ملاحظة ذلك من:

١ - عندما قام حلف بغداد في ٣ رجب ١٣٧٤ هـ (٢٤ شباط ١٩٥٥ م) لم تعمل الدول الغربية على ضمّ أفغانستان إليه على الرغم من

أنها كانت لا تزال تدور في فلك السياسة الغربية، ولإنكلترا نفوذ كبير في الحكم الأفغاني.

٢ - كانت المساعدات الروسية تحتلّ المرتبة الأولى بين المساعدات الخارجية لأفغانستان، لقد كانت تشكل ٦٥٪ من مجموع تلك المساعدات على حين لم تكن المساعدات الأمريكية لتزيد على ٢٣٪ من مجموع المساعدات، وكل ذلك تحت سمع ونظر الغرب، وبرضا دوله. وكذلك احتلت الصين الميدان، واتفقت مع روسيا على شقّ الطرق داخل أفغانستان، ولم يحرّك الغرب ساكناً. وربما كانت تلك الطرق لتسهيل عملية الاجتياح المرتقب، ولجعل البلاد سهلة الاتصال بعضها مع بعض، وعدم إبقاء مواقع منيعة يمكن أن يتحصّن بها المجاهدون.

٣ - وقف الغربيون موقف المتفرّج عندما أخذت الجيوش الروسية تتدفّق إلى داخل أفغانستان وكأنه لا توجد هناك صراعات دولية، ولا تنافس بين المعسكرين، ولا خلاف بين الأنظمة الشيوعية والرأسمالية.

وكان كذلك تفاهم بين سدنة المعسكرين على العمل معاً لنشر الفساد في أفغانستان في سبيل إبعاد الأفغانيين عن دينهم، وهذا ما يُسهّل احتلال بلادهم، ويجعلهم يقبلون الأفكار العلمانية، ويميت عندهم روح الجهاد وفكرة مقاومة الأعداء باسم قتال الصليبيين، وهذا يفيد سدنة كلا المعسكرين سواء أكان للاحتلال أم لمدّ النفوذ.

وبدأت الشعارات العلمانية تُطرح عن طريق المتثقفين من العلمانيين أو من السلطة مباشرة والذين رضوا بهذه السبل من قبل. فكان يُقال: العمل على إخراج أفغانستان من عزلتها. وسلوك سبيل العلم للنهوض بالبلاد، وأخذ طريق الحضارة، والتقليد لأوربا في سبيل النهضة وما إلى ذلك من طروحات سمتها العلم وحقيقتها البعد عن العقيدة وتعاليم الدين.

صدر منشور ملكي عام ١٣٧٩ هـ سمح للنساء بالخروج سافرات،

ولم يُفرض ذلك عليهن فرضاً. وأسرعت نساء الرجال الذين اندفعوا وراء المادية الأوربية فألقين الحجاب عنهن، فظهر السفور، وتباهت المتحرّرات من القيود بما فعلن فقلّدهن الضعيفات من نساء المخشّين... وانفتحت أفغانستان أمام الدول النصرانية الكبرى، وكان الملك راعي هذا الانفتاح ويسير في مقدمته.

سمح الغرب للروس بمدّ نفوذه إلى أفغانستان، فسلّحت روسيا القوات الأفغانية، ودعمت مشروعات الريّ بالمساعدات الفنية والمادية، وأخذ الروس يتغلغلون إلى الأوساط الأفغانية. أما الملك والسلطة الحاكمة فلا يفتؤون يتحدّثون عن سياسة الحياد وعدم الانحياز، وتُردّد معهم ذلك الأوساط العالمية لتغطية اللعبة ولو بغطاءٍ شفّاف.

مع امتداد النفوذ الشيوعي امتدت إليه أيدي الطامعين الذين يريدون الارتقاء بأي مصعد، ويتسلّقون على أية حبال، فأصبح للنفوذ أعوان، ووجد الأعوان مُتزلّفين لهم، ولا شكّ سيكون من بين هؤلاء بعض أفراد الأسرة الحاكمين الذين يريدون لأنفسهم، ولا مانع من ارتقائهم ولو كان ذلك على جثث أقربائهم، وعلى حساب سادة نعمهم، وكان من هؤلاء السردار محمد داود[1].

كان محمد داود يميل إلى الروس ويتعاطف معهم لينال عطفهم، ويحصل على تأييدهم في تحقيق أطماعه باستلام السلطة، وتنفيذ مشروعه

(١) السردار محمد داود: ابن عم الملك محمد ظاهر شاه، وزوج شقيقته، ضابط في الجيش الأفغاني، درس في مدينة كابول، وأتمّ دراسته العسكرية في فرنسا. عُيّن عام ١٣٥٠ هـ أيام محمد نادر خان حاكماً على مقاطعة قندهار، وبعد خمس سنوات عُيّن قائداً لقوات المنطقة الوسطى، ومديراً للكلية الحربية، وعُهد إليه برئاسة الوزارة عام ١٣٧٣ هـ فاحتفظ لنفسه بحقيبتي وزارتي الداخلية والدفاع إضافة إلى رئاسة الحكومة، فحكم البلاد مدة عشر سنوات، ولما عُرف بميوله تجاه الروس وأطماعه بالحكم نُحّي عن رئاسة الحكومة عام ١٣٨٣ هـ، ثم قاد الانقلاب عام ١٣٩٣ هـ.

في أخذ الأمر لنفسه، وفعلاً عهد إليه ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه برئاسة الحكومة عام ١٣٧٣ هـ، وحصل على التأييد التام من قبل الروس الذين أظهروا رضاهم عن حكمه. وفي الوقت نفسه وصل إلى الحكم في الإمبراطورية الروسية «خروتشوف»، وأخذ يعمل على مد النفوذ الشيوعي في البلدان المجاورة وكل جهات العالم، ووجد متكأً له في أفغانستان هو رئيس الحكومة محمد داود، ووجد مدخلاً لنفوذ الشيوعية الحكومة نفسها التي يرأسها محمد داود، فبدأ النفوذ الشيوعي يتسلّل إلى تلك البلاد التي لا تعرف إلا الإسلام عقيدةً، وتكره الفجور والفسق والعصيان، وتمقت الإلحاد والكفر.

وتعاونت روسيا مع الصين للعمل معاً في سبيل مدّ النفوذ الشيوعي إلى أفغانستان حيث كان التفاهم لا يزال قائماً بين تلكما الدولتين، ولا تزال الفكرة الشيوعية واحدةً، ولم تنقسم بعد بين روسيا وسياستها والصين وفكرتها بالعمل. فقدّمت الدولتان الشيوعيتان المساعدات لتمهيد الطرق، وتسوية الدروب، ومدّ المواصلات للمصلحة العسكرية. وأنشأ الروس مطار كابول، وسلّحوا القوات الأفغانية وخاصةً القوات الجوية منها.

وأحسّ الملك الأفغاني محمد ظاهر شاه باتجاه ابن عمه فنحّاه عن الحكم عام ١٣٨٣ هـ، وعيّن محمد يوسف رئيساً للوزراء، وهو أول رئيس للوزارة من خارج نطاق الأسرة المالكة، فوقع الجفاء بينهما، وكان هذا دافعاً ومُبرراً لمحمد داود للعمل ضدّ ابن عمه في الخفاء في سبيل تحقيق أطماعه والوصول إلى أهدافه، وكانت روسيا من ورائه تدعمه لتحقيق مصالحها عن طريقه، ولضرب ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه الذي لا يزال على وضعه السابق يسير في فلك الغرب، ويُعدّ من بقايا مخلّفات الاستعمار الصليبي.

ولكن إن أُبعد محمد داود عن الساحة السياسية غير أن أثره لا يزال قائماً فالاتفاقات التي وقّعها مع الروس لا يزال معمول بها، والحكومة التي ورثت وزارته ملزمة بتنفيذ تلك الاتفاقات. ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢/ ١٩٦٧ م تلقّت أفغانستان من روسيا ٦٣٢ مليون دولاراً، وهو ما يُشكّل

٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفّقت على البلاد، على حين شكّلت المعونة الأمريكية ٢٣٪ فقط تلك المساعدات.

وقّعت أفغانستان معاهدةً مع الصين عام ١٣٨٥ هـ لمدة عشر سنواتٍ، كما أنها ترتبط مع كلٍ من إنكلترا والهند بمعاهدة صداقة.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية لمدّ نفوذها إلى أفغانستان من باب العمل لإفساد طبيعة الشعب الأفغاني المسلم، وهذا لإثبات وجودها، ولإمكانية العمل إن دعت الضرورة لذلك، أو اقتضت ظروف اللعبة ذلك، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن كل اهتزازٍ يُصيب المسلمين أو يُلحق بعقيدتهم أذىً إنما هو نجاح للصليبيين وفوز لدولهم سواء أكانت غربيةً أم شرقيةً، حاولت أمريكا مدّ نفوذها عن طريق الإرساليات التنصيرية غير أنها فشلت فشلاً ذريعاً إذ رفضها المسلمون الذين يُشكّلون ٩٩٪ من سكان أفغانستان وفي الوقت نفسه عندهم تمسّك بالإسلام، وكره لأعدائه، وتُعدّ الصليبية في رأس قائمة الأعداء، ولما فشلت الإرساليات التنصيرية في دخول البلاد وتأدية دورها، مدّت أمريكا أصابعها باسم مؤسسةٍ إنسانيةٍ لرعاية المكفوفين، وابتدأ العمل التعليمي فيها، ولكن لم يلبث أن أُقيم بجانب معهد الرعاية بناء جديد ظهر أنه كنيسة، فثار الشعب وانتفض، وطالب الحكومة بهدمها، واضطرت تحت الضغط إلى طلب إزالتها، وتمّ ذلك، وبعدها توقّفت المساعدات التي كانت قد وعدت بها الولايات المتحدة أفغانستان تقديمها لشؤون الصحة والتعليم، وكان لهذا دوره في تفاقم الدعاية الشيوعية.

ونتيجة الفقر والجهل في أفغانستان وعدم وجود التوجيه لم يكن من يتحرّك على الساحة السياسية سوى الشيوعيين الذين يعملون تحت جناح الحزب الديمقراطي الذي تأسس منذ أيام محمد نادر خان إذ كانت روسيا تمدّ أعوانها بالمال وتبعث إليهم بالنشرات السرية والتوجيهات السياسية والفكرية التي تنطلق من مبادئها الإلحادية فيستطيعون بذلك جلب وشراء أعوانٍ جددٍ لهم، وبذا كانوا يتزايدون باستمرار، على حين لا يتوفّر هذا

لغيرهم، ومع هذا فقد كانوا يعملون في الظلام، إذ لم تكن الحكومة تسمح لهم بالظهور والانطلاق، وقد رأت كيف ابتلع الروس المناطق الإسلامية المجاورة لها.

ولما تسلّم محمد داود السلطة عام ١٣٧٣ هـ أعطى الحرية السياسية، وفي الواقع لم يستفد من هذه الحرية سوى الشيوعيين الذين كانوا منظمين، ويتحرّكون بتوجيهٍ دقيقٍ من روسيا، فأفادوا من هذه الحرية، وأصبحوا قوةً يخشى بأسها.

بدأ يظهر الوعي الإسلامي وربما كان للأعداء الدور الإيجابي في هذا الوعي، وذلك أن المسلمين كان يرون تصرف الأجانب في أفغانستان فيصعب عليهم الأمر فكان يدفعهم للتحرّك، ومحاولة تنبيه الأهالي، وخاصةً الخبراء الروس الذين يعملون في مشروعات الري، ويعملون على تهريب الأسلحة عبر الحدود، وتسليمها لأعوانهم، ويُحاولون نشر الفساد من خمرٍ ونساء واصطياد الشباب الأفغانيين عن طريق هذه القنوات... كل هذا دفع المسلمين للعمل والتداول في أمر البلاد، وشؤون المسلمين، وتعاون بعضهم مع بعض، وتشكّلت أول نواةٍ حركيةٍ إسلاميةٍ عام ١٣٨٧ هـ، ومع ازدياد تصرّف الأجانب المسموم والهادف يزداد ردّ الفعل والنشاط والوعي. وتعاون المسلمون مع مدير مجلة (الفجر) الأسبوعية (منهاج الدين جاهد) والتي كانت تصدر في كابول، فكان ينشر لهم بعض المقالات، وتُحذّر المجلة من المخططات الاستعمارية، وتعمل على تنبيه السكان من الأجانب... فكان يزداد الوعي. ولكن هذا الوعي الإسلامي، والتفاف الناس حول قادته أثار غيظ الأعداء فأرادوا الوقوف في وجهه، وخططوا لجرّ هذه المجموعة الناشئة إلى معركةٍ غير متكافئةٍ تُخرج الموجّهين المسلمين خارج دائرة العمل، وتُلقي الرعب في نفوس الآخرين. وكان الصدام بين الفريقين: مجموعة ناشئة صغيرة لا سند لها إلا الله ثم دعم إخوانهم المسلمين العاديين من سكان أفغانستان البسطاء، وفئة كبيرة ذات إمكانات

كبيرة تدعمها الدولة، وتسندها الشيوعية العالمية، ومعسكر حلف (وارسو)، ويردف ذلك الإرساليات التنصيرية العالمية، وحلف شمالي الأطلسي إذ أن همّ الجميع القضاء على الإسلام ودفن أهله. ومع هذا التباين الكبير فقد نصر الله المسلمين على أعدائهم الذين كادوا أن يتميزوا من الغيظ، فتأهبوا لمعركةٍ ثانيةٍ، فجمعوا كيدهم، وتسلّحوا، وأتوا صفاً واحداً، وأعلموا قادتهم والمسؤولين ليكونوا ردءاً لهم ليتدخلوا لدى السلطة فيما إذا كانوا مهزومين، وجاءوا يوم ٢٦ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ (٣٠ حزيران ١٩٧٠ م) ليباغتوا هذه الفئة المؤمنة ويقضوا عليها، غير أن الشعب الأفغاني تعاطف مع أبنائه فنزلت الهزيمة بالملحدين - بإذن الله - ووقع منهم مائة وسبعون جريحاً، وفرّوا من المعركة التي خطّطوا لها، واختاروا مكانها وزمانها.

وهُرع الشيوعيون الصينيون لدعم رفاقهم رغم خلافهم معهم، ولكن الإلحاد الذي يجمع بينهم يدفعهم لنصرتهم، ولكنهم لقوا المصير نفسه بل أشدّ نكراً، لأنهم أقلّ عدداً، وأضعف جنداً، ولا كفاءة لديهم ولا خبرة، وجاءوا مسرعين دون استعدادٍ، أغراهم عددهم، وعلمهم بأن الأفغانيين ضعفاء ليس لديهم قدرة على المقاومة فخاب الظنّ، ووقعوا صرعى.

وأسرعت وسائل الغرب تؤيّد خصومها الظاهريين، وأعوانها في محاربة الإسلام، فوُصفت الفئة المؤمنة بالرجعية، والهمجية، واستعمالها وسائل القوة، وادّعت أن الأصوليين يُعادون الحضارة ويعملون على تهديمها بالمعاول.

وتلت تلك حادثة طارت بصواب أعداء الإسلام جميعاً من شيوعيين ورأسماليين ومتفرنجين يدّعون التقدمية تلك هي انتخابات مجلس طلبة جامعة كابول إذ حصل المسلمون على أربعةٍ وأربعين مقعداً من أصل أربعةٍ وخمسين مقعداً. وكان لهذا أثره من ناحيتين:

١ - تجمّع المسلمون ضمن تنظيمات كان منها: تجمع الشباب المسلم في جامعة كابول، وجمعية العلماء المحمدية، وجمعية خدام

الفرقان. وأخذت هذه التجمعات تعمل على توعية أعضائها، وتستعدّ بالأخذ بالأسباب للوصول إلى أهدافها.

٢ ـ أخذ المتفرنجون التقدّميون يُحمّلون الحكومة الأفغانية وزر ما يحدث على الساحة السياسية، رغم أنهم هم السبب، ورغم أن الحكومة الأفغانية كانت تقف إلى جانبهم دائماً، تُشدّد الرقابة على المسلمين، وتحمي مظاهرات التقدّميين المتفرنجين، وتمنع الاعتداءات عليهم، والمظاهرات ضدّهم، على حين تسكت عن جرائمهم التي يرتكبونها وما أكثرها وأبشعها. لقد اغتيل (منهاج الدين جاهز) مدير تحرير جريدة (الفجر) وابنه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره يوم ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ (٨ آب ١٩٧٢ م)، وكان وراء الجريمة السفير الروسي في أفغانستان والملحق العسكري، وقد غادرا البلاد فجأةً مساء الحادث، وقد طوت الحكومة الأفغانية الملف، وكأنه لم تقع جريمة قذرة على أرضها.

رأى الشيوعيون المخططون أن الحكومة المدنية لا تُناسبهم فالقضايا تحتاج إلى تحقيق، وتطبيق قانون، وتساؤلات و... وهذا ما يكشف مخططهم، ويحول دون تنفيذ جرائمهم حيث تنفضح وينجلي الأمر، أما الحكم العسكري فيسكت عما يرتكبون، ويغضّ عينيه عما يتصرّفون، ويُخرس كل من يريد أن يتفوّه بغير ما يريده الحكم. ومن هنا كانت ضرورة تغيير الحكم المدني بعسكري في أفغانستان.

وإن التفاهم بين موسكو وواشنطن على مناطق النفوذ قد جعل الساحة في أفغانستان خاليةً للروس حيث يمكنهم العمل بحرية دون تخوّف من منافسة أو تهديدات أو إعاقة تحرّك. كما أن ذلك التفاهم قد ألقى تبعة القضاء على الحركة الإسلامية في أفغانستان على عاتق الروس، كل هذا أعطاهم فرصة التخطيط والتصرّف بما تهوى أنفسهم.

فتش الشيوعيون عن المرشح لزعامة التغيير فوجدوا مبتغاهم دون كبير عناء إنه محمد داود فهو من الأسرة الحاكمة، وابن عم الملك، وزوج

شقيقته، وناقم عليه بعد تنحيته عن الحكومة، ورئيس وزراء سابق، ومتعاطف مع الروس، وله تاريخه بالعمل معهم، وفوق ذلك فهو طامع بالأمر، ويسعى له، ولديه الإمكانات الكافية، والمؤهلات الضرورية، ويُعَدّ خصماً للعمل الإسلامي.

محمد داود:

أُعطي الشيوعيون الأفغان تعليمات موسكو بتقوية الصلات مع محمد داود، والتعاون معه، وتنفيذ رغباته، وأُعطي هو الضوء الأخضر للعمل، وأُبلغ أنه سيحصل على الدعم المطلوب، فأخذ محمد داود يستعدّ ويقوم بنشاطٍ واسعٍ، وإن اتسم بالسرية، حتى تكاملت الاستعدادات.

وفي صباح الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ (١٧ تموز ١٩٧٣ م) وقع الانقلاب، ونجح، وإن كان قد لقي مقاومةً عنيفةً من أعوان النظام عند حصار القصر الملكي، بينما كان الملك ظاهر شاه في إيطاليا وقد أعلن قائد الانقلاب محمد داود عن سياسته الخارجية في بيانه الأول الذي أذاعه، فقال: «إن أفغانستان تقف موقف عدم الانحياز، ولن تدخل أي حلفٍ عسكري، وإنها تحرص كل الحرص على العلاقات الطيبة التي تربطها مع دول العالم، أما فيما يتعلق بباكستان فإن نزاعاً سياسياً يقوم بيننا وبين ذلك البلد، وهو البلد الوحيد الذي لم تنجح في حلّ مشكلة معه»[1]. وأعلن زعيم الانقلاب أن الذي دفعه

---

(١) يبدو أن اللعبة الدولية كانت تقتضي بأن تجزأ باكستان مرة أخرى، وكانت هناك مظاهرات في ذلك الوقت في منطقة وبلوخستان في باكستان، تدعو إلى الانفصال والاستقلال عن باكستان، ويوجد كما نعلم عدد من البلوخ يقيمون في أفغانستان، يريدون الانضمام إلى إخوانهم، وهذا ما يوجد مشكلةً بين الجارتين، كما توجد مشكلة أخرى، وهي وجود قبائل البشتو في تلكما الدولتين، والحدود التي تقيم على جانبيها تلك القبائل طويلة، وتعرف هذه القبائل في باكستان باسم «الباثان»، هذه هي اللعبة الدولية غير أن الأطماع الاستعمارية متباينة فالأمريكان لا يريدون أبداً التفاهم بين باكستان وأفغانستان حتى لا يمتدّ النفوذ الشيوعي وبالتالي الروسي نحو مياه المحيط الهندي، على حين يبغي الروس هذا التفاهم مرحباً، ولكن لا يظهرونه حتى لا تُغيّر أمريكا موقفها تجاه حرية عمل الروس في أفغانستان.

للقيام بحركته إنما هو كثرة الفساد في الإدارة، وسوء استخدام السلطة، وتفشي الرشوة، وقدّم رئيس الوزراء الأفغاني السابق موسى شفيق إلى المحاكمة بتهمة قبض مبالغ طائلة من إيران. وألغى قائد الانقلاب النظام الملكي، وأعلن النظام الجمهوري، ونصّب نفسه رئيساً للجمهورية.

لقد كانت أول محطة نقلت نبأ الانقلاب هي إذاعة الهند، واعترفت بالوضع الجديد مباشرةً، إذ يُحقق لها بعض مصالحها ضدّ باكستان، وقد تكون على معرفةٍ ببعض خيوط اللعبة الدولية، وتلا ذلك إذاعة الخبر من روسيا وذلك بعد أربع ساعات فقط من وقوع الانقلاب، ورحّبت به، وأعلنت اعترافها بالوضع الجديد، مع العلم أن روسيا عادةً تتمهل بمثل هذه الحالة بالاعتراف حتى تتأكّد من الهوية السياسية للحكم المتسلط، ولكن الآن تعرف ما يجري على الساحة، وقد نسجت بعض خيوط الحركة بيدها، وعملت على إخراجها ودفعها. وكانت السياسة الروسية يومذاك تسير وسياسة الهند بخط متوازٍ، وتقف الولايات المتحدة مشرفةً على التنسيق والإخراج، فالهند يُهمّها بالدرجة الأولى تفتيت باكستان وقوتها، ويمكنها تحقيق هذا الهدف عن طريق أفغانستان التي يمكنها أن تضمّ إليها منطقة (بلوخستان) ومنطقة الحدود الشمالية الغربية حيث تُقيم قبائل «الباتان»، وبذا يضعف شأن باكستان، ولكن ذلك يقضي تفاهم الدولتين الكبريين الولايات المتحدة وروسيا أولاً، ثم إثارة قبائل منطقة النزاع ودعمها، وإشغال باكستان بالتحرّك على حدودها الشرقية والجنوبية، وبإمكان الهند أن تتولّى هذه المهمة.

كان هدف محمد داود الوصول إلى السلطة، وقد تمّ له ذلك، ومن سياسته للمحافظة على السلطة، التقرّب من روسيا، وطلب المساعدة منها، وخنق الحركة الإسلامية. أما هدف روسيا فكان يختلف عن ذلك إذ ترى أن حكم محمد داود لم يكن سوى مرحلة لتضع الشيوعية يدها على أفغانستان. فالحاكم الجديد محمد داود رفيق مرحلي ما دام ليس شيوعياً، ويمكن رميه كحجةٍ قذرةٍ بعد تحقيق أغراضها منه ومن هذه الأغراض، خنق

الحركة الإسلامية على يديه، والتمكين للشيوعيين بالسلطة ما دام لا يوجد غيرهم دعامةٌ له. فبداية العمل متفق عليها الطرفان، وقد أخذ التنفيذ مجراه.

بدأ محمد داود بتنفيذ مخططه الذي هو المخطط المرحلي للروس، فأخذ بالضغط على الحركة الإسلامية، وملاحقة قادتها، واتخذ وسائل الإعلام كلها وسيلةً له، ودوائر الدولة مطيةً لهدفه، واستفاد من الوظائف وإيجاد العمل للضغط على الإسلاميين، ومجالاً لكسب الشباب إليه وإلى رفاقه الشيوعيين. وسُرّ الروس من هذا السير إذ قوي أعوانهم، وضعف خصومهم، وسارت وسائل الإعلام والمناهج حسب هواهم.

أحسّ محمد داود أن كفة الشيوعيين قد رجحت، وأنه أصبح تابعاً لهم، وسيكون بعد مدةٍ، إن استمرّ في سياسته، خاضعاً لموسكو بل خاضعاً لعملائها الأفغان، فقرّر تغيير خطّه، فهو ليس شيوعياً، ويرفض التبعية التامة، حيث كان يظنّ أن روسيا تقبل التعاون فقط، والبعد عن السياسة الاستعمارية الغربية، ولكنه رأى نفسه أنه كان مخطئاً، وظنّه كان خاطئاً، لذا لجأ إلى العودة إلى الوراء ومحاولة إيجاد توازنٍ بين القوى المتصارعة.

قام محمد داود بزيارة بعض الدول الإسلامية في سبيل إظهار حسن النية للمسلمين في بلاده وفي خارجها، فزار باكستان، والمملكة العربية السعودية، وليبيا، ورجع وفي نيته السير في خطٍ جديدٍ. وشعر الشيوعيون بما يُفكّر فيه، فخافوا على وضعهم، وخشوا أن تحلّ بهم نكبة كما يحدث دائماً في كثيرٍ من البلدان عندما تُعرف حقيقتهم، لذا أرادوا التخلّص منه، كما أراد التخلّص منهم فانعدمت الثقة بين الطرفين، وكل منهما أراد السبق بالوصول إلى هدفه وضرب خصمه قبل أن يُؤكل من قبله.

انعقدت الـ (لويا جيرغاه وهي جمعية وطنية قبلية عليا تضمّ كبار الوجهاء القبليين المسنّين الذين عينهم حكام الأقاليم، وقد أقرّت في شهر محرم ١٣٩٧ هـ (كانون الثاني ١٩٧٧ م) دستوراً جديداً يتيح تشكيل حكومة

رئاسية، وإقامة دولة الحزب الواحد، وتمّ تجديد رئاسة الرئيس محمد داود لمدة ست سنواتٍ، ثمّ حلّت هذه الجمعية.

وفي ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (آذار ١٩٧٧ م) شكّل الرئيس محمد داود حكومةً مدنيةً أعلنت نهاية الحكم العسكري، غير أن هذا لم يكن سوى إعلان، وليس له أي رصيدٍ من التنفيذ.

أخذ السخط يتزايد على الرئيس محمد داود وخاصةً بين أفراد القوات المسلحة.

الفصل الثاني

الحكم الشيوعي

قلنا إن الثقة قد زُعزعت بين رئيس الجمهورية محمد داود وبين الشيوعيين الذين كان يدعمهم، وكانوا يؤيدونه، ثم انعدمت تماماً، وأصبحت الاتهامات صريحةً وواضحةً بين الطرفين، ويسعى كل فريقٍ للاقتصاص على خصمه، ويهتبل كل فرصةٍ لينال من الآخر.

وفي ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (٢٦ نيسان ١٩٧٨ م) اغتيل أحد زعماء حزب برشام (الراية) الشيوعي، وهو (مير أكبر خيبر)، وربما كان منافسوه الشيوعيون[1] من حزب خلق (الشعب) هم الذين قضوا عليه

---

(١) بدأ تجمع أصحاب الفكر الشيوعي والاشتراكي في أفغانستان منذ عام ١٣٦٦ هـ تحت اسم (ويش زلميان) أي حركة يقظة الشباب، وكان من أعضائها نور محمد تراكي، وبابراك كارمل... وكانت جريدة (أنجاد) الرسالة تنشر آراءهم، وتهاجم الإسلام، ثم أُلغيت عام ١٣٩٣ هـ.
ونما هذا التجمع في عهد وزارة محمد داود التي استمرت عشر سنوات ١٣٧٣ - ١٣٨٣ هـ. ثم أصدر نور محمد تراكي جريدة خلق، وقد نشرت في ٢٨ شعبان ١٣٨٤ هـ (الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٥ م) ميلاد حزب (الديمقراطية خلق أفغانستان) أي حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وعقد أول اجتماع له في بيت نور محمد تراكي، وحضره سبعة وعشرون عضواً، وشكلوا سبعاً وسبعين مؤيداً، وانتخب في ذلك اللقاء نور محمد تراكي رئيساً للجنة المركزية التي ضمّت تسعة أعضاء، واختير بابراك كارمل نائباً له، وكان من أعضاء اللجنة حفيظ الله أمين، وشاه ولي الله، وطاهر بدخشي، ومير أكبر خيبر.
دخل الحزب الانتخابات عام ١٣٨٥ هـ وفاز بثلاثة مقاعد، اثنان عن كابل،

لتحقيق مُخططٍ لهم، ولإثارة الشيوعيين ضدّ الحكم بحجة أنه قَتَل أحد زعمائهم، وأن السلطة تنوي الفتك بهم، فإذا ما قاموا ضدّها، وانقلبوا عليها، وتسلّموا السلطة منها فإنما يدافعون عن أنفسهم، وفي الوقت نفسه اغتيل وزير المشروعات أمام باب وزارته، وأعقبه قتل أحد الضباط الطيارين الأفغان الذين لم يُسايروا الشيوعيين في نشاطهم والعمل على تنفيذ مخططاتهم.

تبين أن عمليات القتل هذه كانت مؤامرةً شيوعيةً هدفها:

١ً – لفت النظر إلى البلاد بأنها تعيش بحالة فوضى، وأن الحكم لا يستطيع السيطرة على الشؤون الداخلية، وبذلك تنخفض أسهم رئيس الجمهورية داخل أفغانستان، وفي البلدان الإسلامية الأخرى، وخاصةً التي زارها مؤخراً، فإذا ما حدث تغيير في مراكز السلطة فإنما هو متوقَّع.

٢ً – إثارة الشيوعيين كافةً للنهوض ومقاومة الحكم فإذا لم يُسرعوا فلينتظروا الإبادة.

---

* ومثلهما بابرك كارمل، وأناهيتا راتب زادة التي كانت وسيلة الرفاهية والإغراء للشيوعيين، والمقعد الثالث عن قندهار واحتله نور أحمد نور.
أخلت صحيفة (خلق) الشيوعية، تدعو صراحةً لمبادئها الإلحادية، وتنطق باسمها، فتعالت الصيحات ضدّها، فأغلقت بعد ستة أسابيع من صدورها بتهمة العمل ضدّ الإسلام، والهجوم عليه.
وفي عام ١٣٨٧ هـ حدث انشقاق في الحزب على أساس قبلي إذ كان نور محمد تراقي من قبيلة (البشتو)، فقرّب إليه شيوعيي هذه القبيلة أمثال حفيظ الله أمين، وعبدالرشيد أرين، وصالح محمد وزيري، ومحمد أسلم وطنجار، أما بابرك كارمل فهو من قبيلة (الطاجيك)، وقرّب إليه شيوعيي هذه القبيلة أيضاً مثل محمد بريالي، وعبو صبوره، ونجم الدين أختر، وكارابالي، وسلطان علي كشتمند، ونعمة الله بزوال، ومحمد رفيع... وظهر هذا الانقسام على الواقع بعد أن أثنى بابرك كارمل في المجلس النيابي على الملك محمد ظاهر شاه فهاجمه الشيوعيون هجوماً مرّاً، فانشقّ مع جماعته، وأسّس حزب برشام (الراية)، وأصدر صحيفة تحمل الاسم نفسه، وأنشأ نور محمد تراقي حزب خلق (الشعب) مع أعوانه، وشجّعت روسيا هذا الانقسام لإذكاء روح التنافس بينهما.

٣ً – سيطرة حزب خلق على مقاليد الحكم في حالة حدوث انقلاب، وإبعاد حزب برشام (الراية) عن أية سلطة، وذلك بإضعافه والتخلّص من زعمائه البارزين.

٤ً – لفت نظر روسيا للتأهب لدعم رفاقها، ولإعطائها حق التدخّل في شؤون أفغانستان الداخلية للقضاء على الفوضى المستعرة وحماية أرواح أعوانها.

ولما أحسّ رئيس الجمهورية محمد داود أن المؤامرة شيوعية علم أنهم قد بدؤوا في تنفيذ مخططاتهم، فلا بدّ له إذن من السرعة وتفادي الخطر الداهم نحوه، لذا فقد أسرع وألقى القبض على زعماء الشيوعية في أفغانستان، ومنهم: نور محمد تراقي، وحفيظ الله أمين، وبابرك كارمل، وأودعهم السجن. ولكن قبل أن يُتابع ضرباته حدث الانقلاب ضدّه.

وفي ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ (٢٩ نيسان ١٩٧٨م) قام محمد غلاب زي أحد قادة جناح (خلق) والعميد الشيوعي عبدالقادر[1] بحركته ضدّ حكم الرئيس محمد داود، وألقى القبض عليه، وسلّم السلطة إلى زعيم حزب خلق نور محمد تراقي[2] الذي كان سجيناً. وقد عرفت هذه الحركة في أفغانستان باسم «ثورة ساور» أي ثورة نيسان.

---

(١) العميد عبدالقادر: هو الذي قاد الانقلاب ضد الملك محمد ظاهر شاه، وسلّم السلطة إلى محمد داود، ثم قاد الانقلاب ضد الرئيس محمد داود، وسلّم الحكم إلى نور محمد تراقي.

(٢) نور محمد تراقي: ولد عام ١٣٣٥ هـ في قرية (مقر) في ولاية غزنة، وسافر إلى الهند عام ١٣٥٣ هـ، وبقي في بومباي أربع سنوات، وهناك اعتنق الفكر الشيوعي. وعندما رجع إلى بلاده عمل في مؤسسة السكر التجارية بوزارة المالية، والتحق أيضاً بجامعة كابل.
ابتعث عام ١٣٧٣ هـ إلى أمريكا كملحق ثقافي، وبقي هناك مدة أربع سنوات، ثم عاد إلى أفغانستان، وأسّس عام ١٣٨٥ هـ أول نواة للحزب الشيوعي الأفغاني، وكان اللقاء الأول في بيته، وانتخب أميناً عاماً للحزب بالإجماع، وفشل في الانتخابات العامة التي جرت. وتسلّم الحكم نتيجة انقلاب على الرئيس محمد =

١ ـ نور محمد تراقي:

تسلّم رئاسة الجمهورية يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (٣٠ نيسان ١٩٧٨ م)، واحتفظ لنفسه برئاسة الحكومة أيضاً، واشتدّت في عهده أعمال العنف في البلاد، وجرت الدماء، وساد الإرهاب، وخاف الناس، وصدّقوا ما كانوا يسمعون عن جرائم الشيوعيين، ولم يكونوا مصدقين ذلك من قبل، ولم تقبل عقولهم أن ما يسمعونه يمكن أن يقوم به بشر فيه قلب، وقد وقع خمسة عشر ألف قتيل خلال أربع وعشرين ساعة في اليوم الأول من الانقلاب. أمر نور محمد تراقي بإخراج محمد داود من السجن، وقتل أبناءه التسعة والعشرين أمامه، الواحد بعد الآخر أمام عينيه، ثم قتله وباقي أفراد أسرته، ورئيس الجمهورية الجديد نور محمد تراقي ينظر، ويشعر بنشوة الظفر على خصمه، ويتلذّذ بمنظر الدماء، واستعاض محمد داود من منظر قتل أبنائه، وعرف ساعتئذٍ أن هذا جزاء من يتعاون مع الشيوعيين، ولكن ساعة لا ينفع الندم إذ ذاق كأس الموت وأبناؤه وأسرته على أيدي رفاقه. وكان يُقدّر عدد الخبراء الروس في أفغانستان بثلاثمائة وخمسين خبيراً.

وقتل نور محمد تراقي أيضاً المئات من قادة المسلمين، وعشرات الآلاف من عامتهم، وأودع الآلاف منهم في السجون، وشرّد أمثالهم. وعيّن حفيظ الله أمين وزيراً للخارجية، والعميد عبدالقادر وزيراً للدفاع، وسلطان علي كشتمند وزيراً للتخطيط.

وأخلد المسلمون إلى بيوتهم خوفاً، وقد أذهلهم ما رأوا، وقطع

* داود، وقُتل بيد صديقه ورفيقه حفيظ الله أمين إثر عودته من (هافانا) عاصمة كوبا في ٢٢ شوال ١٣٩٩ هـ، وأعلن عن مقتله في ١٨ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (٩ تشرين الأول ١٩٧٩ م). يتقن لغة الأوردو، واللغة الإنكليزية إضافة إلى لغته (البشتو)، ألف عدداً من الكتب منها: (البقرة الصفراء) و (تعالوا لنبدأ العمل) و (اللحم المجفف)، وكلها استهزاء بالإسلام. ينتمي هو إلى قبيلة البشتو. وقتل في عهده أكثر من خمسين ألف مسلم.

قلوبهم، فظن نور محمد تراقي أن الأمر قد استقر له، وأن العدو الأول، وهم المسلمون قد خرجوا من الدائرة السياسية، ولن تقوم لهم قائمة بعدما أوقع بهم وبقادتهم، لذا عليه أن يلتفت إلى رفاقه الشيوعيين المناوئين له من حزب (برشام) فأصدر أمراً بتعيين زعمائهم سفراء لبلادهم في الدول الأجنبية، ومنهم نائبه بابرك كارمل الذي عيّنه سفيراً في تشيكوسلوفاكيا، ولكن بعد ثلاثة أشهر عاد فغيّر رأيه إذ رأى أن وجودهم في الخارج يجعلهم يتحرّكون أحراراً، ووجودهم في الدول الشرقية يجعلهم يتصلون بمن شاءوا من الشيوعيين، ويُعطونهم صورةً عن أفغانستان من وجهة نظرهم الخاصة، بل سيحرّضون الروس خاصة والشيوعيين عامةً على الحكم، حيث كان نور محمد تراقي يعمل للشيوعية ضمن الدائرة المحلية، وكذا يعمل حزبه حزب خلق، على حين يرى منافسه حزب (برشام) الارتباط بموسكو، والمناداة بالشيوعية العالمية، والمركزية الشيوعية، ومن هنا قرّر رئيس جمهورية أفغانستان الشيوعي نور محمد تراقي عزل السفراء الذين سبق له أن عيّنهم، واستدعاءهم إلى كابل ليكونوا تحت رقابته، غير أنهم رفضوا العودة وبقوا في أوربا الشرقية، على صلة بالروس الذين يُوجّهونهم.

حاول نور محمد تراقي التوفيق بين أعوانه الذين يرون تطبيق الشيوعية في بلادهم مع عدم الارتباط بموسكو وبين معارضيه الذين لا يرون حلاً ولا وسيلةً سوى الانصهار في بوتقة الشيوعية العالمية، والالتحاق بالامبراطورية الروسية. ولم يقبل المعارضون التوفيق، وتمسّكوا بموقفهم، ولم يتزحزحوا عنه، وأرادوا إحراج رئيس الجمهورية للرجوع إلى موسكو لحلّ الخلاف القائم بين الفريقين.

وقامت حركة مقاومة في شرقي البلاد في مقاطعة (نورستان)، واضطر نور محمد تراقي للسفر إلى روسيا في ٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٥ كانون الأول ١٩٧٨ م) ليحصل على دعم مادي، ولعله يستطيع العمل على أن يضغط سَدَنة النظام الشيوعي على رفاقهم الأفغان ليتوقفوا عن معارضة الحكم

القائم خوفاً من أن يُطاح بهم جميعاً، وذلك فيما إذا قدّم بعض التنازلات لروسيا، وهناك عقد معاهدةً مع موسكو، فتح بموجبها أبواب أفغانستان أمام الجيوش الروسية ليحمي نظامه بها ضدّ المعارضة، والمقاومة في الداخل، ووصل عدد الخبراء الروس إلى ألف خبير في أفغانستان.

أصبح النظام الشيوعي القائم في أفغانستان مشلول الحركة، عاجزاً عن القيام بشيء، فالمقاومة الإسلامية الداخلية تهدّده، والروس يتسلّطون عليه، وغدا رئيس الجمهورية نور محمد تراقي الذي هو في الوقت نفسه رئيساً للوزارة لا يعرف التصرّف، وهذا ما ألزم حزب خلق على فصل رئاسة الدولة عن رئاسة الوزارة، فبقي نور محمد تراقي رئيساً للدولة، وعهد إلى حفيظ الله أمين برئاسة الوزارة التي ضمّت ثمانية عشر وزيراً، وتشكّلت في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (٢٨ آذار ١٩٧٩ م)، ولكن اشتدّت المقاومة الإسلامية، وبرز على الساحة السياسية الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار، وأحزاب أخرى، وفي ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (١٩ آذار ١٩٧٩ م) وقعت انتفاضة في معسكرات (هراة)، كما حدث تمرّد عسكري في الجيش، فأرسل الروس في شعبان أول وحدة هجومية إلى أفغانستان، وهي عبارة عن كتيبة محمولة جواً قوامها أربعمائة رجل، واستقرت في موقع (بغرام) على بُعد ثلاثين كيلومتراً من العاصمة كابل، فقامت نتيجة ذلك ثورة في العاصمة نفسها في ١٢ رمضان ١٣٩٩ هـ (٥ آب ١٩٧٩ م) وقامت الحكومة بعمليات قمع بشعة، وجرائم قذرة كثيرة. ووقع الخلاف بين رئيس الجمهورية نور محمد تراقي وبين رئيس وزرائه حفيظ الله أمين حول الحكم، وفي أوائل أيلول ١٩٧٩ م، انعقد مؤتمر عدم الانحياز في (هافانا) عاصمة كوبا ومرّ محمد نور تراقي بموسكو، فطلب منه بريجنيف أن يأخذ بابرك كارمل معه، فاعتذر تراقي بأن حفيظ الله أمين لا يقبله. فطلب الروس قتل حفيظ الله أمين، ودبّروا مؤامرةً لذلك، فأخبره أحد الضباط المرافقين لتراقي وهو (داود تارون).

وكانت المؤامرة تقضي بأن يقتل حفيظ الله أمين في المطار عند خروجه لاستقبال تراقي أثناء عودته.

أوكل حفيظ الله أمين لمدير الأمن العام (علي شاه بيمان) ضبط المطار أثناء الاستقبال، وجاء تراقي، ونجا أمين.

اجتمع السفير الروسي مع محمد نور تراقي في كابل وأرسلا وراء حفيظ الله أمين ليقتلوه، وأطلق كل منهما النار على الآخر، ولكن نجا كلاهما من سهم الثاني. وفي ٢٢ شوال ١٣٩٩ هـ (١٤ أيلول ١٩٧٩ م) اعتقل نور محمد تراقي، وتسلّم رئيس الحكومة حفيظ الله أمين رئاسة الجمهورية إضافةً إلى رئاسة الوزارة، وقد حمّل سلفه مسؤولية الأخطاء التي وقعت بها حكومة حزب خلق. ولكن لم يُعلن عن وفاة نور محمد تراقي إلا بعد ما يقرب من شهر في ١٨ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ (٩ تشرين الأول ١٩٧٩ م).

٢ ـ حفيظ الله أمين[1]:

بعد أن استلم الدولة أراد أن يظهر بمظهر المحايد فأعلن العفو عن جميع الذين غادروا البلاد، وعمل على تحسين علاقاته مع الدول المجاورة وخاصةً إيران وباكستان، وعمل على إصلاح المساجد التي هدّمها الشيوعيون.

---

(١) حفيظ الله أمين: ولد في مديرية بغمان عام ١٣٤٦ هـ، ودرس هناك المرحلة الابتدائية، وأتم المرحلة الثانوية في كابل في مدرسة ابن سينا، وأكمل المرحلة الجامعية في جامعة كابل. وعمل بعدها في التعليم فدرّس في المعهد العالي للمعلمين، ثم عُيّن مديراً لثانوية ابن سينا، وابتعث إلى جامعة كولومبيا في نيويورك فنال درجة الماجستير في الفيزياء، ترأس اتحاد الطلاب البشتونيين. وفاز في انتخابات ١٣٨٧ هـ الأولى والثانية عن مديرية بغمان، بقي في الحكم ثلاثة أشهر، يتقن اللغتين الروسية والإنكليزية إضافةً إلى لغته.

أخذ الشيوعيون يُوجهون النقد الدائم لحزب خلق، وهذا ما أضعفه، وجعل أنظار كافة الشيوعيين ورفاقهم تتجه نحو حزب (برشام) الحزب الشيوعي الآخر، وفي الوقت نفسه زادت المقاومة الداخلية التي تشمل الأحزاب والفئات والعناصر الإسلامية، وبدأ الصراع.

كان أسد الله أمين ابن أخي رئيس الجمهورية رئيساً لمكتب المخابرات فجرى هجوم عنيف عليه في الأول من شهر صفر ١٤٠٠ هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٧٩ م)، وقد أُصيب بجروح بليغة، وفي اليوم نفسه جرى هجوم على القصر الجمهوري، ووقع عدد من الضحايا، ولكن رئيس الجمهورية لم يُصب بأذىً. ونتيجة هذه الأحداث تسلّم الروس إدارة العاصمة وتسيير الشؤون فيها، غير أن الأمر قد صعب على الضباط الأفغانيين فحاولوا مقاومة ذلك، ووقعت صدامات بينهم وبين الروس في الخامس من صفر عام ١٤٠٠ هـ.

كان الروس غير راضين عن سياسة حزب خلق رغم شيوعيته إذ لا يرغبون بشيوعية تخرج عن دائرة فلكهم قيد أنملة، ولكن يجب أن تكون رهن إشارتهم، وطوع أمرهم، ولم يكن نور محمد تراقي ولا حفيظ الله أمين سوى رجال من هذا، وإن كانوا أقل بقليل، لذا لم يكن على روسيا - حسب سياستها - سوى الإطاحة بهم، وإعطاء السلطة لآخرين يدورون في فلكها، ويعدّون أنفسهم من أتباع موسكو كليةً، وكان حزب (برشام) الحزب الشيوعي الآخر من هذا النوع تقريباً، وكان زعيمه (بابرك كارمل)[1] لا يزال

(١) بابرك كارمل: ابن الجنرال محمد حسن أحد المقربين إلى الملك محمد ظاهر شاه، ولد في مديرية (بغرامي) من ولاية كابل عام ١٣٤٧ هـ، من أسرة غنية كانت على صلة بالأسرة الحاكمة، درس في المدرسة الألمانية، وحصل منها على الشهادة الثانوية عام ١٣٦٧ هـ، وسجن ثلاث سنوات لنشاطاته المعادية لقانون الصحافة، وتخرّج من كلية الآداب في جامعة كابل عام ١٣٨٠ هـ، وعمل مترجماً للغة الألمانية بوزارة التربية، كما درس الحقوق، وعمل في وزارة التخطيط من ١٣٧٧ - ١٣٨٥ هـ.

يعيش في (براغ) عاصمة تشيكوسلوفاكيا كلاجئ سياسي، أي تحت يد الروس. وقد هُيِّء هذا الحزب لاستلام السلطة في أفغانستان بعد ضعف حزب (خلق)، وعدم إعطاء الثقة التامة له من موسكو.

وفي يوم ٦ صفر ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ م) حدث هجوم على القصر الجمهوري، برئاسة وزير الدفاع محمد أسلم وطنجار، واعتقل رئيس الجمهورية حفيظ الله أمين، وفي اليوم التالي لقي حتفه، وعيّن (بابرك كارمل) رئيساً للجمهورية، وهو لا يزال في العاصمة التشيكية (براغ)، حيث تحرّك منها نحو كابل عن طريق موسكو، وألقى بياناً وهو في العاصمة الروسية[1] بصفته رئيساً لجمهورية أفغانستان، وأذيع البيان من موسكو على

= انتخب نائباً لحزب الشعب الديمقراطي عن ولاية كابل عام ١٣٨٥ هـ. وأسّس حزب (برشام) التقدمي الشيوعي، عندما انشق حزب الشعب الديمقراطي، ويعلن الانتماء لموسكو والارتباط بها، وذلك عام ١٣٨٧ هـ، وفي الوقت نفسه أسّس نور محمد تراقي حزب خلق، كما انشقت يومها مجموعة أخرى، وأصدرت صحيفة شيوعية تحمل اسم شعلة جاويد أي الشعلة الأبدية وتسير على النهج الصيني وكانت برئاسة طاهر بدخشي، وعرفت باسم (ستم ملي)، وكان انشقاقها عام ١٣٨٨ هـ. أيّد حزب برشام الإطاحة بالملك الأفغاني محمد ظاهر شاه عام ١٣٩٣ هـ، وألغيت الأحزاب عام ١٣٩٧ هـ، واندمج بعدها الحزبان الشيوعيان (برشام) و (خلق). ثم اعتقل قادة الأحزاب الشيوعية عام ١٣٩٨ هـ، ولكن لم يلبث أن قام الانقلاب الشيوعي، وعيّن بابرك كارمل نائباً لرئيس مجلس الثورة، ورئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة نور محمد تراقي. وفي عام ١٣٩٩ هـ عاد الانشقاق بين جناحي الحزب الشيوعي، وأُبعد بابراك عن بلاده، وعين سفيراً لبلاده في تشيكوسلوفاكيا، وبعد ثلاثة أشهر استدعي، واعتقل، وحوكم بتهمة خيانة ثورة نيسان، وأخرجه الروس، وحصل على حق اللجوء السياسي في براغ نتيجة التدخّل الروسي. وعندما نُصّب نجيب الله نفسه رئيساً للدولة في رمضان ١٤٠٦ هـ، فرّ إلى السفارة الهندية، ومنها إلى السفارة الروسية، ثم انتقل إلى طاشقند، ويعيش الآن في موسكو.

(١) وقيل إن البيان ألقي من مدينة (ترمذ) على نهر جيحون عند الحدود الأفغانية، والمهم أنه ألقي من داخل الأمبراطورية الروسية.

أنه من كابل، وأعلن أن سلفه حفيظ الله أمين كان عميلاً أمريكياً، هذا مع العلم أن روسيا قد ادّعت قبل يومين أن حفيظ الله أمين رئيس جمهورية أفغانستان قد طلب تدخّل الجيش الروسي لمساعدته بالقضاء على الثورة في داخل بلاده. ولما دخل الجيش الروسي أفغانستان ادّعت روسيا أن جيشها لم يدخل أفغانستان إلا بناءً على طلب رئيس الجمهورية الأفغانية، ومع هذا فقد ادّعى صنيعتها الجديد أن سلفه كان عميلاً أمريكياً.

٣ - بابرك كارمل:

وصل إلى كابل فوجد الروس قد سبقوه إليها، إذ عندما كان يذيع البيان كانت جيوشهم التي تزيد على ثمانين ألفاً تجتاز نهر جيحون، وأخذوا يُمارسون الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وهذا ما أثار السكان ضدّ الروس، وضدّ أعوانهم الذين يتسلّمون السلطة في البلاد.

دخل بابرك كارمل في دبابةٍ روسيةٍ أنموذج تي ٧٢.

بدأ النقل الجوي العسكري الضخم، وكانت تستعمل أكثر من ثلاثمائة طائرة نقلٍ ضخمةٍ لنقل الجنود والمعدات، والمؤن إلى كابل، وهاجمت القوات الروسية المحمولة جواً قصر الأمان، ومحطة الإذاعة، كما جرّدت هذه القوات وحدات الجيش الأفغاني من سلاحها.

وتلا ذلك إرسال أربعين ألف جندي روسي، توزّعوا على العواصم الإقليمية. وبحث موضوع التدخّل الروسي في أفغانستان في الأمم المتحدة، واتخذ قرار يدعو إلى الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الأجنبية، من أفغانستان، وكان التصويت ١٠٤ مقابل ١٨، ولكن هذا القرار غير جدي لذلك لم يكن شيء من نتائجه، وكذلك قرر وزراء خارجية الدول الإسلامية المجتمعين في إسلام أباد في باكستان: إن الغزو الروسي لأفغانستان يُشكّل مخالفةً صارخةً للقانون الدولي، غير أن هذا الكلام لم يسمعه سوى الذين صاغوه، لأنهم لا يملكون قوةً، ولو ملكوها ما استطاعوا استخدامها.

وكذلك تبنّت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة اقتراحاً تقدّمه باكستان يستنكر التدخل الروسي في أفغانستان، ولكن ليس هناك من عجب فالقضية تتعلق بالمسلمين، والأمم المتحدة تقع تحت وطأة الصليبية، فالقضايا تُسمع ويستجاب لها إن كانت ضدّ المسلمين وضدّ مصالحهم، وتُنفّذ ولو اضطر الأمر إلى استخدام القوة، وربما اجتمعت قوة العالم على ذلك، وقد تكون بينها قوات إسلامية نتيجة الارتباطات والمحاور والدوران بالأفلاك.

وتزايدت القوات الروسية في أفغانستان فوصل عددها إلى خمسة وسبعين ألفاً، وأخذت تستعمل الغازات السامة ضدّ المجاهدين، وضدّ السكان الآمنين أيضاً، وأعلنت الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها استنكارها كلامياً، ولكن لم تحرّك ساكناً، ولم يكن بإمكان السكان إلا الهرب من الجحيم الذي يعيشون فيه، هذا إن تمكّنوا من الفرار. فبلغ عدد اللاجئين الأفغان في باكستان في شوال ١٤٠٠ هـ (آب ١٩٨٠ م) أكثر من مليون، ونقص عدد القوات الأفغانية إلى النصف خلال سنةٍ واحدةٍ فبعد أن كان ثمانين ألفاً عام ١٣٩٩ هـ نقص إلى أربعين ألفاً عام ١٤٠٠ هـ.

الناس يفرّون من بلدهم خوفاً من الظلم وكرهاً من استبداد المعتدين الدخلاء، موظفو السلك السياسي في السفارات الأفغانية يطلبون اللجوء السياسي، موظفو شركة الطيران الأفغانية (أريانا) يهربون، ولاعبو كرة القدم يفرّون عندما يخرجون لمباراةٍ دوليةٍ خارج حدود بلادهم، الوفود السياسية تأبى العودة و. . .

وعاد الموضوع إلى الأمم المتحدة مع بداية عام ١٤٠١ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٠ م)، وصدر قرار يدعو إلى انسحاب القوى الأجنبية الشامل من أفغانستان (بأكثرية ١١١ صوتاً مقابل ٢٢ صوتاً وامتناع ١٢ صوتاً) ولكن كلام في كلام. وكان الانتقاد الإعلامي للمخالفات الروسية في استعمال المتفجرات المفخخة، والقصف العشوائي، ولكن من غير جدوى، وعاد

الموضوع بعد عامٍ للأمم المتحدة، ولكن كالسابق من غير فائدةٍ سوى التصويت.

فوج من الجيش الأفغاني يفرّ من المعركة بصورةٍ جماعيةٍ أمام المجاهدين في (شاريكار) شمال كابل، وتتمرّد قطعات من الجيش في موقع (نضرشاه ـ كوت) في مقاطعة (باكتيا الجنوبية الشرقية) ثم تفرّ إلى باكستان.

وهرب مئات من الجنود الأفغانيين من الفرقة الخامسة والعشرين إلى باكستان بعد أن تمرّدوا على قادتهم وقتلوا ضباطاً روساً وأفغانيين، وانضمام أعداد من الجنود الأفغان إلى المجاهدين.

وما جاء عام ١٤٠٠ هـ إلا وقد قتل مليون مسلمٍ على يد القوات الروسية، وقوات عملائها، وبلغ عدد القوات الروسية في أفغانستان عام ١٤٠٢ هـ ما يزيد على مائة وخمسة آلاف جندي.

وفي ٧ رمضان ١٤٠٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٨٢ م) تمّ عقد اتفاقية بين موسكو وكابل لمدة خمس سنوات تعهدت فيها موسكو تأمين الخبراء والمعدات والتدريب لكابل، وبعد شهر قدمت موسكو هديةً للأفغان ١٥٠٠ دبابة ومستشفى يضمّ مائتي سرير.

وكان الروس يتهمون باكستان بإثارة المجاهدين الأفغان على نظام كابل العميل للروس، وبدأت المحادثات تجري في جنيف بين باكستان وبين النظام الأفغاني الخاضع للروس، وقد بدأت هذه المحادثات في ٢٨ رمضان ١٤٠٢ هـ (١٩ تموز ١٩٨٢ م) واستمرت حتى وقعت الاتفاقية بين الطرفين في ٢٧ شعبان عام ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م).

٤ ـ نجيب الله محمد[1]:

كان رئيس الاستخبارات الأفغانية ـ خاد ـ في عهد بابرك كارمل فتمكّن

(١) نجيب الله محمد: ولد في (مراد خانة) إحدى ضواحي العاصمة وذلك عام ١٣٦٦ هـ، وأصله من ولاية (بكتيا).

لنفسه، وهو صاحب أطماع، ويجيد المناورة، والظهور بمظهر المسالمة، ومحبة الوصول إلى نتيجة مع المحاور كلها.

وفي رجب ١٤٠٥ هـ (نيسان ١٩٨٥ م) دعت الحكومة إلى انعقاد الجمعية الوطنية (لويا جيرغاه) التي صادقت على دستورٍ جديدٍ لأفغانستان، وعيّن عضو من خارج حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني رئيساً لجبهة (وطن الأجداد الوطنية)، وجرت الانتخابات لاختيار أعضاء الحكومات المحلية الجدد (وزعمت الحكومة أن ٦٠٪ ممن تم انتخابهم لم يكونوا حزبيين)، كما عيّن عدة أعضاء غير حزبيين في مناصب حكومية رفيعة، وذلك في محاولةٍ لتوسعة قاعدة الحكم.

وأصبح نجيب الله محمد أميناً عاماً لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، واحتفظ بابرك كارمل برئاسة المجلس الثوري، وإن كان منصباً أدنى من منصب نجيب الله محمد.

أعلن نجيب الله محمد عن تشكيل قيادةٍ جماعية تضمّ كلاً: نجيب الله محمد، وبابرك كارمل، وسلطان علي كشتمند.

أعفي بابرك كارمل من مناصبه الحزبية والحكومية كلها، وأصبح محمد تشامكاني نائب رئيس المجلس الثوري، وهو من خارج حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وكان ذلك المنصب محدداً بإعلان دستورٍ جديدٍ، وتشكيل هيئةٍ تشريعيةٍ دائمةٍ.

وفي ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ (كانون الأول ١٩٨٦ م) صادقت اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني في جلستها المكتملة على اتباع سياسة مصالحةٍ وطنيةٍ تضمّنت إجراء مفاوضات مع جماعات المعارضة، وتشكيل حكومة وحدةٍ وطنيةٍ ائتلافيةٍ.

وفي أوائل جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ (أوائل كانون الثاني ١٩٨٧ م)

تشكلت هيئة استثنائية عليا للمصالحة الوطنية برئاسة عبد الرشيد هاتف، وهو رئيس اللجنة الوطنية لجبهة وطن الأجداد الوطنية، لإجراء المفاوضات. وأعيدت تسمية جبهة وطن الأجداد الوطنية فأصبحت «الجبهة الوطنية»، وغدت تنظيماً مستقلاً عن حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني. وأحرزت سياسة المصالحة الجديدة بعض الدعم من خصوم سابقين كانوا ضمن المعارضة، ولكن تحالف أحزاب المجاهدين السبعة المعروف باسم «الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان» رفض التقيد بوقف إطلاق النار، والمشاركة في المفاوضات في الوقت الذي استمر فيه بالمطالبة بانسحاب الروس الكامل وغير المشروط.

وأعلن في ذي القعدة ١٤٠٧ هـ (تموز ١٩٨٧ م) عن إجراء تطورات مهمة وذلك كنوعٍ من الدعاية وكسب التأييد، والحرب الإعلامية إذ أذيع أنه جزء من عملية المصالحة الوطنية، فأعلن عن السماح بتشكيل أحزاب سياسية أخرى لكن ضمن شروط معينة. كما أعلن الرئيس نجيب الله محمد عن استعداد حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني لاقتسام السلطة مع ممثلي جماعات المعارضة في حالة تشكيل حكومة وحدة وطنية ائتلافية.

وتمت المصادقة على مسودة دستورٍ جديدٍ من قبل اللجنة التنفيذية الدائمة للمجلس الثوري، ومن بين الأفكار الرئيسية الحديثة التي تضمنتها مسودة الدستور: تشكيل نظام سياسي متعدد الأحزاب برعاية الجبهة الوطنية، وتشكيل هيئة تشريعية تتألف من مجلسين تشريعيين، وتسمى ملي شورى (مجلس الشورى) أي أن الجمعية الوطنية تتألف من مجلسي الشيوخ والنواب، ومنح حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني وضعاً دستورياً دائماً، ومنح رئيس الجمهورية الذي تستمر مدة رئاسته سبع سنوات سلطات لا حدود لها، وتعديل اسم الدولة من جمهورية أفغانستان الديمقراطية إلى جمهورية أفغانستان، وأقرّت الجمعية الوطنية الدستور الجديد في ربيع الأول عام ١٤٠٨ هـ (تشرين الثاني ١٩٨٧ م).

جرت انتخابات محلية في أنحاء البلاد في مطلع عام ١٤٠٨ هـ (آب ١٩٨٧ م)، وانتخب عدد ليسوا أتباعاً لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني.

وفي ١٠ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٨٧ م) تم انتخاب نجيب الله محمد بالإجماع رئيساً للمجلس الثوري، كما انتخب محمد تشامكاني نائباً للرئيس. وحتى يتمكن الرئيس من تقوية مركزه أقصى جميع مؤيدي الرئيس السابق بابراك كارمل الباقين في اللجنة المركزية والمكتب السياسي (اللجنة التنفيذية) لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني. وبعد شهر انتخبت الجمعية الوطنية بالإجماع نجيب الله محمد رئيساً للجمهورية.

وفي شعبان عام ١٤٠٨ هـ (نيسان ١٩٨٨ م) جرت انتخابات جمعية وطنية جديدة بمجلسي الشيوخ والنواب، وحلّت محلّ المجلس الثوري غير أن المجاهدين قد قاطعوا هذه الانتخابات لعلمهم أنها ليست سوى محاولة لتضليل الأمة. وقد تركت الحكومة خمسين مقعداً شاغراً في مجلس النواب من أصل ٢٣٤ مقعداً، كما أبقت عدداً قليلاً من مقاعد مجلس الشيوخ أملاً في أن يتخلّى المجاهدون عن موقفهم. وقد حصل حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني على ٤٦ مقعداً فقط في مجلس النواب، وحصلت الجبهة الوطنية على خمسة وأربعين مقعداً، وهي تؤيد حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني. كما حصلت أحزاب يسارية مؤيدة على ٢٤ مقعداً.

وفي رمضان ١٤٠٨ هـ (أيار ١٩٨٨ م) أصبح محمد حسن شرق رئيساً للوزراء محل سلطان علي كشتمند، ومحمد حسن شرق ليس من أعضاء حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني ومع ذلك فقد كان يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء منذ عشرة أشهر. وبعد شهرين أي في ذي القعدة ١٤٠٨ هـ (تموز ١٩٨٨ م) عُيّنت وزارة جديدة.

وفي ١٣ رجب ١٤٠٩ هـ (١٨ شباط ١٩٨٩ م) أي بعد انسحاب الروس من أفغانستان بثلاثة أيام أجرى الرئيس نجيب الله محمد تعديلاً وزارياً على الحكومة استبدل فيه الوزراء غير الشيوعيين بوزراء موالين من حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وفي اليوم نفسه استقال رئيس الوزراء محمد حسن شرق الذي يعدّ أحد دعائم فكرة المصالحة الوطنية، وحلّ مكانه سلطان علي كشتمند رئيس الوزراء السابق.

وبعد إعلان الرئيس عن حالة الطوارئ ادعى أن ذلك كان بسبب الانتهاكات المتكررة لاتفاقية جنيف بين باكستان والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ١٤ رجب ١٤٠٩ هـ (١٩ شباط ١٩٨٩ م) أعلن تشكيل مجلس أعلى للدفاع عن أرض الوطن، ويتألف من عشرين عضواً، ويهيمن عليه حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وبرئاسة الرئيس نجيب الله محمد، ويضمّ الوزراء، وأعضاء المكتب السياسي (اللجنة التنفيذية)، والشخصيات العسكرية الرفيعة، وأنيطت بهذا المجلس المسؤولية الكاملة عن سياسة البلاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية (رغم استمرار مجلس الوزراء بعمله).

وفي ٢٥ شعبان ١٤٠٦ هـ (٤ أيار ١٩٨٦ م) نصّب نجيب الله محمد نفسه رئيساً للدولة بمساعدة رئيس الوزارة سلطان علي كشتمند على حين فرّ سلفه بابرك كارمل إلى السفارة الصينية، ومنها إلى السفارة الروسية، وخرج بتدبير من الروس إلى (طاشقند)، ثم انتقل إلى موسكو حيث عاش في بيت فخم.

وفي عهد الرئيس نجيب الله محمد ـ كما ذكرنا ـ تم التوقيع على اتفاقية جنيف، وقد جاءت كما يلي:

اتفاق ثنائي

بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول مبادئ العلاقات لاسيما بشأن عدم التدخل أو المداخلة. إن جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية، المشار إليهما أدناه بأنهما الطرفان السّاميان. رغبةً منهما في تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار والتعاون، وكذلك دعم السلم والأمن العالميين في المنطقة، وإذ تريان أن التقيد التام بمبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية والخارجية للدول يتسم بأكبر الأهمية في صيانة السلم والأمن الدوليين وفي أعمال مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وإذ تؤكدان الحقوق غير القابلة للتصرّف للدول في الاختيار الحرّ لنظمها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفقاً لما ترغب فيه شعوبها، دون تدخّلٍ خارجيٍ، أو تخريبٍ أو قسرٍ أو تهديدٍ بأي شكل من الأشكال، وإذ تضعان في اعتبارهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة وكذلك القرارات التي اعتمدتها الأمم المتحدة بشأن مبدأ عدم التدخّل ولا سيما إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون فيما بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة المؤرخ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٠ وكذلك إعلان عدم قبول التدخّل في الشؤون الداخلية للدول المؤرخ في كانون الأول ١٩٨١ اتفقتا على ما يلي:

---

* درس المرحلة الثانوية في مدرسة (حبيبة)، والتحق بكلية الطب في جامعة كابل عام ١٣٨٤ هـ، وتخرج منها عام ١٣٩٥ هـ، وقد رسب ثلاث سنوات، وتعلّم بعض مراحل دراسته في باكستان عندما كان أبوه ملحقاً تجارياً في القنصلية الأفغانية في مدينة (بيشاور)
انضم إلى الحزب الشعبي الديمقراطي منذ بداية تأسيسه عام ١٣٨٥ هـ، وعُيّن سفيراً لبلاده في طهران، وسُحبت منه الجنسية الأفغانية فلجأ إلى تشيكوسلوفاكيا بجواز سفر مُزوّر، ومنها انتقل إلى موسكو، ومن هناك نقل إلى كابل على متن طائرة روسية ليلة تدخّل الروس في أفغانستان في ٨ صفر عام ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون أول ١٩٧٩ م)، وعُيّن رئيساً لجهاز الاستخبارات ـ خاد ـ أيام بابرك كارمل، وهو من قبائل البشتو.

المادة الأولى

تنشأ العلاقات بين الطرفين المتعاقدين الساميين في كنف التقيد التام بمبادىء عدم تدخّل الدول في شؤون غيرها من الدول الأخرى.

المادة الثانية

تنفيذاً لمبدأ عدم التدخّل يتعهد كل طرفٍ سامٍ بالتقيد بالالتزامات التالية:

"١" ـ احترام السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية للطرف السامي المتعاقد الآخر وأمنه وعدم انحيازه، وكذلك الهوية الوطنية لشعبه وثقافته وتراثه.

"٢" ـ احترام الحق السيادي وغير القابل للتصرف للطرف المتعاقد السامي الآخر في أن يختار بحرية نظمه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفي تنمية علاقاته الدولية وممارسته السيادة الدائمة على موارده الوطنية وفقاً لرغبة شعبه ودون تدخّل خارجيٍ ولا تخريبٍ أو إكراه أو تهديد بأي شكلٍ من الأشكال.

"٣" ـ الامتناع عن استخدام أو التهديد باستخدام القوة بأي شكلٍ من الأشكال حتى لا يخترق أي منهما حدود الآخر أو يُعطّل النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي للطرف المتعاقد السامي الآخر، ولا يقلب أو يُغيّر النظام السياسي للطرف المتعاقد السامي الآخر ولا حكومته ولكي لا ينشب في توتر بين الطرفين المتعاقدين الساميين.

"٤" ـ ضمان كون إقليمه لا يستخدم بأي طريقة من الطرق من شأنها انتهاك سيادة الطرف المتعاقد السامي الآخر أو استقلاله السياسي أو سلامته

الإقليمية أو وحدته الوطنية أو يعطل استقراره السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

"٥" ـ الامتناع عن التدخّل المسلح والتخريب والاحتلال العسكري أو أي شيء، من أشكال التدخل المكشوف أو المقنع الذي يستهدف الطرف المتعاقد السامي الآخر، أو أي من أعمال التدخل العسكري أو السياسي أو الاقتصادي في الشؤون الداخلية للطرف المتعاقد السامي الآخر، بما في ذلك أعمال رد الفعل التي تنطوي على استخدام القوة.

"٦" ـ الامتناع عن أي عملٍ أو محاولةٍ بأي شكلٍ من الأشكال أو بأي عذرٍ من الأعذار ترمي إلى زعزعة أو تقويض استقرار الطرف المتعاقد السامي الآخر أو أي من مؤسساته.

"٧" ـ الامتناع عن تشجيع أو تأييد أنشطة التمرّد أو الانفصال المباشرة أو غير المباشرة الموجهة ضد الطرف المتعاقد السامي الآخر بأي عذرٍ من الأعذار أو أي عملٍ آخر يرمي إلى تفتيت الوحدة أو تقويض أو هدم النظام السياسي للطرف السامي المتعاقد الآخر.

"٨" ـ الامتناع عن القيام في حدوده الإقليمية بتدريب أو تجهيز أو تمويل أو استئجار مرتزقة أياً كان منشؤهم لغرض القيام بأنشطة عدائية ضدّ الطرف المتعاقد السامي الآخر أو إرسال أولئك المرتزقة إلى إقليم الطرف المتعاقد السامي الآخر والإحجام تبعاً لذلك عن منح تسهيلات بما فيها التسهيلات المالية والتدريبية والتجهيزية وتسهيلات العبور لأولئك المرتزقة.

"٩" ـ الامتناع عن إبرام أية اتفاقات أو ترتيبات مع دولٍ أخرى تستهدف التدخل في الشؤون الداخلية أو الخارجية للطرف المتعاقد السامي الآخر.

"١٠" – الإحجام عن القيام بحملات سلب وطعن أو دعاية مغرضة لغرض التدخّل في الشؤون الداخلية للطرف المتعاقد السامي الآخر.

"١١" – منع أي مساعدة إلى المجموعات الإرهابية أو المخربين أو العناصر الهدامة ضد الطرف المتعاقد السامي الآخر وعدم استخدام هؤلاء وعدم السكوت عنهم.

"١٢" – عدم قيام الطرف المتعاقد السامي بأن يسمح في إقليمه حضور وإيواء أي أفرادٍ أو مجموعاتٍ سياسيةٍ أو غيرها من مخيمات أو قواعد والامتناع عن تنظيم وتدريب وتمويل وتجهيز وتسليح هؤلاء الأفراد والمجموعات لغرض إحداث الاضطراب والفوضى في إقليم الطرف المتعاقد السامي الآخر والقيام تبعاً لذلك بمنع استخدام الإعلام الجماهيري وعن نقل الأسلحة والذخائر والأجهزة من قبل هؤلاء الأفراد والمجموعات.

"١٣" – عدم اللجوء إلى أي إجراء من شأنه أن يعتبر تدخلاً وعدم السماح به.

المادة الثالثة

يبدأ نفاذ هذا الاتفاق في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

المادة الرابعة

إن أية خطوات قد تلزم بغية تمكين الأطراف المتعاقدة السامية من التقيد بأحكام المادة ٢ من هذا الاتفاق يجب استكمالها في التاريخ الذي يبدأ فيه نفاذ هذا الاتفاق.

المادة الخامسة

وضع هذا الاتفاق باللغات الإنكليزية والباشتو والأوردو وجميع النصوص متساوية في الحجية.

وفي حالة حدوث اختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

حُرّر من ٥ نسخ في جنيف في الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م.

(التوقيع أفغانستان وباكستان)

إعلان بشأن الضمانات الدولية

إن حكومتي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية إذ تُعبّران عن تأييدهما لقيام جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بإبرام تسويةٍ سياسيةٍ متفاوض عليها تستهدف تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار بين البلدين وحرصاً منهما على دعم السلم والأمن العالميين في المنطقة. ورغبةً منهما في المساهمة في تحقيق الأهداف التي رسمتها جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية رغبة تأمين احترام سيادتهما واستقلالهما وسلامتهما الإقليمية وعدم انحيازهما.

تتعهدان بالامتناع الصارم عن التدخّل بأي شكلٍ من الأشكال في الشؤون الداخلية لجمهورية أفغانستان ولجمهورية باكستان الإسلامية وباحترام الالتزامات التي يتضمّنها الاتفاق الثنائي المبرم بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية المتعلّق بمبادئ العلاقات الثنائية ولاسيما بشأن عدم التدخّل.

تحثان كافة الدول على أن تحذو حذوهما.

يبدأ نفاذ هذا الإعلان في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

حُرّر في جنيف، في اليوم الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م من خمس نسخٍ باللغتين الإنكليزية والروسية وكلا النصين يتساويان في الحجية.

(اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية)

اتفاق ثنائي

بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بشأن العودة الطوعية للاجئين.

إن جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان المشار إليهما أدناه على أنهما الطرفان المتعاقدان الساميان رغبةً منهما في تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار والتعاون وكذلك تقوية السلم والأمن الدوليين في المنطقة، واقتناعاً منهما بأن العودة الطوعية إلى الوطن والتي لا يقف في طريقها حاجز تُشكّل أهم حلٍّ لمشكلة اللاجئين الأفغانيين المتواجدين في جمهورية باكستان الإسلامية وقد تأكدتا من أن الترتيبات المتعلقة بعودة اللاجئين الأفغان مرضية بالنسبة لهما.

اتفقتا على ما يلي:

المادة الأولى

تتاح لكافة اللاجئين الأفغان المتواجدين مؤقتاً في إقليم جمهورية باكستان الإسلامية فرصةً للعودة الطوعية إلى ديارهم وفقاً للترتيبات والشروط المنصوص عليها في هذا الاتفاق.

المادة الثانية

تقوم حكومة جمهورية أفغانستان باتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لتأمين الظروف التالية للعودة الطوعية للاجئين الأفغان إلى ديارهم:

أ ـ يسمح لكافة اللاجئين بالعودة بحرية إلى ديارهم.

ب ـ يتمتع جميع العائدين بالاختيار الحر لمكان إقامتهم وبحرية الحركة داخل جمهورية أفغانستان.

ج ـ يتمتع جميع العائدين بحق العمل وبظروف معيشةٍ ملائمةٍ وبنصيب من رعاية الدولة.

د ـ يتمتع جميع العائدين بحق المشاركة على قدم المساواة في الشؤون المدنية لجمهورية أفغانستان. وتؤمن لهم مزايا متساوية نتيجة لحل المسألة المتعلّقة بالأراضي بالاستناد إلى إصلاح الأراضي والمياه.

هـ ـ يتمتع جميع العائدين بنفس الحقوق والامتيازات بما في ذلك حرية الدين وعليهم نفس الالتزامات والواجبات التي على أي مواطن آخر في جمهورية أفغانستان دون تمييز.

تتعهد حكومة جمهورية أفغانستان بتنفيذ هذه التدابير وبتوفير كافة شروط المساعدة في عملية إعادة التوطين وذلك في حدود إمكاناتها.

المادة الثالثة

تقوم حكومة جمهورية باكستان الإسلامية بتسهيل العودة الطوعية والمنظمة وفي كنف السلم لجميع اللاجئين الأفغان الباقين في إقليمها وتتعهد بتوفير المساعدة اللازمة لعملية التوطين وذلك في حدود إمكاناتها.

المادة الرابعة

لغرض تنظيم وتنسيق ورصد العمليات التي ستيسر العودة الطوعية والمنظمة وفي كنف السلم للاجئين الأفغان ستنشأ لجان مختلطة وفقاً للممارسة الدولية المعمول بها.

يكون أعضاء هذه اللجان والموظفون المكونون لها متمتعين، في أدائهم لوظائفهم، بالتسهيلات اللازمة وتيسر لهم سبل الوصول إلى المناطق المعنية داخل إقليمي الطرفين المتعاقدين الساميين.

المادة الخامسة

بغية تيسير الحركة المنظمة للعائدين تقوم اللجان بتحديد نقاط عبور حدودية وبإنشاء مراكز العبور اللازمة. كما تقوم بإنشاء كافة الطرائق الأخرى

اللازمة للعودة التدريجية للاجئين بما في ذلك تسجيل أسماء اللاجئين اللذين أعربوا عن الرغبة في العودة وإبلاغ تلك الأسماء إلى بلد العودة.

المادة السادسة

بناء على طلب الحكومتين المعنيتين يقوم مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين بتوفير التعاون والمساعدة في عملية العودة الطوعية للاجئين وفقاً لهذا الاتفاق ويمكن أن تبرم اتفاقات خاصة لهذا الغرض بين مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والطرفين المتعاقدين الساميين.

المادة السابعة

يبدأ نفاذ هذا الاتفاق في ١٥ أيار ١٩٨٨ م. وفي تلك الأثناء تنشأ اللجان المختلطة المنصوص عليها في المادة الرابعة وتبدأ العمليات الرامية إلى العودة الطوعية للاجئين بموجب هذا الاتفاق.

تبقى الترتيبات المنصوص عليها في المادتين الرابعة والخامسة أعلاه نافذة لمدة ثمانية عشر شهراً. وبعد تلك الفترة يقوم الطرفان المتعاقدان الساميان باستعراض نتائج إعادة التوطين وينظران، عند اللزوم، في أية ترتيبات إضافية قد يلزم اتخاذها.

المادة الثامنة

وضع هذا الاتفاق باللغات الإنكليزية، والباشتو، والأوردو وجميع النصوص متساوية في الحجية. وفي حالة اختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

حُرّر في خمس نسخ أصلية في جنيف في اليوم الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م.

(توقيع أفغانستان وباكستان)

اتفاق بشأن
نواحي الترابط لتسوية الحالة المتصلة بأفغانستان

١ ـ إن المساعي الدبلوماسية التي اضطلع بها الأمين العام للأمم المتحدة بتأييد من جميع الحكومات المعنية والتي هدفها تحقيق تسوية سياسية من خلال المفاوضات للحالة المتصلة بأفغانستان قد كللت بالنجاح.

٢ ـ وحيث قبلنا العمل من أجل تسوية شاملة تستهدف حل مختلف القضايا المعنية ووضع إطار يكفل حسن الجوار والتعاون فإن حكومة جمهورية أفغانستان وحكومة جمهورية باكستان الإسلامية شرعتا في مفاوضات من خلال وساطة الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة في جنيف في الفترة من ١٦ إلى ٢٤ حزيران ١٩٨٢ م. وفي أعقاب المشاورات التي أجراها الممثل الشخصي في استنبول وكابول وطهران في الفترة من ٢١ كانون الثاني إلى ٧ شباط ١٩٨٣ م تواصلت المفاوضات في جنيف من ١١ إلى ٢٢ نيسان ومن ١٢ إلى ٢٤ حزيران ١٩٨٣ م. وزار الممثل الشخصي المنطقة لإجراء مناقشات عالية المستوى من ٣ إلى ١٥ نيسان ١٩٨٤ م. وقد تمّ الاتفاق وقتئذٍ على تغيير إطار المفاوضات وعملاً بذلك جرت مفاوضات غير مباشرة من خلال الممثل الشخصي في جنيف في الفترة من ٢٤ إلى ٣٠ آب ١٩٨٤ م. وقام الممثل الشخصي بزيارة أخرى للمنطقة في الفترة من ٢٥ إلى ٣١ أيار ١٩٨٥ م سبقتها جولات إضافية من المحادثات غير المباشرة المعقودة في جنيف في الفترة من ٢٠ إلى ٢٥ حزيران ومن ٢٧ إلى ٣٠ آب ومن ١٦ إلى ١٩ كانون الثاني ١٩٨٦ م لإجراء مشاورات. وبدأت جولة نهائية من المفاوضات بوصفها محادثات غير مباشرة في جنيف في ٥ أيار ١٩٨٦ م، وعلقت في ٢٣ أيار ١٩٨٦ م، ثم استؤنفت في الفترة من ٣١ تموز إلى ٨ آب ١٩٨٦ م. وزار الممثل الشخصي المنطقة في الفترة من ٢٠ تشرين الثاني إلى ٣ كانون الأول ١٩٨٦ م لإجراء مفاوضات إضافية

واستؤنفت المحادثات في جنيف من جديد في الفترة من ٢٥ شباط إلى ٩ آذار ١٩٨٧ م ومن ٧ إلى ١١ أيلول ١٩٨٧ م وزار الممثل الشخصي المنطقة من جديد في الفترة من ٢ آذار إلى ٨ نيسان ١٩٨٨ م.

وتم تغيير إطار المفاوضات من جديد في ١٤ نيسان ١٩٨٨ م حينما وضعت الصكوك المنطوية على التسوية في شكلها النهائي وتبعاً لذلك جرت محادثات مباشرة في تلك المرحلة.

وقد أبقت حكومة جمهورية باكستان الإسلامية حكومة إيران على علمٍ بتقدم المفاوضات خلال المساعي الدبلوماسية.

ـ واشتركت حكومة جمهورية أفغانستان وحكومة جمهورية باكستان الإسلامية في المفاوضات بناءً على الاقتناع الصريح بأنهما تعملان وفقاً لحقوقهما والتزاماتهما بموجب ميثاق الأمم المتحدة واتفقتا على وجوب أن تستند التسوية السلمية إلى مبادىء القانون الدولي التالية:

المبدأ القائل بوجوب امتناع الدول في علاقاتها الدولية عن استخدام أو التهديد باستخدام القوة ضد السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي لأي دولةٍ أو بأي شكلٍ من الأشكال التي تنافي مقاصد الأمم المتحدة.

المبدأ القائل بوجوب أن تقوم الدول، في علاقاتها الدولية، بتسوية النزاعات بالوسائل السلمية بطريقة لا تعرض السلم والأمن الدوليين والعدالة للخطر.

واجب عدم التدخل في المسائل الداخلة في الولاية المحلية لأية دولة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

واجب الدول أن تتعاون بعضها مع بعض وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق السيادية وتقرير المصير.

مبدأ مساواة الدول في السيادة.

مبدأ قيام الدول بأن تُنفّذ عن حسن نية الالتزامات المأخوذة على عاتقها وفقاً لميثاق الأمم المتحدة. وأكدت الحكومتان كذلك حق اللاجئين الأفغان في العودة إلى ديارهم بطريقةٍ اختيارية دون مواجهة أي عراقيل.

٤ ـ وأبرمت الصكوك التالية في هذا التاريخ بوصفها مقومات للتسوية السياسية:

ـ اتفاق ثنائي بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول مبادىء العلاقات المتبادلة ولاسيما بشأن عدم التدخل.

إعلان بشأن الضمانات الدولية من جانب الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية.

ـ اتفاق ثنائي بين جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية حول العودة الطوعية للاجئين.

هذا الاتفاق المتعلق بنواحي الترابط فيما يتعلق بتسوية الحالة المتصلة بأفغانستان.

٥ ـ يبدأ نفاذ الاتفاق النهائي حول مبادىء العلاقات المتبادلة لاسيما بشأن عدم التدخل، والإعلان المتعلق بالضمانات الدولية، والاتفاق الثنائي بشأن العودة الطوعية للاجئين وهذا الاتفاق المتعلق بنواحي الترابط من أجل تسوية الحالة المتصلة بأفغانستان، في ١٥ أيار ١٩٨٨ م.

وطبقاً للجدول الزمني المتفق عليه بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وجمهورية أفغانستان سيكون هناك انسحاب مرحلي للقوات الأجنبية يبدأ في تاريخ بدء النفاذ المشار إليه أعلاه. تنسحب نصف القوات بحلول ١٥ آب ١٩٨٨ م وتنسحب بقية القوات بالكامل في غضون تسعة أشهر.

٦ – إن نواحي الترابط الواردة في الفقرة ٥ أعلاه، تم الاتفاق عليها بغية التحقيق الفعّال لغرض التسوية السياسية المتمثل في أنه اعتباراً من ١٥ أيار ١٩٨٨ م لن يكون هناك تدخل بأي شكل من الأشكال في شؤون الطرفين. وستنفذ الضمانات الدولية وستبدأ العودة الطوعية للاجئين إلى ديارهم وتنتهي في غضون الجدول الزمني المحدد في الاتفاق بشأن العودة الطوعية للاجئين ويبدأ الانسحاب المرحلي للقوات الأجنبية وينتهي في غضون الجدول الزمني المتوخّى في الفقرة ٥. ولذلك فإن من الأساسي أن تستوفى كافة الالتزامات المتولدة عن الصكوك المبرمة بوصفها مقومات التسوية وأن تتخذ كافة الخطوات اللازمة لتأمين التنفيذ الكامل بجميع أحكام الصكوك عن حسن نية.

٧ – وللنظر في الانتهاكات المزعومة وإيجاد الحلول العاجلة والمقبولة للطرفين للمسائل التي قد تنشأ نتيجةً لتنفيذ الصكوك التي تتألف منها التسوية، يعقد ممثلو جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية اجتماعات في أي وقتٍ يلزم.

ويقوم ممثل للأمين العام للأمم المتحدة ببذل مساعيه الحميدة لدى الطرفين ويساعد في هذا السياق، على عقد اجتماعات ويشارك فيها. ويجوز له أن يقدم للطرفين اقتراحات وتوصيات للنظر فيها والموافقة عليها وذلك من أجل التنفيذ السريع والأمين والكامل بأحكام الصكوك المذكورة. ولمساعدة ممثل الأمين العام على أداء مهامه، يعين ما يراه مناسباً من الموظفين لمعاونته ويخضعون لسلطته. ويقوم هؤلاء الموظفون، بناءً على مبادرة من الممثل أو طلب من أي طرفٍ، بتقصي أي انتهاكات يمكن أن تكون قد حدثت لأيٍ من أحكام الصكوك ويُعدّون تقريراً عن ذلك. ولهذا الغرض، يقدم التعاون اللازم للممثل ولموظفيه من الطرفين، بما في ذلك حرية التنقل داخل إقليم كل منهما لغرض التقصي الفعال. وأي تقرير يقدم

من الممثل إلى كلتا الحكومتين يجري النظر فيه في اجتماع يعقده الطرفان في أجلٍ لا يتجاوز ثمان وأربعين ساعة من تقديم التقرير.

وتوضع طرائق عمل الممثل والموظفين التابعين له والترتيبات اللوجستية لذلك على النحو المتفق عليه مع الطرفين في مذكرة التفاهم المرفقة بهذا الاتفاق والتي هي جزء منه.

٨ – يسجل هذا الصك لدى الأمين العام للأمم المتحدة وقد تم فحصه من قبل ممثلي الطرفين في الاتفاقات الثنائية وممثلي الدولتين الضامنتين اللذين أبديا موافقتهم على أحكامه. وقد قام ممثلو الطرفين المخولون حسب الأصول من قبل حكومتيهما، بالتوقيع أدناه. وقد كان الأمين العام للأمم المتحدة حاضراً.

حررت، في جنيف، في الرابع عشر من نيسان ١٩٨٨ م من خمس نسخ باللغة الإنكليزية والباشتو والفارسية وجميع اللغات متساوية في الحجية. وفي حالة الاختلاف في التفسير يسود النص الإنكليزي.

(التوقيع من أفغانستان وباكستان)

وإثباتاً لذلك، قام ممثلا الدولتين الضامنتين بالتوقيع أدناه.

(التوقيع من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة)

مرفق
مذكرة تفاهم

أولاً: متطلبات أساسية:

أ – يقوم الطرفان بتقديم التأييد الكامل والتعاون لممثل الأمين العام ولكافة الموظفين المكلفين بمساعدته.

ب – يتمتع ممثل الأمين العام والموظفون التابعون له بالتسهيلات اللازمة والمساعدة السريعة والفعالة بما في ذلك حرية التنقل والاتصالات

والنقل والمواصلات وغير ذلك من التسهيلات التي قد تكون لازمة للوفاء بمهامهم. وتتعهد كل من أفغانستان وباكستان بمنح هذا الممثل والموظفين التابعين له كافة الامتيازات والحصانات التي تنص عليها الاتفاقية المتعلقة بامتيازات وحصانات الأمم المتحدة.

ج ـ تكون أفغانستان وباكستان مسؤولتين عن أمن ممثل الأمين العام والموظفين التابعين له عند قيامهم بمهامهم في كلٍ من البلدين.

د ـ يتصرف ممثل الأمين العام والموظفون التابعون له في أدائهم لوظائفهم، بتجرد كامل. ويجب على ممثل الأمين العام والموظفين التابعين له عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من أفغانستان وباكستان وفي هذا السياق لا يمكن الاستعانة بهم لتحقيق امتيازات بالنسبة لأي من الطرفين المعنيين.

ثانياً: الولاية:

إن الولاية المتعلقة بترتيبات التنفيذ ـ المساعدة ـ المتوخاة في الفقرة ٧، مستقاة من الصكوك التي تتألف منها التسوية. وجميع الموظفين المكلفين بمعاونة ممثل الأمين العام سيحاطون، تبعاً لذلك، علماً بالأحكام ذات الصلة التي تتضمنها هذه الصكوك وبالإجراءات التي تستخدم للتأكد من أي انتهاك تتعرض له.

ثالثاً: طريقة التنفيذ وتنظيم الموظفين:

يقوم الأمين العام بتعيين موظف عسكري عالي الرتبة بوصفه وكيلاً لممثله يعين في المنطقة بوصفه رئيساً لوحدتين صغيرتين تؤلفان في المقر إحداهما في كابول والأخرى في إسلام أباد تتألف كل وحدة منهما من خمسة ضباط عسكريين ينتدبون من الضباط العاملين حالياً تحت راية الأمم المتحدة إلى جانب مجموعة ثانوية من الموظفين المدنيين.

يتصرف وكيل ممثل الأمين العام بوصفه نائباً للممثل، ويكون على اتصال بالأطراف من خلال ضابط اتصال يُعيّنه كل طرف لهذا الغرض.

يتم تنظيم وحدتي المقر باعتبارهما فريقي تفتيش للتأكد على عين المكان من أي انتهاك للوثائق التي تتألف منها التسوية. ويتم، في أي وقت يرى فيه ممثل الأمين العام أو وكيله أن من الضرورة بمكان تعين ما يصل إلى ٤٠ ضابطاً عسكرياً إضافياً (حوالي ١٠ مجموعات تفتيش إضافية) ينتدبون من الضباط العاملين حالياً تحت راية الأمم المتحدة في أقصر وقت ممكن (لا يتجاوز عادة ٤٨ ساعة).

تحدّد جنسيات الضباط بالتشاور مع الطرفين.

كما يقوم ممثل الأمين العام الذي سيقوم بصفة دورية بزيارة المنطقة بالتشاور مع الطرفين ولاستعراض عمل الموظفين التابعين له، وعندما يرى ضرورة ذلك، بتعيين الموظفين التابعين لمكتبه وغيرهم من الموظفين المدنيين من أمانة الأمم المتحدة إلى العمل في المنطقة حسب ما تدعو إليه الضرورة. ويقوم وكيله بالتنقل بين وحدتي المقر ويبقى كامل الوقت على اتصال وثيق به.

رابعاً: الإجراءات:

أ ـ التفتيشات التي تجري بناء على طلب الطرفين:

١ ـ الشكوى المتعلقة بانتهاك وثائق التسوية والمقدمة من أي من الطرفين ينبغي أن تقدم كتابياً باللغة الإنكليزية إلى وحدتي المقر المعنيتين، وينبغي أن تتضمن كافة المعلومات والتفاصيل ذات الصلة.

٢ ـ يقوم وكيل ممثل الأمين العام، عند تسلّمه الشكوى، بإبلاغ الطرف الآخر فوراً بالشكوى ويضطلع بالتحقيق بإجراء تفتيشات موقعية للحصول على شهادات ويستخدم أي إجراء آخر يراه ضرورياً لإجراء التحقيق في الانتهاك المزعوم.

ويجري مثل هذا التحقيق باستخدام الموظفين التابعين للمقر كما هو مشار إليه أعلاه ما لم يرى وكيل ممثل الأمين العام أن مجموعات إضافية تلزم لهذا الغرض وفي هذه الحالة يقوم الأطراف بموجب مبدأ حرية التنقل العام بالسماح للموظفين الإضافيين بالوصول الفوري إلى الأقاليم المعنية.

٣ – يتم إعداد التقارير المتعلقة بالتحقيقات باللغة الإنكليزية وتقدم من جانب وكيل ممثل الأمين العام إلى الحكومتين في كنف السرية. (وتقدم نسخة ثالثة من التقرير في نفس الوقت على أساس سري إلى مقر الأمم المتحدة في نيويورك وذلك لإطلاع الأمين العام وممثله لا غير) وطبقاً للفقرة ٧ ينبغي أن ينظر في التقرير المتعلق بالتحقيق في اجتماع يعقده الطرفان في أجل لا يتأخر عن ٤٨ ساعة من تقديمه. ويقوم وكيل ممثل الأمين العام، في غياب الممثل، يبذل مساعيه الحميدة لدى الأطراف وفي هذا السياق يساعد في تنظيم الاجتماعات ويشترك فيها.

وفي سياق تلك الاجتماعات يجوز لوكيل ممثل الأمين العام أن يقدم إلى الطرفين اقتراحات وتوصيات لينظر فيها ويوافق عليها بسرعة وأمانة وفي كنف التقيد التام بأحكام الصكوك (ويجب بطبيعة الحال أن يجيز ممثل الأمين العام مثل الاقتراحات والتوصيات التي يجري إعدادها بالتشاور معه).

ب – التفتيشات التي تجري بناءً على مبادرة وكيل ممثل الأمين العام:

بالإضافة إلى التفتيشات التي يطلب الأطراف إجراءها يجوز لوكيل ممثل الأمين العام أن يضطلع، بناءً على مبادرة منه وبالتشاور مع الممثل، بتفتيشات يرى وجوب إجرائها لغرض تنفيذ الفقرة ٧. وإذا رئي أن الاستنتاجات التي تم التوصل إليها أثناء التحقيق تبرر إعداد تقرير إلى الطرفين يستخدم نفس الإجراء المتبع في تقديم التقارير فيما يتصل بالتفتيشات التي تجري بناءً على طلب الطرفين.

مستوى المشاركة في الاجتماعات:

يقوم وكيل ممثل الأمين العام، كما هو مبين أعلاه، بالاشتراك في الاجتماعات التي يعقدها الطرفان لغرض النظر في التقارير المتعلقة بالانتهاكات، وإذا ما قرر الأطراف الاجتماع للغرض المبين في الفقرة ٧، على مستوى سياسي عالٍ يحضر ممثل الأمين العام مثل هذه الاجتماعات.

خامساً: المدة:

يتم تعيين وكيل ممثل الأمين العام والموظفين الآخرين التابعين له في المنطقة في أجل لا يتجاوز ٢٠ يوماً قبل بدء نفاذ هذه الصكوك. وتنتهي الترتيبات في غضون شهرين تاليين لاستكمال كافة الأطر المتوخاة لتنفيذ الصكوك.

سادساً: التمويل:

تتحمل الحكومتان المعنيتان تكلفة كافة التسهيلات والخدمات الواجب تقديمها من الطرفين. أما مرتبات وتكاليف سفر الموظفين من المنطقة وإليها وكذلك تكاليف الموظفين المحليين الذين كلفوا بمهام في وحدات المقر فستحملها الأمم المتحدة.

ولكن المجاهدين رفضوا هذه الاتفاقية إذ لم يحضروها رغم أنهم العنصر الأساسي فيها، بل لم يفكروا بها، ولم تكرس الأمم المتحدة لها هذا الوقت، ولم تشغل بال الدولتين الكبريين يومذاك لولا وجودهم. وكانت روسيا قد وضعت لانسحاب قواتها مدة خمسة وأربعين شهراً. ثم تراجعت أولاً وثانياً حتى بقيت المدة تسعة أشهر تنتهي في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م) وعندها ينتهي انسحاب القوات الروسية من أفغانستان. وبدأ الانسحاب فعلاً في ٢٩ رمضان ١٤٠٨ هـ (١٥ أيار ١٩٨٨ م) وأول الانسحاب كان من مدينة (جلال آباد).

سياسة الحكم الشيوعي:

عمل الشيوعيون في أفغانستان على نقل مجموعاتٍ من السكان من الشمال وخاصةً من ولاية (بغمان) إلى وادي (هلمند) في الجنوب، بدعوى أنهم قد منحوهم أرضاً هناك، والواقع لمنع حركتهم واتصالهم بالمجاهدين.

وكان عملاء المخابرات الأفغانية الخاصة ـ خاد ـ ينتقلون إلى مخيمات اللاجئين، ويدّعون أنهم من التجار، أو أهل الدين، أو المجاهدين، ويعملون على إثارة الخلافات بين اللاجئين في باكستان، أو بينهم وبين الباكستانيين، ويلجؤون أحياناً إلى تقديم الرشوة لشراء المخدرات، والخمور، والأحجار الكريمة وتهريبها إلى داخل باكستان لإثارة الشبهة، وحمل الباكستانيين على كرههم، وعدم التعاون معهم، وحمل الحكومة على طردهم وعدم مساعدتهم.

وألغى الشيوعيون التعليم الديني في أفغانستان، ووضعوا مناهج تتفق ومبادئهم من إلحادٍ، وأخوة مع الروس، وفرضوا تعليم اللغة الروسية، وحالوا دون تعليم العربية، وكانوا يرسلون الناشئة إلى روسيا للتدريب الحزبي، ولإفسادهم، وتغيير أفكارهم، وتنشئتهم على الإلحاد وحب الروس والشيوعية.

وكان نجيب الله محمد الرئيس الأفغاني يدعو إلى السلام في سبيل تخفيف الضغط عن نظامه، فتارةً يُطالب بتشكيل جبهةٍ ائتلافيةٍ تضمّ مختلف الفئات السياسية، وتارةً أخرى يُنادي بعودة الملك السابق محمد ظاهر شاه لمشاركته في وزارةٍ انتقالية، وهو يعرف أن بعض الجبهات الجهادية، والمجموعات الشيعية تؤيّد ذلك فيريد استغلال هذه الدعوة وبخاصةٍ أن الروس والأمريكان يفضّلون عودة الملك السابق. وفي كل مرةٍ يشعر أن العمل مع حزبه «حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني» غير مرغوب فيه، إذ أن الشعب يمقت هذا الحزب الأمر الذي جعله يلجأ إلى تغيير هذا الاسم،

فشكّل حزباً جديداً أطلق عليه «حزب الوطن»، ولكن بعناصر شيوعية من حزبه السابق نفسه «الشعب الديمقراطي» بجناحيه (خلق) و (برشام)، وبالحقيقة غيّر اسم الحزب في سبيل امتصاص نقمة الشعب على الحزب. ومن العناصر التي وضعها واجهة لهذا الحزب:

من جناح (برشام) الجناح الذي ينتمي إليه الرئيس الأفغاني نفسه، وإضافة إليه، نائبه (فريد أحمد مزدك)، و (نجم الدين كاوياني)، و (سليمان لايق)، و (سلطان علي كشتمند) رئيس الوزراء، و (عبدالوكيل) وزير الخارجية، و (محمود بريالي) شقيق الرئيس الأفغاني السابق بابرك كارمل، والجنرال (محمد رفيع)، والجنرال (غلام فاروق يعقوبي) و (سيد إكرام باي كير) و (فضل حق خالقيار) رئيس الوزراء الجديد، و (سرور منجل) نائب رئيس الوزراء.

ومن جناح خلق: (نظر محمد) و (راز محمد باكتين) والجنرال (محمد أسلم وطنجار)، و (عبدالقدوس غوربندي) و (عبدالقيوم نورزي) نائب رئيس الوزراء.

كذلك دعا الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد إلى تشكيل جبهة السلام، وهذا كله في سبيل فكّ العزلة عن حزبه وحكمه، وكانت هذه الألاعيب معروفةً للجميع لذا لم تجد أذناً صاغيةً ولا اهتماماً لدى السياسيين.

وأصدر نجيب الله محمد عام ١٤٠٧هـ دستوراً للبلاد بقصد المصالحة الوطنية، وعمل على تشكيل جبهةٍ وطنيةٍ لجمهورية أفغانستان تكون هيئةً سياسيةً واجتماعيةً عليا للأحزاب السياسية، ولكن رفضت الجماعات والأحزاب في داخل أفغانستان من خارج الحزب الشيوعي الانضمام إليها.

ورغم انسحاب الروس فقد بقي النظام القائم في أفغانستان يتلقى

الدعم الروسي، المادي، والعسكري، ويُوفِّر له الروس الخبراء والمعدات والحماية، إذ كثيراً ما قصف الطيران الروسي مواقع المجاهدين لصالح الحكم الشيوعي، إضافةً إلى تبادل المعلومات الدائمة بين الطرفين.

وفي ٥ رمضان ١٤١٠ هـ (٣١ آذار ١٩٩٠ م) أصدر الرئيس الأفغاني مرسوماً بإعادة جميع الممتلكات التي استولت عليها الحكومة فيما سبق لأصحابها كتشجيع لعودة اللاجئين ليكونوا تحت سلطانه لا تحت قيادة المجاهدين، ولكن لم يقنعْ أحد بالعودة إذ لا يأمن الناس للشيوعيين ولا يثقون بكلامهم.

ورغم كل ما فعله الرئيس الأفغاني من دعوة للمصالحة وتقديم التنازلات ـ حسب زعمه ـ لكن لم يُرضِ أحداً بل إن الجناح الثاني من حزبه، وهو جناح خلق قد عمل على الإطاحة به ثلاث مرات خلال تسعة أشهر.

١" ـ جرت محاولة انقلاب في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (١ تموز ١٩٨٩ م).

٢" ـ جرت محاولة انقلاب في ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٨ كانون أول ١٩٨٩ م).

٣" ـ جرت محاولة انقلاب في ٩ شعبان ١٤١٠ هـ (٦ آذار ١٩٩٠ م). بقيادة الجنرال (شاه نواز تاناي)[1] الذي تسلّم وزارة الدفاع بعد

---

(١) الجنرال شاه نواز تاناي: ولد في مديرية تاناي في ولاية بكتيا عام ١٣٧٠ هـ، ودرس في بلده المرحلة الابتدائية، والتحق بعد إنهاء الدراسة الثانوية بالكلية العسكرية في العاصمة كابل، وأصبح عام ١٣٩٨ هـ يحمل رتبة مقدم، ولعب دوراً في الانقلاب الشيوعي على الرئيس محمد داود، وابتعث بعدها إلى أكاديمية ليننغراد العسكرية، وعندما عاد عُيّن قائداً للفيلق المركزي في العاصمة كابل، ورُقّي إلى رتبة جنرال عندما كان (نظر محمد) وزيراً للدفاع أيام حكم بابرك كارمل، وأصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٤٠٥ هـ، ترأس جناح (خلق). *

الانسحاب الروسي، وشاركه أيضاً الجنرال (عبدالقادر)[1]، وهو الذي قاد عملية الهجوم على القصر الجمهوري في العاصمة كابل. وكان مع الانقلابيين أيضاً الجنرال (شاه ولي) قائد الدفاع الجوي، والجنرال (نجيب أحمد) أحد قادة الحرس الخاص بمنطقة القصر الجمهوري، والجنرال (شيرباز) رئيس قسم الشيفرة بوزارة أمن الدولة، وكلهم من جناح (خلق).

وأعلن الحاكم الأفغاني بأن المؤامرة ضدّه قد دُبّرت بالاتفاق بين الجنرال (شاه نواز تاناي) وبين قلب الدين حكمتيار أمير الحزب الإسلامي، وفي الوقت نفسه عقد قلب الدين حكمتيار مؤتمراً صحفياً في العاصمة الباكستانية إسلام أباد أيّد فيه الانقلابيين وناشد المجاهدين التعاون معهم. وصدر قرار جمهوري يقضي بتعيين الجنرال (محمد أسلم وطنجار)[2] وزيراً

---

* بعد إقصاء محمد غلاب زوي الذي كان منافساً لنجيب الله محمد. رفض المحاولات السلمية. دبّر مجزرة (هراة) التي ذهب ضحيتها ثمانية وعشرون ألف مسلم في يوم واحد، وقاد معركة (خوست) ضد المجاهدين.

(١) الجنرال عبدالقادر: ولد في ولاية (غور) ١٣٦١ هـ، وهو من الطاجيك، وتسلّم قيادة القوات الجوية أيام حكم الرئيس محمد داود، وهو الذي أوصله إلى سدة الرئاسة، ثم عمل على تنحيته وقتله بعد سجنه للشيوعيين. وتسلّم ثلاثة أشهر وزارة الدفاع، وأرسل سفيراً لبلاده في بولندا، ورجع وتسلّم وزارة الدفاع مدة ثلاث سنوات، وكان عضواً في المجلس الثوري، واللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وعضواً احتياطياً في المكتب السياسي.

(٢) الجنرال محمد أسلم وطنجار: ولد في ولاية بكتيا عام ١٣٦٥ هـ، وحصل على الإجازة في العلوم العسكرية عام ١٣٨٨ هـ، وسافر عام ١٣٩٠ هـ إلى روسيا، وهو من قبائل البشتو من عشيرة (زدران)، يرتبط ولاؤه بموسكو رغم ما يُشاع أنه من جناح خلق، شارك في انقلاب ١٣٩٣ هـ، وانقلاب عام ١٣٩٨ هـ، وحاصر القصر الجمهوري بالدبابات، تسلّم منصب وزارة المواصلات عام ١٣٩٨ هـ، ووزارة الداخلية في العام نفسه، ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٣٩٩ هـ، ووزارة الدفاع في العام نفسه، ووزارة المواصلات عام ١٤٠٠ هـ وهو عضو في المجلس العسكري، وفي اللجنة المركزية للحزب، وفي المكتب السياسي.

للدفاع و (زار محمد بكتين) وزيراً للداخلية، وفرض منع التجول في كابل. وتمكّنت الحكومة من السيطرة على قاعدة (بغرام) مقرّ قيادة الانقلاب بمساعدة الطيران الروسي، وأعلنت إثرها أنها تمكّنت من القضاء على الحركة الانقلابية.

وأعلن قلب الدين حكمتيار في مؤتمرٍ صحفيٍ قصيرٍ في مدينة بيشاور في اليوم الثاني للحركة أن الانقلابيين إذا نجحوا في استلام السلطة فسيشكلون مجلساً ثورياً بالاشتراك مع القادة الميدانيين حول كابل لإجراء انتخابات بالحكومة المؤقتة.

أما حكومة المجاهدين المؤقتة فقد أعلن رئيسها عبد الرب الرسول سياف باسمها أنها ترفض التعاون مع قائد الانقلاب الجنرال (شاه نواز تاناي)، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على عدم تفاهم المجاهدين على سياسة واحدة.

ويبدو أن هذا الانقلاب كان نتيجة خوف الجنرال (تاناي) على نفسه بعد أن اشترك في محاولة الانقلاب التي حدثت في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (١ تموز ١٩٨٩ م)، وسُجن ووُقف، ثم فرار عددٍ من أعضاء جناح (خلق) إثر المحاولة التي جرت في ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ (١٨ كانون الأول ١٩٨٩ م) ووصولهم إلى باكستان وانضمامهم إلى الحزب الإسلامي بصفتهم من البشتو، وهذا كله دفع الجنرال (تاناي) إلى اللقاء مع قلب الدين حكمتيار عندما كان داخل أفغانستان والتخطيط للحركة، كما يبدو أن باكستان كانت تُشجع ذلك إما للخلاص من الحكم الشيوعي في أفغانستان فقط وإما رغبةً أيضاً في السعي لانضمام أفغانستان إلى باكستان حيث أن البشتو لهم إخوة في باكستان هم قبائل (الباتان) في الشمال الغربي من البلاد.

وفرّ السفير الأفغاني في (أولان باتور) عاصمة منغوليا أسد الله سروري إلى الهند بعد اتصاله بأحد قادة الحركة الانقلابية (قل باتشاوفدان).

وفي اليوم التالي لمحاولة الانقلاب أي في ١٠ شعبان ١٤١٠ هـ شكل الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد محكمةً خاصةً لمحاكمة الانقلابيين، وقضت عليهم الحكم بالإعدام مع وقف التنفيذ، وقد زاد عدد المعتقلين على مائة ضابط.

وفي ١٩ شعبان ١٤١٠ هـ اعتقل ستة عشر ضابطاً بينهم اثنان من مساعدي الجنرال (تاناي)، وفصل من الخدمة ثلاثمائة ضابط آخرين، كما تم ترقية أربعةٍ وعشرين عضواً من اللجنة المركزية.

وفي ٢١ شعبان طُرد أربعة وعشرون عضواً منهم الجنرال تاناي، ومحمد غلاب زي، ودوست محمد، وصالح زيري، وكروال، ونياز مهمند، ونزار محمد. . . وفي الوقت نفسه تمّ تعيين أربعة نواب جدد لوزير الدفاع محمد أسلم وطنجار هم: الفريق محمد طاهر شولامال، ومحمد اكرم، وعلاء الدين، وجل محمد وجميعهم من جناح (برشام) وذلك من أجل إمكانية السيطرة التامة على الجيش وضبط الأمور.

وقام الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد بفصل سبعة أعضاء من المكتب السياسي للحزب الشيوعي.

وفي ١١ شوال ١٤١٠ هـ قرر الرئيس الأفغاني تعيين سلطان علي كشتمند نائباً أول لرئيس الجمهورية على أن يحلّ محله في رئاسة الوزارة (حسن شرق) غير أنه في اليوم التالي قد غيّر رأيه وعهد إلى (فضل حق خالقيار) برئاسة الوزارة فشكلها من ستٍ وثلاثين وزيراً، بينهم ستة وعشرون وزيراً ليسوا من الحزب الشيوعي في سبيل إبداء عدم التسلّط الحزبي لعلّ في ذلك تقريب للشعب من الحكم، غير أن هؤلاء الوزراء الجدد يؤيدون الحزب وسياسته، وغالباً ما يكونون أكثر تطرّفاً في سبيل المزاودة لاستمرارية الحصول على المنفعة والبقاء في السلطة.

ولعلّ من أسباب فشل هذا الانقلاب:

١ ـ انتشار خبر اللقاء الذي تمّ بين قلب الدين حكمتيار والجنرال شاه نواز تاناي، فأخذت السلطة حذرها، وخاصةً أنه جرت قبل ذلك محاولتان للانقلاب، وتُشيران إلى تورّط الجنرال تاناي فيهما، ثم هناك تصريحات حكمتيار التي يُشَمّ منها الرائحة.

٢ ـ قوة حرس الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد والتي تزيد على عشرين ألف جندي.

٣ ـ تعيين الجنرال محمد نبي عظيمي قائداً لحامية كابل إضافةً إلى منصبه كنائب أول لوزير الدفاع الجنرال (تاناي).

٤ ـ إضافة عناصر إلى المجلس الأعلى للدفاع والقطاعات الميدانية من الموالين للرئيس الأفغاني نجيب الله محمد من أمثال الجنرال (علومي) والجنرال أصف (ديلاور) لتطويق وزير الدفاع الجنرال (تاناي).

٥ ـ محاولة محمد غلاب زي رئيس جناح خلق السابق بعد حفيظ الله أمين التسلّل من روسيا إلى داخل أفغانستان.

٦ ـ مشاركة أسد الله سروري في محاولة الانقلاب، وهو رجل مكروه من الشعب، ويُطلق الناس عليه لقب جزّار كابل إذ قتل اثني عشر ألف إنسانٍ في يومٍ واحدٍ في عهد نور محمد تراقي.

٧ ـ هرب قائد الانقلاب الجنرال تاناي إلى باكستان في اليوم الثاني للحركة ولا يزال القتال مُستمراً بين قوات الفريقين حول كابل وخوست.

٨ ـ إعادة الرئيس الأفغاني لعددٍ من جناح خلق إلى الخدمة، وتعيين الجنرال محمد أسلم وطنجار وزيراً للدفاع، وزار محمد يكتين وزيراً للداخلية وهما من جناح خلق وبذا استطاع الحكم من تفتيت هذا الجناح من الحزب الشيوعي، وهو الجناح القائم بالحركة.

٩ ـ ضعف تقدير قائد الحركة لقوة الحرس الخاص.

١٠ ـ عدم استجابة قوات الأمن الداخلي (السراندوي) وحاميات المدن لنداءات رجال الحركة كما كان يتوقّع الانقلابيون، وقد خطّطوا بناءً على ذلك.

١١ ـ عدم استفادة المجاهدين من الحركة وتأييدها والعمل على الإجهاز على حكم نجيب الله محمد.

١٢ ـ الدعم الروسي الواسع وخاصةً الطيران.

١٣ ـ الحرب الدعائية الواسعة التي بثّها جهاز الحكم، وكانت ناجحة.

١٤ ـ فشل الضربة الجوية الأولى للقصر الجمهوري، وهذا ما جعل الحكم يقوم بهجومٍ معاكس على مقر الحركة الانقلابية في وزارة الدفاع، فاضطر الانقلابيون إلى أن ينقلوا مقرهم إلى قاعدة (بغرام) شمال كابل بثلاثين كيلومتراً، والتي هاجمها الطيران الأفغاني الموالي للسلطة فانقطعت الاتصالات بين قادة الحركة والقطعات الموالية لها.

وبعد هزيمة الانقلابيين قام الرئيس نجيب الله محمد بعملية تصفيةٍ في حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني، وقادة الجيش. وقرر العودة بسرعةٍ إلى شكلٍ ما من أشكال الحكومة المدنية الدستورية.

وفي ٢٥ شوال ١٤١٠ هـ (٢٠ أيار ١٩٩٠ م) رُفعت حالة الطوارئ، وحُلّ المجلس الأعلى للدفاع عن أرض الوطن. وبنهاية الشهر انعقدت الجمعية الوطنية (لويا جيرغاه) في كابول حيث أقرّت تعديلاتٍ دستوريةً في امتصاص بعض النقمة على الحكم، حيث قلّلت هذه التعديلات من توجّه أفغانستان نحو الاشتراكية، وأنهت احتكار حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني والجبهة الوطنية للسلطة التنفيذية، ومهّدت الطريق لإجراء انتخابات يقبلها ـ حسب زعم الحكومة ـ الأفغانيون جميعاً، وأدخلت مزيداً من الحرية السياسية والصحفية، وشجّعت تنمية القطاع الخاص، والاستثمارات

الأجنبية، وقلصت دور الدولة، وأتاحت فرصةً لظهور الإسلاميين. وعلى كل حالٍ فقد بقي الاحتفاظ بالسلطات الواسعة لرئاسة الجمهورية.

وغيّر اسم حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني إلى «حزب الوطن» في أواخر ذي القعدة من عام ١٤١٠ هـ (أواخر حزيران ١٩٩٠ م)، وحلّ المكتب السياسي (اللجنة التنفيذية) واللجنة المركزية، وحلّ محلهما المجلس المركزي والهيئة التنفيذية.

وتبنّى حزب الوطن خطاً جديداً أبرز سماته معاداة العقيدة. واختير الرئيس نجيب الله محمد بالإجماع رئيساً لحزب الوطن.

وقرر الرئيس الاستمرار بعملية المصالحة الوطنية وتوسعتها، وذلك لأن مشكلات الإمبراطورية الروسية الداخلية قد جعلت الإدارة الروسية غير راغبةٍ في عبء ودعم تصدير الأسلحة والبضائع مدةً أطول وهو ما ساعد على بقاء نظام الحكم الشيوعي في كابول.

وفي ربيع الأول ١٤١١ هـ (تشرين الأول ١٩٩٠ م) انتهى التحالف غير الرسمي بين مختلف الأحزاب اليسارية في البلاد، ووافق حزب الوطن في الشهر التالي على التعاون مع حزب الله الأفغاني الإسلامي. وفي الوقت نفسه اندمجت الجبهة الوطنية مع جبهة السلام الأفغانية التي تشكلت حديثاً. أما التنظيمات الاشتراكية اليسارية التي كانت منضمةً إلى الجبهة الوطنية فقد أعادت تشكيل نفسها هي الأخرى، وتخلّت عن توجّهها الفكري.

وفي ٤ صفر ١٤١١ هـ (٢٨ من شهر آب ١٩٩٠ م) تمّ إطلاق صواريخ على وزارة الدفاع في كابل، وكان وراء العملية (محمود بريا لاي) شقيق بابرك كارمل الأصغر الذي أُبعد إلى تشيكوسلوفاكيا مع الجنرال (عارف).

وفي ٢١ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ (٧ كانون الثاني ١٩٩١ م) عيّن الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد نائباً له عبدالواحد سرابي[1].

(١) عبد الواحد سرابي: من قبائل الهزارة، لا ينتمي إلى الحزب الشيوعي، ولد عام =

وعيّن الرئيس الأفغاني نجيب الله محمد نائباً لرئيس الوزراء محمد بريالي صهر بابرك كارمل، وأناهيتا راتب زادة مستشارة في رئاسة الوزارة، بغية توحيد جهود جناح (برشام) على الأقل.

= ١٣٤٨ هـ، وتخرج من مدرسة حبيبية الثانوية بكابل عام ١٣٦٧ هـ وعيّن مدرساً في العام التالي في المدرسة التجارية، ثم ذهب إلى النمسا لإتمام الدراسة فتخرج عام ١٣٧٤ هـ، وبعد عامين نال شهادة الدكتوراة في الاقتصاد، ورجع إلى بلاده، وعيّن أستاذاً للاقتصاد بجامعة كابل، ثم عميداً للكلية، ثم نائباً لمدير الجامعة، فعميداً لكلية التجارة، ثم تسلّم وزارة التخطيط عام ١٣٨٧ هـ، فوزارة الدراسات العليا، فوزيراً للري، فنائباً لرئيس الحكومة الوطنية، فمستشاراً في أواخر عهد بابرك كارمل.

الفصل الثالث

الثَّورَة

عاش السكان الأفغان حياةً هادئةً لا يعرفون الحزبية، وصلاتهم الاجتماعية بسيطة تقوم على الجوانب الإسلامية حسب مفهوماتهم، ويُحاول رجال العلم الذين درسوا الإسلام سواء أكان ذلك داخل البلاد أم خرجوا إلى أمصارٍ أخرى يتلقون مزيداً من العلم كالأزهر يُحاولون الأخذ بيد الشعب في سبيل السير على منهجٍ إسلاميٍ واضحٍ، ولكن كان تأثيرهم قليلاً لبساطة الأهالي، ولشغلهم في حياتهم المعاشية، ولم تكن هناك دوافع تحركهم، غير أن التدخّل الأجنبي في بلادهم كان يُثيرهم فينتفضون ضدّ الغزاة وغالباً ما ينالون من المعتدين لما نشأوا عليه من قسوةٍ نتيجة طبيعة بلادهم الجبلية، وحياتهم الشاقة، ولإيمانهم وكراهيتهم للكفّار.

ولكن بدأوا يتحرّكون عندما بدأ ملكهم أمان الله يُحاكي الأجانب، وتخرج نساؤه سافرات، فكان ذلك محرّضاً لهم للقيام بالثورة ضدّه، وهدأوا بعدها قليلاً حتى أتى عهد محمد ظاهر شاه فأثارهم تصرّفه، ولكن لم يروا ضرورةً للتنظيم، وإنما كان النصح هو الغالب، والحديث عنه كنوعٍ من التأليب عليه.

وتأثر الذين خرجوا من أفغانستان بالعمل الإسلامي، وعرفوا التنظيم وانضمّ بعضهم إليه، ومن هذه المنظمات التي تأثروا بها: الجماعة الإسلامية في باكستان نتيجة القرب والارتحال، والإخوان المسلمون في مصر والشام عندما كانوا حركة فعّالة مؤثّرة، فلما رجع الذين ذهبوا للدراسة، وعادوا مدرسين في الثانويات أو أساتذةً في الجامعات أخذوا بالتوجيه والحركة، ولكن لم يبدأ التنظيم وإنما كان النشاط علنياً والدعوة صراحةً فهم يدعون إلى الإسلام،

والسكان جميعهم من المسلمين فلا داعي للسرية ولا حاجة للتنظيم الدقيق وإنما دعوة واضحة.

ولما تسلّم رئاسة الوزراة محمد داود مدة عشر سنوات ١٣٧٣ - ١٣٨٣ هـ، وأخذ الشيوعيون ينشطون واندفع يُشجعهم ليستفيد منهم حسب مخططه الذي يرسمه لنفسه، وبدأ الروس يمدّون أياديهم ويُوجهونهم عندها وجد الأساتذة الملتزمون أنه لا بدّ من التنظيم فالعمل العشوائي لا يثمر، والتنظيم لا بدّ له ما يقابله، لذا اتجهوا نحو التهيئة غير أنّ حكومة محمد داود كانت ضدّ الإسلام، وتُراقب تحرّك دعاته، وهذا ما جعل العاملين ينصرفون إلى العمل السري، وبرز على الساحة منذ عام ١٣٨٠ هـ غلام محمد نيازي.

وأُزيح محمد داود عن رئاسة الحكومة، وظهر النشاط الحزبي، وبرز الحزب الشيوعي «حزب الشعب الديمقراطي» في ٢٨ شعبان ١٣٨٤ هـ (١ كانون الثاني ١٩٦٥ م)، وأخذ المسلمون يلتفّون حول بعض العلماء والدعاة البارزين الذين كان منهم يومذاك محمد يونس خالص، وعبدالرزاق باريس، والملاين وزير، وخدايا نورا، وتشكلت أول نواةٍ حركيةٍ عام ١٣٨٧ هـ، وظهر التنظيم علناً، وبدأ الصدام بين الإسلاميين والشيوعيين وحدثت عدة لقاءاتٍ قتاليةٍ عام ١٣٩٠ هـ، وغالباً ما يكون النصر إلى جانب المسلمين وهذا ما يُشجعهم، ويرون الشعب يدعمهم فيزدادون اندفاعاً، إذ كان الناس يُقارنون بين الفئتين، فلا يجدون مقارنة: فئة مستقيمة ملتزمة، وأخرى منحرفة مستهترة. وظهرت جريدة الفجر تدعم المسلمين وتُؤيدهم، ويحمل صاحبها (منهاج الدين جاهز) إلى جانبهم حتى قضى نحبه بأيدي الفئة المجرمة.

وتصدّر العمل الإسلامي الجامعة في كابل، واكتسح حملة الانتخابات التي جرت عام ١٣٩٣ هـ لاختيار مجلس الطلبة، فكان للشباب الجامعي تجمّعهم إضافةً إلى الجمعيات الإسلامية الأخرى كجمعية العلماء المحمدية، وجمعية خدام الفرقان.

وفي ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ (١٧ تموز ١٩٧٣ م) قام محمد داود

بالانقلاب، وأخذ الضغط على الحركة الإسلامية، فانحلّت الجماعة، وأُعدم مؤسسها غلام محمد نيازي، وسُجن الكثير من رجالها مثل عبد رب الرسول سيّاف، وانقسمت الحركة إلى مجموعتين أولاهما عرف باسم الجمعية الإسلامية ويقودها برهان الدين رباني، والثانية برئاسة قاضي محمد أمين وقاد ويساعده قلب الدين حكمتيار، وذلك عام ١٣٩٤ هـ. ثم شكل قاضي محمد أمين وقاد حزب «داعية الاتحاد الإسلامي»، وأصبح قلب الدين حكمتيار يعاون برهان الدين رباني في رئاسة الجمعية وذلك عام ١٣٩٥ هـ.

وبعد محاولات توفيقٍ ومصالحاتٍ اتفق رجال الحركة الإسلامية على أن يكون قائد مسؤولاً عنهم، ولكن لم يلبثوا أن اختلفوا بعد ثلاثة أشهر من بداية اتفاقهم عام ١٣٩٨ هـ. ثم وجدوا الشيخ محمد نبي محمدي فالتفوا حوله، وكان معروفاً، إذ كان نائباً أيام الملك محمد ظاهر شاه، وإماماً في أحد مساجد مدينة «كويتا»، فأصبح أميراً للحركة الإسلامية.

لم يقبل محمد يونس خالص بهذا الاتحاد، وبقي مع جماعةٍ حملت اسم، الحزب الإسلامي، وسار معه قلب الدين حكمتيار.

وجاء صبغة الله مجددي من الدانمارك، ومرّ على مكة المكرمة، والتقى هناك ببعض الدعاة العاملين، فأنشـوا الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، ولكن لم يمض أكثر من ستة أشهرٍ حتى ذهب كل في طريقه، وتفرّق الجمع.

الثـورة:

كان النصح واجباً، وإعلان الحق فرضاً، ومحاربة الظلم والباطل محتمةً في العودة إلى الطريق الصحيحة، فلما قام الانقلاب الشيوعي، وظهر الكفر بُواحاً أصبح الخروج على السلطة واجباً فالشيوعيون يُجاهرون بالإلحاد، ويُصرّحون بالكفر، ويُعلنون ارتباطهم بالأعداء، ويقطعون كل آصرةٍ لهم مع المسلمين، ومن هذا المنطلق اشتعلت الثورة، وأصبح واجب كل مسلمٍ الانضمام إليها، فالتحق بها الواعون المدركون لحقيقة الأمر،

والعارفون واقع الإسلام، والفقه، وفكرة الجهاد، وأيدهم الشعب الذي يثق بعلمائه، ويتجاوب مع الدعوة إلى الجهاد، ورفع راية الإسلام، فتحرّك الناس في كل مكانٍ.

وفي أواسط عام ١٣٩٩ هـ التقت خمسة أحزابٍ إسلاميةٍ، ووضعت فيما بينها ميثاق الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، ولكن - مع الأسف - لم يطل عمره أكثر من سنةٍ ونصف، إذ تمزّق الشمل مرةً أخرى في نهاية عام ١٤٠٠ هـ، وكان عبد رب الرسول سياف قد خرج من السجن، وانضمّ إلى الاتحاد، واختير رئيساً له، وشارك في هذا الاتحاد كل المنظمات باستثناء الحزب الإسلامي. فلما انفرط عقد الاتحاد عام ١٤٠٢ هـ بقي عبد رب الرسول سياف رئيساً لمن بقي معه، وبقي تنظيمهم يحمل اسم «الاتحاد الإسلامي». وجرت محاولة تفاهمٍ لمدة خمس سنوات ريثما يمكن القضاء على الشيوعيين وعلى الغزاة الشيوعيين ولكن دون جدوى.

وبعد الاحتلال الروسي لأفغانستان في ٨ صفر ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون أول ١٩٧٩ م) برزت منظمة تحرير شعب أفغانستان (ساما) بقيادة ماجد كلاكاني. كما ظهرت جبهة التحرير الوطنية بقيادة صبغة الله مجددي، والجبهة الإسلامية الوطنية برئاسة أحمد الجيلاني.

وفي ١٠ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ (٢٧ كانون الثاني ١٩٨٠ م) تشكلت جبهة المقاومة الجديدة من ست مجموعاتٍ وهي:

١ ـ الاتحاد الإسلامي
٢ ـ الجبهة الإسلامية الوطنية
٣ ـ الجمعية الإسلامية
٤ ـ الحزب الإسلامي «خالص»
٥ ـ جبهة التحرير الوطنية
٦ ـ حركة الانقلاب الإسلامي.

وقد قاطع الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار هذه الإجراءات.

واستمرّ الخلاف والاتفاق بين مدٍّ وجزرٍ، وذلك لأن المنظمات الشعبية

متعددة وتتركز في طهران، وتأخذ منحى يختلف عن المنحى الذي تسير عليه منظمات الجهاد، وتسير حسب سياسة الحكومة الإيرانية. ومن ناحية ثانية فإن ثلاث منظمات رئيسية وهي: الجبهة الإسلامية الوطنية، وجبهة التحرير الوطنية، وحركة الانقلاب الإسلامي تسير في خطٍ أقرب إلى الوطنية منه إلى الإسلام إذ ترى التفاهم مع الملك السابق محمد ظاهر شاه رغم أنه سبب المشكلة بتساهله وانحرافه وتفلّته من الإسلام والقيم، وهذه المنظمات وإن كانت رئيسية إلا أنها ليست القوية كما أنها ليست بذات الشعبية الواسعة، وترى الانتخابات على أسسٍ عامة لا فرق بين المسلم والكافر، والمخلص والعميل. أما باقي المنظمات الكبرى وهي: الحزب الإسلامي «حكمتيار»، والحزب الإسلامي «خالص» والاتحاد الإسلامي، والجمعية الإسلامية فهي: ذات قوة، وتأييد شعبي كبير، وخطٍ إسلامي أقرب إلى السلامة - والله أعلم - ومع ذلك فإن خلافاً واسعاً بين الحزب الإسلامي «حكمتيار» والجمعية الإسلامية لا يكاد ينتهي ويُغطي على كل الخلافات والانقسامات، وما يكاد ينتهي حتى يبدأ من جديد، ويقع القتال بين الطرفين، ويذهب ضحيته المئات إن لم نقل الآلاف من المسلمين المجاهدين، وقد أعيت الحيلة المصلحين، ولا نستطيع اتهام أحدهما إذ نظن بهما خيراً، ولكن في هذا ضعف إيماني وبُعداً عن الإسلام، وتقوية للأعداء، وإضعافاً للمجاهدين، وإبعاداً عن تحقيق النصر، ويعود هذا الخلاف في جذوره إلى قضايا شخصية بين الزعيمين قلب الدين حكمتيار، وبرهان الدين رباني، وإلى أصولٍ عصبية بين البشتو والطاجيك، وإلى موضوعات تتعلق بالرجال حول الشخصين، وإلى الرغبة في إظهار القوة، وتحقيق النصر على الطرف الآخر، وتولي الزعامة، وكسب الموقف وهذا كله بُعد عن الإسلام وخرق لتعاليمه - مع الأسف -. أما باقي المنظمات فهي أقلّ قوةً، ويدخل بعضها في صراعات مع بعض أيضاً ومع الآخرين ربما كان بسبب بعض الاجتهادات.

هذه الخلافات والصراعات القاتلة، وقوة الحكم الأفغاني بما يناله من دعمٍ ومساعداتٍ وتأييد روسيٍ وقت الحاجة، وخاصةً من ناحية السلاح والذخائر والمعدات، ثم الاحتلال الروسي للبلاد مدةً تزيد على الثماني سنوات، وتواني المسلمين في بقية الأمصار عن هذه المعركة المصيرية وعن الواجب الإسلامي، بل وموقف بعض الأمصار موقف العداء من حركة الجهاد الأفغاني، كل هذه الموضوعات كانت سبباً في تأخير النصر من عند الله وخاصةً وهو أولها عدم تقيّد المجاهدين التام بتعاليم الإسلام. ويجب ألا نغفل عن الموقف الدولي المعادي للمجاهدين، والذي تحركه الصليبية العالمية بحقدها الظاهر والدفين، ويرفدها دول الإلحاد، وما يسير في فلك الطرفين من دول العالم، وربما كان من بينها بعض الأمصار الإسلامية - مع الأسف -. وتحظر هذه الدول عن المجاهدين السلاح والمساعدات الحيوية، أي أنها تقف إلى جانب الروس الغزاة وعملائهم، وإن كانت تدّعي أحياناً غير ذلك، فتزعم أنها تقف على الحياد، ويشيع عملاؤها أن الولايات المتحدة تقف إلى جانب المجاهدين، وتدعمهم معاداة للروس، وانتقاماً من حرب فيتنام التي دعم فيها الروس الثوار الفيتناميين ضد أمريكا، وهذه افتراءات لا أساس لها من الصحة، فالغرب والشرق على اتفاقٍ ضدّ الإسلام وإن كانا على صراعٍ على مناطق النفوذ في العالم، وفي الحرب الباردة.

أما المجاهدون فيما عدا ذلك فالروح المعنوية عندهم عالية، ويُقاتلون بصدقٍ، ولكن منهم من يريد الحياة الدنيا في قتالهم، ومنهم من يريد الآخرة. والشعب يؤيدهم بغالبيته وإن كان بعضهم لا يجرؤ إبداء ذلك أبداً خوفاً من السلطة التي نكّلت بالرعية من غير هوادةٍ، وارتكبت أبشع الجرائم من غير خشيةٍ، وأقدمت على حرب الإبادة الجماعية دون حذرٍ، حتى أرهبت الناس الذين في قلوبهم مرض فخنعوا وسايروهم حتى في استقدام الكافرين لضرب إخوانهم في العقيدة، ورضوا بالذلّ والهوان.

وطبيعة الأرض الأفغانية جبلية مناسبة للقتال والثورات، وأهلها أدرى بها من غزاتها، وهذا ما سهّل للمجاهدين أن يُكبّدوا المعتدين خسائر كبيرةً، وان يعزلوا السلطات الحاكمة في مناطق محصورةٍ، وكانوا يعتمدون في قتالهم على ما يربحونه من أسلحةٍ في قتالهم مع خصومهم، وعلى ما يغنمونه من ذخائر، غير أن هذا محدود لا يتناسب مع المعركة الضارية والجبهات الواسعة وأمام سيل الأسلحة الذي يمدّ المعتدين وأعوانهم من الحكام الشيوعيين والآتي ليس من روسيا ومعاملها فحسب، وإنما من دول حلف (وارسو) أيضاً، وكان يصل إلى المجاهدين بعض إخوانهم من الأمصار الإسلامية الأخرى، ولكن من غير تدريبٍ ولا سلاحٍ، وهذا لا يتناسب أبداً مع القوات الروسية الغازية والتي زاد عددها على المائة ألف والمدرّبة أحسن تدريبٍ، والتي كثيراً ما كان أفرادها يُقاتلون من وراء الدروع، ومن داخل المصفحات، وخلف الآليات، ويدعمهم الطيران الروسي بأحدث مقاتلاته، مع استعمال الغازات السامة، وأسلحة الدمار الشاملة.

لم تستطع روسيا أن تُحقّق ما كانت تأمله إذ كانت تتوقّع كما تتوقّع الدنيا المادية أن تسحق روسيا المجاهدين سحقاً في أيام معدوداتٍ إذ أن قوتها عاتية، وأسلحتها فتّاكة، ووسائلها مُتطوّرة ولا غرابة في ذلك فهي إحدى الدولتين الكبريين، والمجاهدون قوة صغيرة ضعيفة أسلحتها معطوبة أو معدومة، ووسائلها أيديها وأقدامها، ولكن نسيت روسيا كما نسيت الدنيا المادية كلها أنها تُقاتل مسلمين فلو صدقوا فلم يخذلوا، وأخذوا بالأسباب ولم يعتمدوا على غيرالله لانتصروا ولتمكّنوا من موسكو أيضاً فإن في المعادلتين قوة الله التي لا تقهر، وهي سبب النصر، والمانع له.

فشلت روسيا في تحقيق أهدافها بل خسرت خسائر فادحةً لقد فقدت خمسين ألف جندي منهم ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة قتيلٍ، وخمسة وثلاثين ألف جريح إضافة إلى المليارات من الدولارات. حيث كان المجاهدون يَنصبون الكمائن للقوات الروسية أثناء تحرّكها، ويُغيرون على معسكراتها،

ويُنازلونها أحياناً، فيقتلون، ويأسرون، ويغنمون، ويأتي الطيران الروسي لملاحقتهم فيختفوا في الكهوف ومنعطفات الأودية، فإنهم لو دخلوا المدن والقرى لقصفت فكان المجاهدون يتجنّبون ذلك حرصاً على السكان الآمنين، غير أن الروس كثيراً ما كانوا يعملون على إبادة القرى كاملةً فيما إذا خرج منها المجاهدون أو رجعوا إليها أو كانت قريبةً من مناطق تجمّعاتهم، وتكون الإبادة بالغازات السامة أو الأسلحة الفتّاكة. وربما اندحر الروس وحدهم أو مع أعوانهم حكام كابل أمام المجاهدين فشعروا بالخزي والعار، وقد يطلبون عقد هدنةٍ من المجاهدين الذين يأبون أو يُوافقون حسب مخططاتهم القتالية أو مصالحهم الدفاعية لا حسب رأي الروس، وحسب تخطيطهم بصفتهم أصحاب القوة العملاقة.

رفض أحمد مسعود شاه أحد قادة الجمعية الإسلامية في وادي (بانجشير) في شمال شرقي أفغانستان التفاوض مع نظام الحكم الشيوعي القائم في كابل غير أنه اتفق مع الغزاة الروس على وقف إطلاق النار في صيف عام ١٤٠٣ هـ إذ اقتضت مصلحة السكان أن يُعيد تموين الوادي، فأعاد التموين، وانتهت مدة وقف إطلاق النار فطلب الروس تجديدها فأبى ذلك في جمادى الأخرة ١٤٠٤ هـ (آذار ١٩٨٤ م) فحشد الروس إمكاناتهم كلها لاحتلال الوادي، وتمكّنوا من ذلك بعد معارك رهيبة دامت ثلاثة أسابيع، وقد وجّه كل من قلب الدين حكمتيار وعبد رب الرسول سياف قواتٍ من فصائلهما للقتال إلى جانب مجاهدي الوادي، وأخيراً اضطر الروس إلى الانسحاب من الوادي صاغرين.

شعرت روسيا بالندم بإقحام نفسها في موضوع أفغانستان فهي عاجزة عن تحقيق النصر على المجاهدين بل تقدّم خسائر كبيرة، ويبدو عليها التراجع رغم استخدام وسائل الحرب المحرّمة دولياً، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الانسحاب إذ تفقد مكانتها الدولية، وتبدو ضعيفةً أمام دول الغرب، وهذا ما جعلها تلجأ إلى حرب الشائعات فتدّعي أن أمريكا تُساعد

المجاهدين ليُقال إنها تُقاتل الولايات المتحدة لا تُحارب المجاهدين ولكنها في الوقت نفسه تعمل جاهدةً لتوقيع معاهدة السلام في جنيف بين دولتي أفغانستان وباكستان كي تنسحب بشرفٍ ـ حسب زعمها ـ نتيجة اتفاقٍ دولي. ومع التساهل الدولي الذي تُبديه تجاه المجاهدين حيث وافقت على حضور وفدٍ منهم إلى الأمم المتحدة[1] كانت تقوم بضغطٍ عسكريٍ رهيب لإجبار المجاهدين على الخضوع وتنفيذ المطالب الروسية كي تنسحب مع الاحتفاظ بماء الوجه، غير أن المجاهدين بقوا صامدين في خنادقهم صامدين على آرائهم متمسكين بمواقفهم ولذا فقد طالت موضوعات المفاوضات وتعثّرت حتى تمّ التوقيع عليها في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م). وبدأ الانسحاب الروسي في ٢٩ رمضان ١٤٠٨ هـ (١٥ أيار ١٩٨٨ م) وانتهى في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م).

الخطة الروسية:

سحبت روسيا جيوشها من أفغانستان رسمياً وظهرت أمام العالم جادة فعلاً في الدعوة إلى السلام، وفي الوقت نفسه أنقذت جندها من القتل، وأمنت عدم انتقال الثورة إلى الأجزاء الإسلامية التي تخضع لسيطرتها في أواسط آسيا، وضمنت عدم انضمام المسلمين في جندها إلى المجاهدين

---

(1) سافر الوفد بتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (٢٢ كانون الأول ١٩٨٥ م) برئاسة قلب الدين حكمتيار أمير الحزب الإسلامي، ويضمّ إضافةً إلى ذلك ستة أعضاء يُمثلون باقي المنظمات الأساسية، وهؤلاء الأعضاء هم:

١ ـ مهندس عبدالرحيم: ويمثل الجمعية الإسلامية.
٢ ـ عزيز الله لودين: ويمثل حركة الانقلاب الإسلامي.
٣ ـ محمد ياسر: ويمثل الاتحاد الإسلامي.
٤ ـ دين محمد: ويمثل الحزب الإسلامي (خالص).
٥ ـ محمد صديق سلجوقي: ويمثل الجبهة الإسلامية الوطنية.
٦ ـ ذبيح الله: ويمثل جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

وقطعت عن المسلمين الأفغان مورداً مهماً للسلاح كانوا يحصلون عليه من الغنائم ومن انضمام بعض الجنود الروس إليهم سواء أكانوا من المسلمين المضطهدين الناقمين على الروس أم من غير المسلمين الحاقدين على الشيوعيين المتسلّطين عليهم، وبقي مورد وحيد للمجاهدين من السلاح وهو ما يغنمونه من أتباع موسكو الذين يحكمون الأفغان.

ولكن إن انسحبت القوات الروسية من أرض أفغانستان وحقّقت لها دعايةً دوليةً وفائدةً عسكريةً إلا أنها بقيت تُراقب الأحداث من أراضيها وتتدخّل في الوقت المناسب لتدعم أعوانها ضدّ المجاهدين وخاصةً بالقوات الجوية التي طالما قصفت مواقع المسلمين، وأمدّت أعداءهم، وطالما كذلك دعمت القوات الروسية البرية الشيوعيين الأفغان في المناطق الحدودية هذا بالإضافة إلى المعاهدات والاتفاقات المستمرة بين موسكو وكابل وتقديم المساعدات الحربية نتيجة تلك الاتفاقات وأحياناً على شكل هدايا، وعندما جرت محاولة الانقلاب ضد الحكم الشيوعي الأفغاني في ٩ شعبان ١٤١٠ هـ (٦ آذار ١٩٩٠ م) تدخّل الروس مباشرة وعمل سلاح الطيران بشكلٍ مكثّفٍ في ضرب قواعد المتمرّدين وأماكن تجمّعهم، ومواقع قياداتهم، والقوات التابعة لهم، حتى انهارت وفشل الانقلاب. ولم تكن اتفاقية جنيف التي عُقدت ٢٧ شعبان عام ١٤٠٨ هـ (١٤ نيسان ١٩٨٨ م) بين حكومتي أفغانستان وباكستان لتنصّ على عدم دعم الروس للحكم الشيوعي.

فالانسحاب كان خطةً مدروسةً لصالح الروس إذ حموا أنفسهم من الخروج القسري والهزيمة على أيدي جماعة قليلة ضعيفة، وكسبوا دعايةً، وفي الوقت نفسه استمرّوا في دعمهم لعملائهم، والعمل على تثبيتهم في مراكز السلطة.

الهجرة:

هجر قسم كبير من سكان أفغانستان ديارهم، ويزيد عدد هؤلاء المهاجرين على نصف السكان عامةً، وذلك نتيجة وحشية الغزو الروسي، وجرائم الحكم الأفغاني الشيوعي، وهذا ما أجبر الناس على مغادرة مناطقهم بسبب الخوف على الأنفس والأعراض، كما أن الحكومة الشيوعية في كابل قد أجبرت سكان بعض الأقاليم على ترك أقاليمهم خوفاً من انضمامهم إلى المجاهدين أو دعمهم، وألزمتهم على الهجرة إلى أقاليم أخرى تُعدّ هادئةً تحت شعار منحهم أراضي هناك في سبيل إعمارها، والنهوض بالبلاد اقتصادياً، كما أن بعض الأهالي قد وجدوا من المصلحة الارتحال من المناطق الساخنة نتيجة القتال إلى بقاعٍ هادئةٍ نسبياً، وبذا فإن هناك هجرةً داخليةً، وأخرى خارجية.

الهجرة الداخلية:

وهي الانتقال داخل الأرض الأفغانية ويكاد يبلغ عدد الذين هجروا مناطقهم إلى مناطق داخلية أخرى نصف المهاجرين، وهو خمسة ملايين، ومعظمهم انتقل من الأجزاء الأفغانية الشمالية المجاورة للأراضي التي يُسيطر عليها الروس، واتجهوا نحو الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية حيث البعد عن مناطق الغزو الوحشية.

الهجرة الخارجية:

ويُقدّر عدد الذين تركوا بلادهم بما يزيد على خمسة ملايين، وأكثرهم من الولايات الشرقية وقد هاجروا إلى باكستان، ومن الولايات الغربية حيث انتقلوا إلى إيران، كما أن أكثر الذين هاجروا من قبائل الهزّارة قد رحلوا إلى إيران بصفتهم من الشيعة، وهناك الكثير الذي هاجر إلى الغرب، وإلى جزيرة العرب، وإلى تركيا للعمل، ويتوزع هؤلاء على النحو الآتي:

٣٥٠٠٠٠٠	إلى باكستان، وقسم كبير منهم من أسر المجاهدين.
٢٠٠٠٠٠٠	إلى إيران
١٥٠٠٠٠	إلى الغرب
٥٠٠٠٠	إلى جزيرة العرب
١٠٠٠٠	إلى تركيا

وزارة المجاهدين الموقتة الأولى:

بعد أن انسحبت الجيوش الروسية من أفغانستان شكّل المجاهدون وزارةً موقتةً برئاسة أحمد شاه أحمد زي. وقد ضمّت وزيراً من الشيعة تسلّم حقيبة وزارة الصحة غير أن حكومة إيران لم ترض عن ذلك، لذا لم يحضر هذا الوزير أي لقاءٍ حكومي، وسافر سرّاً إلى أستراليا كي لا يقوم بأي نشاطٍ وزاري، أو يُتابع شؤون ما حمل أمانته، ووزارة الصحة ذات أهميةٍ خاصة في وقت يستعر فيه الجهاد أو لا يكاد يتوقّف.

وقد ضمّت الوزارة خمسة عشر عضواً، وتشكلت على النحو الآتي:

١ ـ أحمد شاه أحمد زي[1]: رئيساً للوزارة.

٢ ـ ذبيح الله صبغة الله مجددي[2]: نائباً أول للرئيس.

٣ ـ محمد شاه فضلي[3]: نائباً ثانياً للرئيس.

٤ ـ قاضي نجي الله[4]: وزيراً للخارجية.

---

(١) أحمد شاه أحمد زي: ولد عام ١٣٦٣ هـ، يحمل ماجستير في الهندسة المدنية. من تنظيم الاتحاد الإسلامي.

(٢) ذبيح الله صبغة الله مجددي: من كابل يحمل دكتوراه في الهندسة المدنية. وينتمي إلى جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

(٣) محمد شاه فضلي: من ولاية بكتيا، ولد ١٣٥٥ هـ، من علماء أفغانستان. ينتمي إلى حركة الانقلاب الإسلامي.

(٤) قاضي نجي الله: من ولاية غزنة، يحمل إجازةً في الشريعة من جامعة كابل. ينتمي للحزب الإسلامي (حكمتيار).

٥" – حاجي دين محمد[1]: وزيراً للدفاع.

٦" – سيد نور الله عماد[2]: وزيراً للداخلية.

٧" – محمد ياسر[3]: وزيراً للثقافة والإعلام.

٨" – محمد إسماعيل صديقي[4]: وزيراً للمالية.

٩" – مير حمزة[5]: وزيراً للتربية.

١٠" – مطيع الله مطيع[6]: وزيراً للزراعة والثروة الحيوانية.

١١" – فاروق أعظم[7]: وزيراً للإسكان والتعمير.

١٢" – علي أنصاري[8]: وزيراً للعدل.

١٣" – واثق واعظ زادة[9]: وزيراً للصحة.

---

(١) حاجي دين محمد: من ولاية ننجرهار، يحمل إجازة في الآداب من جامعة كابل، ينتمي للحزب الإسلامي «خالص».

(٢) سيد نور الله عماد: من ولاية هراة، يحمل شهادة من كلية المعلمين في كابل، ينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٣) محمد ياسر: من ولاية وردك، مواليد ١٣٦٢ هـ، يحمل إجازة في الشريعة من المدينة المنورة، وينتمي إلى الاتحاد الإسلامي.

(٤) محمد إسماعيل صديقي: من ولاية زابل، مواليد ١٣٤٣ هـ، يحمل إجازة في الاقتصاد، ينتمي إلى حركة الانقلاب الإسلامي.

(٥) مير حمزة: من ولاية بروان، مواليد ١٣٦٩ هـ، يحمل إجازة في الشريعة من كابل، ينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٦) مطيع الله مطيع: من ولاية بكتيا، يحمل شهادة من المعهد العلمي العالي في بكتيا، ينتمي إلى الحزب الإسلامي «خالص».

(٧) فاروق أعظم: من ولاية قندهار، يحمل دكتوراه في الاقتصاد، ينتمي إلى الجبهة الإسلامية الوطنية.

(٨) علي أنصاري: من ولاية لوغار ومن مواليد ١٣٦٧ هـ، يحمل إجازة في الحقوق من جامعة كابل، وينتمي إلى الحزب الإسلامي حكمتيار.

(٩) واثق واعظ زادة: شيعي.

١٤" – دين محمد جران[1]: وزيراً للبحث العلمي.

١٥" – عبدالعزيز فروغ[2]: وزيراً للتخطيط.

وزارة المجاهدين الموقتة الثانية:

بعد مرور عام على تشكيل الوزارة الموقتة الأولى انعقد مجلس الشورى الأفغاني في مدينة «روالبندي» الباكستانية في مدينة الحجاج في المدة الواقعة بين ٥ رجب ١٤٠٩ هـ و ١٨ منه من العام نفسه (١٠ – ٢٣ شباط ١٩٨٩ م)، وقد ضمَّ المجلس ٣٩٩ عضواً من مختلف الولايات.

وقد مثّل الجمعية الإسلامية	٦٠ عضواً.
وقد مثّل الحزب الإسلامي «حكمتيار»	٦٠ عضواً.
وقد مثّل جبهة التحرير الوطنية الأفغانية	٥٩ عضواً.
وقد مثّل الحزب الإسلامي «خالص».	٥٨ عضواً.
وقد مثل الاتحاد الإسلامي	٥٦ عضواً.
وقد مثل الجبهة الإسلامية الأفغانية	٥٥ عضواً.
وقد مثّل حركة الانقلاب الإسلامي	٥١ عضواً.
	٣٩٩ عضواً.

وجرت الانتخابات، وأسفرت عن حصول زعماء هذه المنظمات على الأصوات الآتية:

١٧٤	صبغة الله مجددي	رئيس جبهة التحرير الوطنية الأفغانية
١٧٣	عبد رب الرسول سياف	رئيس منظمة الاتحاد الإسلامي
١٣٩	محمد نبي محمدي	رئيس حركة الانقلاب الإسلامي.

---

(١) دين محمد جران: من ولاية بكتيا يحمل ماجستير في الشريعة من الأزهر. وينتمي إلى جبهة التحرير الوطنية الأفغانية.

(٢) عبدالعزيز فروغ: من ولاية قندهار، يحمل ماجستير في الاقتصاد. وينتمي إلى الجبهة الإسلامية الوطنية.

١٣٦	قلب الدين حكمتيار	رئيس الحزب الإسلامي «حكمتيار».
١٠٢	محمد يونس خالص	رئيس الحزب الإسلامي «خالص».
٩٩	برهان الدين رباني	رئيس الجمعية الإسلامية الأفغانية
٨٦	أحمد جيلاني	رئيس الجبهة الإسلامية الوطنية.

فأسندت رئاسة الدولة إلى صبغة الله مجددي، ورئاسة الحكومة إلى عبد رب الرسول سياف، وتوزعت الحقائب الوزارية كالآتي:

١ ـ عبد رب الرسول سيّاف: رئيساً للحكومة.

٢ ـ محمد نبي محمدي: وزيراً للدفاع.

٣ ـ قلب الدين حكمتيار: وزيراً للخارجية.

٤ ـ محمد يونس خالص: وزيراً للداخلية.

٥ ـ برهان الدين رباني: وزيراً للإعمار.

٦ ـ أحمد جيلاني: رئيساً للقضاة.

٧ ـ نجيب الله الفرائي: وزيراً للإعلام والدعوة والإرشاد

٨ ـ أحمد شاه أحمد زي: وزيراً للاتصالات.

٩ ـ فاروق أعظم: وزيراً للتربية والتعليم.

١٠ ـ حاجي دين محمد: وزيراً للأمن الوطني.

١١ ـ محمد إسلام: وزيراً للزراعة.

١٢ ـ سيد محمد نادر: وزيراً للصحة.

١٣ ـ محمد شاه فضلي: وزيراً للبحث العلمي.

١٤ ـ هداية الله أمين أرسلان[1]: وزيراً للمالية.

١٥ ـ قاضي نجي الله: وزيراً للعدل.

---

(١) هداية الله أمين أرسلان: ولد عام ١٣٦٠ هـ، في ولاية كابل، يحمل دكتوراه في الاقتصاد، وينتمي إلى الاتحاد الإسلامي.

١٦ ـ شيخ عبدالرزاق[1]: وزيراً للحج والأوقاف.

١٧ ـ إيشان جان عريف[2]: وزيراً للمعادن والصناعة.

وتختلف الوزارة الثانية للمجاهدين عن الأولى في أنها تضم قادة المنظمات السبعة على حين لا تضم الأولى أي قائد، كما شملت إلى جانب القائد وزيراً أو وزيرين[3].

وحجزت أربع وزارات للشيعة الذين رفضوا الاشتراك بالوزارة إذ كانوا يطالبون بخمس حقائب وزارية وهي ما يمثل ثلث الوزارة على حين أن نسبتهم العددية لا تزيد على ٥٪ من مجموع السكان.

ويعد مدة اقترح قلب الدين حكمتيار إجراء انتخابات عامة في البلاد، وهو شاب مؤمن، عنده حماسة الشباب، متأثر بكثرة أفراد حزبه، وزيادة أبناء قبيلته، ثم هدّد بترك الوزارة إن لم تجر الانتخابات خلال ستة أشهر.

---

(١) شيخ عبدالرزاق: من ولاية قندهار، أحد العلماء البارزين، وينتمي إلى الحزب الإسلامي «خالص».

(٢) إيشان جان عريف: يحمل ماجستير في الهندسة، وينتمي إلى الجمعية الإسلامية.

(٣) كان الاتفاق من البداية أن يكون توزيع الوزارات حسب نتائج الانتخابات حيث يكون من نصيب:

الأولى: رئاسة الدولة + وزارة الصحة

الثانية: رئاسة الوزراء + وزارة الاتصالات.

الثالثة: وزارة الدفاع + وزارة البحث العلمي + وزارة الزراعة.

الرابعة: وزارة الخارجية + وزارة الحدود + وزارة العدل.

الخامسة: وزارة الداخلية + الحج والأوقاف + وزارة أمن الدولة.

السادسة: وزارة التعمير + وزارة الدعوة + المناجم والصناعة.

السابعة: وزارة القضاء + وزارة المالية + وزارة التربية.

وعُيّن محمد ياسر مستشاراً سياسياً لرئاسة الوزراء، وهو من التنظيم نفسه الذي ينتمي إليه رئيس الوزارة عبدرب الرسول سياف، وهو الاتحاد الإسلامي.

وعُيّن سيفنور الله عماد نائباً لوزير الاتصالات أحمد شاه أحمد زي وهما من تنظيم واحد، وهو الاتحاد الإسلامي أيضاً.

ولكن من الصعب أن تتمّ في مثل هذه الظروف، كما أن بقية القادة لا يوافقونه على رأيه. وهذا ما جعله يترك الوزارة أو يُعلّق عضويته فيها.

جهود الثورة:

استطاع المجاهدون الأفغان تحرير ست ولايات وهي: طخار، وباميان، وبادغيس، ونورستان، وكونار، وبكتيكا.

ولا يزال الوضع السياسي والعسكري كما هو، فالحكم في كابل شيوعي، ومحاصر في العاصمة، وفي المعسكرات، وعواصم الولايات غير المحررة، وانتقال القوات من مكانٍ إلى آخر يحسب له مائة حساب، ويجب أن يُحمى بالطيران والمدرعات، وهذان السلاحان يفتقدهما المجاهدون.

ويحاصر المجاهدون قوات النظام، والعاصمة، وبعض المعسكرات ويقصفها بالصواريخ والمدافع من غير جدوى، ويرجع ذلك إلى الدعم الروسي للنظام الشيوعي الأفغاني، ومع أن الشيوعية قد انهارت، وقد يتوقّف هذا الدعم، ولكن لن يكون لذلك الأثر الكبير نتيجة الخلافات القائمة بين المنظمات الإسلامية الأساسية، ثم توقّف الإمداد بالأسلحة بعد حرب الخليج التي أثارها الحاكم العراقي صدام حسين إثر احتلال الكويت، والسيطرة الأمريكية على العالم بعد انهيار الشيوعية العالمية، وبداية تفكك الإمبراطورية الروسية، حيث لم تعد الولايات المتحدة الأمريكية تخشى من منافسة الروس، ولا تُبالي بالنظام الأفغاني أياً كان نوعه إذ هي تحارب الإسلام ولا يُهمّها أبداً انتصار المجاهدين، فهي تتركهم ليدبّ اليأس وتنكمش المنظمات الإسلامية تلقائياً، كما تترك النظام الشيوعي لينتهي تدريجياً.. ومع الزمن سيملّ الناس هذا الموقف الجامد فيتحركون ويقوم نظام ترضى عنه الولايات المتحدة، ويتوقّف نشاط المجاهدين مع الحركات الإسلامية الأخرى في بقية الأمصار نتيجة الحرب الصليبية وما يرفدها من صهاينة وأتباع، وهذا ما تسعى إليه الولايات المتحدة وتخطط له.

كما أن نشاط المجاهدين قد خفّ بعد حرب الخليج بسبب توقف الدعم الصحي، والدعم المالي الذي كان يأتي من بعض دول الخليج وخاصةً من السعودية والكويت، حيث توقّف هذا نتيجة احتلال حاكم العراق للكويت، فالركود هو السمة العامة الآن للثورة الإسلامية في أفغانستان، ويحتاج الأمر إلى تفاهم جهود المجاهدين ووحدتهم قبل ضياع الفرصة.

استمر القتال رغم اتفاقية جنيف وذلك لأن الأسلحة استمرت تتدفق إلى الحكومة الأفغانية الشيوعية وأعوانها. وقد ظهرت قوة المجاهدين بانسحاب القوات الروسية، وفي شهر ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ (نهاية تشرين الثاني ١٩٨٨ م) جرت محادثات جانبية في محاولةٍ لتفرقة صفوف المجاهدين فقد أجرى روس رسميون محادثات مباشرة مع ممثلي بعض منظمات المجاهدين في بيشاور بباكستان، وعقدت مباحثات عالية المستوى بالمملكة العربية السعودية في جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ (أواخر كانون الأول ١٩٨٨ م) بين برهان رباني رئيس الجمعية الإسلامية ويولي فورنتسوف الذي كان قد عُيّن مؤخراً سفيراً للإمبراطورية الروسية في أفغانستان (في الوقت الذي احتفظ به بمنصبه وكيلاً أول للخارجية الروسية. ولكن انهارت هذه المباحثات على كل حال عندما كرر قادة المجاهدين مطالبتهم بعدم مشاركة أي عضوٍ من نظام الرئيس نجيب الله محمد في أية حكومةٍ أفغانية مقبلة على حين أصرّ الروس على وجود دورٍ بارزٍ لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني في الحكومة.

ورغم عنف القتال فإن الروس قد سحبوا قواتهم جميعها من أفغانستان في ١٠ رجب ١٤٠٩ هـ (١٥ شباط ١٩٨٩ م) تحت الضغط، ولمصلحة روسيا الداخلية، وحسب اتفاقية جنيف.

زاد المجاهدون من نشاطاتهم العسكرية، وحاصروا عدة مدن، دون أن يتمكنوا من دخول واحدة منها، وبقيت سيطرتهم مقتصرة على المناطق

الريفية وعدة عواصم إقليمية صغيرة. كما فشلت المحادثات بين الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان وبين حزب الوحدة الإسلامية الذي يتخذ من إيران قاعدةً له، وهو تحالف بين ثماني مجموعات شيعية أفغانية وكانت ترمي تلك المحادثات إلى الاتفاق حول تشكيل حكومةٍ انتقاليةٍ موسّعة.

واجتمع مجلس الشورى الأفغاني في رجب ١٤٠٩ في روالبندي في باكستان وتمّ اختيار حكومة انتقالية في المنفى، عُرفت باسم الحكومة الأفغانية الانتقالية، ولكن لم تعترف بها سوى أربع حكومات فقط، إلا أنها منحت عضوية منظمة المؤتمر الإسلامي، وبالإضافة إلى ذلك فقد عيّنت الحكومة الأمريكية مبعوثاً خاصاً لدى المجاهدين بمرتبة سفير شخصي.

وفي شهر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ (حزيران ١٩٨٩ م) أخذت قوة المجاهدين تضعف نتيجة الصراع والقتال بين المنظمات الإسلامية.

وفي مطلع عام ١٤١٠ هـ (آب ١٩٨٩ م) علّق الحزب الإسلامي (حكمتيار) عضويته في الحكومة الأفغانية الانتقالية.

بدأ دعم المجاهدين يقلّ بناءً على مرئيات الولايات المتحدة، فانخفض ما يصل إليهم من باكستان وجزيرة العرب، بحجة التقليل من حدة الصراعات بينهم.

وفي أوائل جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (مطلع عام ١٩٩٠ م) جرت محاولات من جانب الحكومة الأفغانية الانتقالية لتشكيل مجلس شورى بهدف تأليف حكومةٍ جديدةٍ وموسّعة تكون بديلاً لنظام الحكم في كابول الغارق في الخصومات الطائفية.

وفي ذي القعدة ١٤١١ هـ (أيار ١٩٩١ م) بعد مفاوضات مستفيضة مع القوى الإقليمية ذات العلاقة بالأزمة أصدر الأمين العام للأمم المتحدة إعلاناً يتألف من خمسة مبادئ لإجراء تسوية، ومن أهم النقاط التي تضمنها الإعلان:

١ ـ الاعتراف بالسيادة الوطنية لأفغانستان.

٢ ـ حق الشعب الأفغاني في اختيار حكومته والنظام السياسي الذي يريد ممارسته.

٣ ـ إنشاء جهاز للإشراف على انتخاباتٍ حرةٍ ونزيهةٍ لتشكيل حكومةٍ موسعة.

٤ ـ وقف إطلاق النار بإشراف الأمم المتحدة.

٥ ـ الدعم المالي الكافي لعودة اللاجئين، وإعادة الإعمار.

وقد وافقت حكومتا باكستان وأفغانستان على الإعلان غير أن حكومة الأفغان الانتقالية قد رفضته.

واستمرّت حكومة كابول في طرح فكرة المصالحة الوطنية، وجرت لقاءات مع بعض منظمات المجاهدين وقد طرحت فكرة إعادة الملك السابق محمد ظاهر شاه الذي أعادت له حكومة كابول الجنسية الأفغانية في ربيع الأول ١٤١٢ هـ (أيلول ١٩٩١ م)، ويبدو أن بعض المنظمات قد وافقت على هذه الفكرة.

انخفض الدعم للمجاهدين في محاولةٍ للتأثير عليهم، ولكنهم تمكّنوا من الاستيلاء على مدينة «خوست» في رمضان عام ١٤١١ هـ (نهاية آذار ١٩٩١ م)، وقاموا بهجمات على عدة مدن كبرى مثل: جلال أباد، وغزنة، وقندهار، وهراة، وغارديز، وتعطلت المواصلات.

وفي ربيع الأول ١٤١٢ هـ (منتصف أيلول ١٩٩١ م) أعلنت الولايات المتحدة والإمبراطورية الروسية وقف إمدادات السلاح إلى الأطراف المتحاربة، وطُلب كذلك من باكستان وإيران والسعودية، أن تقوم بالعمل نفسه في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ (الأول من كانون الثاني ١٩٩٢ م) وقد تمت الموافقة على ذلك.

ورغم الترحيب بوقف إطلاق النار من الأطراف كافة غير أنه لم يحدث

بل زاد القتال ضراوةً وخاصةً حول العاصمة كابول. وحثّت باكستان المجاهدين على قبول إعلان الأمم المتحدة.

زادت الانقسامات القبلية في القوات الحكومية، وتمرّدت القوات غير النظامية من جماعة الأوزبك بقيادة رشيد دوستم، فاستولى المجاهدون على مدينة مزار شريف في أواخر رمضان ١٤١٢ هـ (آذار ١٩٩٢ م).

استولى المجاهدون من أتباع الجمعية الإسلامية بقيادة أحمد شاه مسعود على قاعدة «بغرام» ذات الموقع الحساس، وعلى المدينة المجاورة لها «تشاريكار» فأصبح موقف نظام كابول في حرج فضغط حزب الوطن على رئيسه نجيب الله محمد فقدّم استقالته في ١٤ شوال ١٤١٢ هـ (١٦ نيسان ١٩٩٢ م)، وأصبح يعيش متخفياً على العاصمة تحت حماية الأمم المتحدة، وقام بالأمر مكانه أحد مساعدي نواب الرئيس وهو عبد الرحيم هاتف فشغل منصب رئيس الجمهورية بالنيابة.

وخلال أيام من سقوط الرئيس نجيب الله محمد أصبحت مدن أفغانستان الرئيسية تحت سيطرة مختلف تحالف جماعات المجاهدين. وصدرت أوامر أحمد شاه مسعود في بيشاور للاستيلاء على كابول بالتعاون مع قادة المجاهدين الآخرين.

وفي ٢٣ شوال ١٤١٢ هـ (٢٥ نيسان ١٩٩٢ م) دخلت قوات أحمد مسعود، وقوات قلب الدين حكمتيار التي كانت محتشدة جنوب العاصمة كابول، وسلّم الجيش مواقعه الرئيسية. كما سلّم المجلس العسكري - الذي حلّ منذ بضعة أيام محلّ الحكومة - السلطة للمجاهدين بعد أن نبذ قادة المجاهدين في بيشاور اقتراح الأمم المتحدة بتشكيل هيئة محايدة، وعملوا على إنشاء مجلس جهاد إسلامي موقت يضمّ واحداً وخمسين عضواً، وكان من المقرر أن يتسلّم صبغة الله مجددي قائد جبهة التحرير الوطنية الأفغانية مدة شهرين، ويتشكل بعد تلك المدة مجلس مؤلف من عشرة أعضاء من قادة

المجاهدين وبرئاسة أمير الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني لمدة أربعة أشهر، وأثناء الشهور الستة كان من المقرر أن يجتمع مجلس خاص لتعيين إدارة انتقالية تتولى السلطة لمدة سنة ريثما يتم إجراء انتخابات.

وصل صبغة الله مجددي إلى كابول ٢٦ شوال ١٤١٢ هـ (٢٨ نيسان ١٩٩٢ م) بصفته رئيس الإدارة الانتقالية الجديدة. ولكن لم يجتمع مجلس الجهاد الإسلامي لمعارضة قلب الدين حكمتيار، ولم تمض سوى بضعة أيام حتى فقدت قوات حكمتيار سيطرتها على معاقلها التي كانت ترابط فيها وسط العاصمة.

وخلال أسابيع قليلة حصلت حكومة دولة أفغانستان الإسلامية المعلنة حديثاً على اعتراف سياسي عالمي تقريباً.

وفي أوائل ذي القعدة ١٤١٢ هـ (أوائل أيار ١٩٩٢ م) اجتمع نصف أعضاء مجلس الجهاد الإسلامي، وتشكل مجلس وزراء بالنيابة، وأعطي فيه أحمد شاه مسعود حقيبة وزارة الدفاع، وترك منصب رئاسة الوزراء إلى عبد الصبور فريد من الحزب الإسلامي (حكمتيار) إلا أنه من قبائل الطاجيك، وقد رفض قلب الدين حكمتيار هذا المنصب.

وأخذت تظهر السمات الإسلامية الأساسية إذ منعت الخمور والمخدرات، وظهرت النساء المحجبات. ولكن الصراع استمرّ بين فصائل المجاهدين، وكان حكمتيار ينتقد بشدّة وجود قوات الأوزبك غير النظامية بقيادة رشيد دوستم في العاصمة لذا أخذ يقصف كابول بالمدفعية.

وقبل موسم الحج وقّع قلب الدين حكمتيار وأحمد شاه مسعود اتفاقية سلام بينهما، ولكن لم تكن تلك إلا لمرحلة بسيطة، إذ عاد القتال وساهمت فيه قوات الرافضة التي تدعمها إيران.

وفي ٢٨ ذي الحجة ١٤١٢ هـ (٢٨ حزيران ١٩٩٢ م) سلّم صبغة الله مجددي السلطة إلى مجلس القيادة الذي قدّم منصب رئاسة الدولة فوراً إلى

برهان الدين رباني مع المسؤولية المقترنة بمجلس وزراء انتقالي لمدة أربعة أشهر حسب اتفاقية بيشاور، وفي أول يومٍ من عام ١٤١٣ هـ (الأول من تموز ١٩٩٢ م) تسلّم عبد الصبور فريد وهو صديق حميم لقلب الدين حكمتيار منصب رئاسة الوزراء.

أعلن برهان الدين رباني عند توليه رئاسة البلاد تبنّي علم جديد للبلاد، وإنشاء مجلس اقتصادي لمعالجة مشكلات البلاد الاقتصادية الحادة، وتعيين لجنة لصياغة دستور جديد.

وفي أوائل صفر ١٤١٣ هـ (أوائل آب ١٩٩٢ م) انسحب أعضاء جماعة الحزب الإسلامي (خالص) من مجلس القيادة فحدثت تصدّعات خطيرة داخل الحكومة. كما استمرّ العنف بين المجاهدين في العاصمة، وقامت قوات حكمتيار بهجوم عنيف على كابول، وأغلقت المطار، فما كان من الرئيس برهان الدين رباني إلا أن أعلن فصل قلب الدين حكمتيار من مجلس القيادة وطرد عبد الصبور فريد من منصب رئاسة الوزراء. وطالب حكمتيار إخراج خمسة وسبعون ألفاً قوات الأوزبك غير النظامية وقائدها رشيد دوستم من العاصمة لصلته بالنظام الشيوعي البائد، وعدّ حكمتيار هذا الطلب شرطاً مسبقاً للمحادثات والاتفاق على وقف إطلاق النار.

وفي نهاية شهر صفر ١٤١٣ هـ تمّ الاتفاق بين رباني وحكمتيار على وقف إطلاق النار، وبعد بضعة أيام تمّ فتح مطار كابول. واستمرّ القتال بين جماعة حكمتيار وجماعة الأوزبك في العاصمة وبعض الأقاليم.

وفي أوائل ربيع الأول ١٤١٣ هـ (أوائل أيلول ١٩٩٢ م) عملت وزارة الدفاع على إخلاء العاصمة من العناصر المسلحة.

وفي أواخر ربيع الثاني ١٤١٣ هـ (نهاية تشرين الأول ١٩٩٢ م) وافق مجلس القيادة على تجديد مدة رئاسة برهان الدين رباني شهرين آخرين.

وفي ٦ رجب ١٤١٣ هـ (٣٠ كانون الأول ١٩٩٢ م) تشكل مجلس

استشاري خاص عُرف باسم «مجلس أهل الحل والعقد» ويضم ١٣٣٥ عضواً من مشايخ القبائل، وقد عقد في كابول، واختار المجلس برهان الدين رباني المرشح الوحيد رئيساً للدولة لمدة سنتين أخريين، وبعد بضعة أيام تمّ اختيار مائتي عضو للمجلس الاستشاري الذي سيكون بمثابة هيئة تشريعية للبلاد.

أثار تأسيس المجلس الاستشاري، وإعادة انتخاب الرئيس برهان الدين رباني مزيداً من القتال في كابول وأقاليم أخرى في أوائل شهر رجب ١٤١٣ هـ (مطلع عام ١٩٩٣ م) لأن قلب الدين حكمتيار لم يكن راضياً عن هذا كله. وبسبب العنف الذي ازداد سوءاً غادرت البعثات السياسية العربية كابول في نهاية شهر رجب ١٤١٣ هـ (أواخر كانون الثاني ١٩٩٣ م).

في أوائل شهر رمضان ١٤١٣ هـ (أوائل آذار ١٩٩٣ م) عقد الرئيس برهان الدين رباني، وقلب الدين حكمتيار، وصبغة الله مجددي وقادة جماعات المجاهدين الرئيسية الأخرى في مفاوضات في العاصمة الباكستانية إسلام أباد انتهت بتوقيع اتفاقية سلام. وبموجب بنود الاتفاقية تتألف حكومة انتقالية تتسلّم السلطة مدة ثمانية عشر شهراً، ويبقى برهان الدين رباني في منصب رئاسة الدولة، ويتولّى قلب الدين حكمتيار أو من يختاره رئاسة الوزراء الانتقالية ويسري وقف إطلاق النار فوراً، وتجرى انتخابات تشريعية خلال ستة أشهر، وتُشكل لجنة للدفاع تضم ستة عشر عضواً تكون مسؤولةً عن إنشاء جيش وطني، وجمع الأسلحة من الفئات المتصارعة كلها في سبيل استعادة النظام والأمن، وتمت المصادقة رسمياً على اتفاقية السلام، ووقعت عليها حكومات باكستان، والمملكة العربية السعودية، وإيران.

وفي مواجهة المهمة الصعبة المتمثّلة في تلبية مطالب مجموعات المجاهدين كلها لم يتمكّن قلب الدين حكمتيار من تقديم مجلس وزراء جديد حتى أوائل ذي الحجة ١٤١٣ هـ (أواخر أيار ١٩٩٣ م)[1]، وقد منح

(١) تشكلت الوزارة على النحو الآتي:

١ ـ قلب الدين حكمتيار: رئيس الوزراء.

كل تنظيم من تنظيمات المجاهدين منصبين وزاريين، وتُركت حقائب أخرى شاغرة لممثلين آخرين، ومنح لممثلي مجموعة رشيد دوستم حقيبتين في محرم ١٤١٤ هـ (تموز ١٩٩٣ م). ومما يمكن ملاحظته أن حكمتيار قد أبعد أقوى خصومه وهو أحمد شاه مسعود عن وزارة الدفاع. وقد وعد رئيس الوزراء الجديد إجراء انتخابات في ربيع الثاني ١٤١٤ هـ (تشرين الأول).

---

٢ ـ قطب الدين هلال: نائب أول لرئيس الوزراء.
٣ ـ محمد أرسالا رحماني: نائب رئيس الوزراء، ووزير التوجيه الديني والأوقاف.
٤ ـ هداية أمين أرسالا: وزير الخارجية.
٥ ـ سيد عمر منيب: وزير التعليم العالي والمهني.
٦ ـ أحمد شاه أحمد زاي: وزير الإسكان وإعمار المدن.
٧ ـ محمد أيوب: وزير المياه والطاقة.
٨ ـ محمد أيوب فاطمي: وزير الصحة العامة.
٩ ـ محمد علي جاويد: وزير التخطيط.
١٠ ـ قاضي محمد أمين وقّاد: وزير الاتصالات.
١١ ـ جليل الله مولوي زاده: وزير التربية والتعليم.
١٢ ـ محمد فاروق عزام: وزير إعادة توطين اللاجئين.
١٣ ـ سيد محمد: وزير الإنشاء والإعمار.
١٤ ـ حياة الله بلاغي: وزير التجارة.
١٥ ـ سيد حسين أنوري: وزير العمل والشؤون الاجتماعية.
١٦ ـ عبد الكريم خليلي: وزير المالية.
١٧ ـ نور الله عماد: وزير الزراعة.
١٨ ـ محمد خليل زُهاد: وزير النقل.
١٩ ـ والنجان واثق: وزير الإعلام والثقافة.
٢٠ ـ إسحاق جوهري: وزير التنمية الريفية.
٢١ ـ سليمان جيلاني: وزير الشؤون الحدودية.
٢٢ ـ حميد الله طرزي: وزير مستشار الشؤون الاقتصادية.
٢٣ ـ ملاوي عبد الرحيم: وكيل وزارة العدل.
وبالإضافة إلى ذلك أنشئت هيئتان خاصتان كلفتا بمسؤوليات وزارتي الدفاع والداخلية.

وكان مقر الحكومة المؤقتة في «تشاراسياب» وهي قاعدة حكمتيار العسكرية، وتقع على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب كابول.

وعلى الرغم من توقيع اتفاقية السلام في إسلام آباد في شهر رمضان ١٤١٣ هـ (آذار ١٩٩٣ م) إلا أن الصراع بين مختلف مجموعات المجاهدين لم يتوقّف. وذُكر أنه تمّ إعداد مسودة دستورٍ جديدٍ، عُرف باسم «القانون الأساسي»، وأن لجنة قد صادقت عليها استعداداً لإجراء الانتخابات العامة.

عاد الخلاف يظهر من جديد بين رئيس الدولة برهان الدين رباني ورئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار، بل لم يختف إلا موقتاً، ولا يزول إذ يعتمد على العصبية القبلية، وتحركه الدوافع الشخصية، ويزيد من أوار ماضي الخلافات. واشتد الصراع، ولم تستطع النزعات الإيمانية عند الطرفين أن تكبحه، فاستغلّ رشيد دوستم هذا الصراع، وانضمّ إلى أحد الفريقين في سبيل إضعاف الطرفين ثم ضربهما معاً، وقطف الثمرة لنفسه فانحاز إلى الرئيس برهان الدين رباني، فوجد حكمتيار ذلك فرصة للهجوم على خصمه باتهامه بالتعاون مع الشيوعيين في سبيل مصلحته، وحبّه للمنصب، إضافة إلى اتهامه بالارتباط مع الدوائر الاستعمارية، وشدّد في اتهاماته وفي هجومه على خصمه. وفرض الحصار على كابول.

ووجد رشيد دوستم فرصة أخرى لضرب الطرفين حيث ترك برهان الدين رباني وانحاز إلى خصمه حكمتيار في سبيل إظهار بطلان كلام حكمتيار، وكشف القناع عن حقيقته بأنه صاحب مصلحة إذ رضي بالتعاون مع من كان يعدّه سبب الفساد، وموطن السوء، وبؤرة العفن والإلحاد بشيوعيته، والموافقة على التعاون معه معناه أن الغاية عند حكمتيار تبرر الوسيلة التي تتخذ للوصول إلى الغاية. كما أن دوستم قد شعر أن الوقوف بجانب حكمتيار قد يكون أقرب له للوصول إلى هدفه إذ أن حكمتيار أكثر قوة، وأعزّ نفراً.

أدار دوستم ظهر المجن إلى رباني، وانقلب عليه، وحاصر كابول إلى

جانب حكمتيار، وأخذ في قصف العاصمة. ولما بدأ اللوم يُوجّه إلى حكمتيار بتعاونه مع دوستم والسير في طريق كان ينتقدها أشدّ النقد، أخذ يدّعي أنه لا يتعاون مع دوستم، فكل منهما يحاصر كابول من جهة، ولا يشترك معه في قصف العاصمة، بل كل منهما يقوم بالهجوم الذي يراه دون أي تنسيق بينهما، ولم يكن هذا الكلام سوى محاولة لتبرير موقفه، وهو مرفوض إسلامياً، وعسكرياً. ونتيجة هذه الصراعات أصبح دوستم هو الأقوى، وكل يرغب بالتنسيق معه لضرب خصمه.

ضاق سكان كابول ذرعاً بهذا الوضع الذي يدعي قادته أنهم يجاهدون، وأنهم يعملون في سبيل الله، ويرمون إلى تطبيق الإسلام، غير أن الأهالي لم يروا من هذا سوى البؤس، والدمار، وقتل الأبرياء فهذا الوضع والحكم الشيوعي سواء. ولم يرعو أحد الطرفين، ولم يفكر بالإسلام، ولم يمنعه إيمانه من هذا السلوك، وكذا كانت نظرة المسلمين في كل بقعة من العالم نظرة طيبة إلى هذين الفريقين، بل إن أعداء الإسلام قد اتخذوا من هذا التصرّف وسيلة للهجوم على الإسلام، وفكرة الجهاد التي يحملها هؤلاء المتنازعون على السلطة. وطال الأمر على أهل أفغانستان، واشتدّ الكرب.

كانت الدوائر الصليبية ومن يأتمر بأمرها تُثير نار الفتنة سراً بين الطرفين، وتُحرّك الشرّ بين الفريقين، وتمدّ بالخفاء الجانبين بالسلاح في سبيل زيادة القتل من الخصمين ما داموا من المسلمين كسياسة صليبية عامة وفي الوقت نفسه لإظهار أن المسلمين ليسوا أهلاً للحكم، وأن الإسلام ليس بمنهج للحياة بصفة أن هؤلاء المتنازعين من المسلمين الملتزمين بل من المتشددين، وقد نهضوا مجاهدين ونادوا بذلك.

أصبح المسلمون عامةً والأفغان خاصةً يتمنّون الخلاص مما هم عليه لما يعانون، ويحرصون على الحلّ بأي شكل، وتظهر فجأة في رمضان ١٤١٥ هـ (شباط ١٩٩٥ م) حركة تُطلق على نفسها اسم «طالبان»، وتبدأ بالاستيلاء على جزء بعد آخر بسرعة وتأييد، ولم تُعرف هويتها بعد، غير أن

سوء الوضع قد جعلها تلقى التأييد، ولم تدر بعد ما النتيجة؟ غير أن الزعماء خارج دائرة الخصمين العنيفين أخذوا بتأييد حركة «طالبان».

القضية الطاجيكية:

توترت العلاقات بين أفغانستان وطاجيكستان بسبب العجز الواضح وعدم الرغبة من جانب الحكومة الأفغانية في منع مقاتلي المجاهدين الأفغان وإرسال الأسلحة عبر الحدود إلى طاجيكستان.

وفي مطلع عام ١٤١٣ هـ (تموز ١٩٩٢ م) قام رئيس الجمعية التشريعية الطاجيكية «اكبارشو إسكندروف» بزيارة أفغانستان، طالباً من الحكومة الأفغانية منع وصول مزيد من الأسلحة إلى قوات المعارضة «التحالف الديمقراطي الإسلامي»، وكان الظنّ أن الحزب الإسلامي (حكمتيار) هو المصدر الرئيسي للأسلحة، وأنه قد أقام معسكرات تدريبية داخل أفغانستان لمقاتلي الطاجيك الإسلاميين. وقد نفى مسؤولو الحزب الإسلامي هذه الادعاءات.

وزادت العلاقات سوءاً بين الحكومتين انتخاب حكومة طاجيكية جديدة مؤيدة للشيوعية في منتصف عام ١٤١٣ هـ (أواخر عام ١٩٩٢ م). وفي شهر شوال ١٤١٣ هـ (نيسان ١٩٩٣ م) احتجت الحكومة الطاجيكية لدى السلطات الأفغانية لقيام غارات عبر الحدود في سبيل مساعدة ثوار التحالف الديمقراطي الإسلامي. وبالمقابل فقد أعلنت الحكومة الأفغانية أن القوات الروسية في طاجيكستان قد هاجمت بعض القرى الأفغانية في أقاليم «باداخشان» و«طخار» و«قندوز» وقتلت عدداً من السكان. وأكّدت الحكومة الأفغانية ثانية أنها لم تتورط بأي شكل في الصراع الطاجيكي الداخلي، وطالبت بسحب القوات الروسية من المنطقة الحدودية.

وفي شهر صفر ١٤١٤ هـ (آب ١٩٩٣ م) قام وزير الخارجية الأفغاني هداية أمين أرسلا بزيارة العاصمة الطاجيكية (دوشنبي) لعقد محادثات مع

الحكومة الطاجيكية، ونتيجةً لهذه المحادثات أعلن الوزير الأفغاني أنه يرغب بالقيام بدور الوسيط بين السلطات الطاجيكية والثوار المسلمين الذين كانوا يهاجمون قوات الحكومة الطاجيكية من قواعد لهم في شمالي أفغانستان.

وقُدّر عدد اللاجئين الطاجيك في أفغانستان في مطلع عام ١٤١٤ هـ (تموز ١٩٩٣ م) بستين ألف لاجئ.

الفصل الرابع

الصراعات الداخلية

تبلغ مساحة أفغانستان ستمائة وخمسون ألف كيلومتر مربع، ويبلغ عدد السكان ما يقرب من عشرين مليون، وهو عدد قليل بالنسبة إلى المساحة حيث لا تزيد الكثافة على ٣٠ شخص في الكيلومتر المربع الواحد بسبب كثرة المرتفعات التي تشغل ٨٠٪ من المساحة العامة للبلاد، إضافةً إلى المناطق الأخرى شبه الصحراوية التي تُشكّل مساحات واسعة أيضاً، وهذا ما يجعل ٤٠٪ من السكان يمتهنون الرعي. ويرجع السكان في أصولهم إلى عدة مجموعاتٍ جنسيةٍ وهي:

١ ـ البشتو: ويشكلون ٥٠٪ من سكان البلاد، ويعيشون شمال جبال هندكوش، وإلى الجنوب منها، وهم مزيج من العناصر التركية والفارسية، ويعرف الفرع الجنوبي من هذه القبائل باسم (الغلزة) وتنتشر هذه القبائل أيضاً في شمال غربي باكستان في مناطق الحدود، ويعرفون هناك باسم (البتان).

٢ ـ الطاجيك: ويشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان، وهم عناصر فارسية يعيشون في الأودية العليا من إقليم (بادخشان)، ويمتدون حتى الغرب.

٣ ـ الأوزبك: ويقيمون في الشمال تتمةً للسكان الذين يعيشون في المناطق التي يُسيطر عليها الروس، في بلاد الأوزبك، وبلاد التركمان،

ويشكل الأوزبك ٥ ٪ من مجموع السكان، بينما لا تزيد نسبة التركمان على ٢ ٪ من مجموع السكان، وبذا فالأتراك يشكلون ٧ ٪ من مجموع السكان.

٤ ـ البالوخ: ويشكلون ٢ ٪ من مجموع السكان، ويُقيمون في الجنوب في مناطق الحدود الجنوبية مع باكستان، وتمتدّ هذه القبائل داخل باكستان حيث تعيش أكثريتها هناك.

٥ ـ الكنافير: مجموعة قليلة العدد تعيش في الشمال الشرقي، ويعرفون باسم (النوريون) بعد أن تحوّلوا إلى الإسلام في بداية القرن الماضي، وكانوا من قبل يتبعون البوذية.

٦ ـ الهزّارة: ويعودون إلى أصولٍ مغولية، ولا يصل عددهم إلى المليون، ويتبعون المذهب الشيعي على حين أن المجموعات السابقة كلها من المسلمين (السنة). ويُقيم الهزّارة في المرتفعات الوسطى.

وهناك مجموعات قليلة من العرب، والهنود، والصينيين ولا شك أن العرب مسلمون بينما الهنود والصينيون بعضهم من المسلمين وبعضهم الآخر من غير المسلمين.

العقيدة:

يدين ٩٩ ٪ من سكان أفغانستان بالإسلام، إن لم نقل جميعهم لأن هناك قلّة من الهندوس، والبوذيين من الهنود والصينيين، ولا تصل نسبتهم أبداً إلى ١ ٪، ويشكل المسلمون (السنة) ٨٨ ٪ من مجموع السكان، والباقي وهو ١٠ ٪ فقط من الشيعة، وهم الهزّارة، وبعض الفرس الذين يُقيمون على مقربةٍ من حدود إيران، وخاصةً في مدينة (هراة) وما حولها.

الصراع العنصري:

لم تحدث صراعات في أفغانستان على أساسٍ عنصريٍ لأنه لا توجد عصبيات عرقية، إذ أن معظم السكان يعودون إلى أصولٍ فارسيةٍ أو

تركيةٍ أو مزيجٍ من هذين الأصلين، والمجموعات الأخرى من بالوخ وغيرها ليست بالحساب لتُصارع غيرها، وإذا حدثت اختلافات أو وقعت غارات فإنما هي بين القبائل أو على المدن، وسكان الوديان في سبيل النهب.

الصراع العقيدي:

لما كان السكان جميعهم تقريباً أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ لذا لم تقع خلافات تعود إلى أصلٍ عقيدي. حتى الشيعة كانوا يعدون من المسلمين ما داموا يقولون ذلك، ويؤدّون العبادات شأنهم في ذلك شأن الآخرين من السكان المسلمين، فالناس معظمهم من العامة لا يبحثون بالعقائد، بل ليست في ساحة تفكيرهم وإنما يكتفون بالظاهر وحسبهم ذلك، فلما قامت في إيران ما عُرف بالثورة الإسلامية، وأعلنت تتحرّك باسم الرافضة، وتحاول أن تمدّ يدها تحت هذه المظلّة إلى أفغانستان، بدأت التفرقة، وأخذ الدعم يصل إلى الشيعة فقط، وصار الحديث باسمهم، وغدت إيران الناطق الرسمي باسمهم، فتفتّحت العيون، وظهر الانقسام، ولكن قلّة الشيعة لا تسمح لهم بدخول الصراع غير أن الدعم والتحريض قد جعل لهم شأناً من الجانب السياسي والإعلامي فقط، وربما حدث صراع في المستقبل إن استمرت الأمور تمشي في هذه الطريق، وأصبح الدعم يُشكّل من القلّة قوةً يمكنها دخول ميدان الصراع مع الكثرة الساحقة التي لا يواكي لها.

وهذا الانتماء إلى عقيدةٍ واحدةٍ قد جعل السكان يهبّون جميعاً في وجه المستعمرين الصليبيين ويُحرزون النصر عليهم رغم التباين في القوة المادية. لقد انتصر المسلمون في أفغانستان على الإنكليز في الحرب (١٢٥٥ ـ ١٢٥٨ هـ) وفي الحرب (١٢٩٥ ـ ١٢٩٦ هـ)، وأُبيد الجيش الإنكليزي في أولى هاتين الحربين، كما انتصر المسلمون الأفغان على الغزاة الروس الذين غشوا البلاد عندما دخلوها عام ١٤٠٠ هـ، ثم أُجبروا على الانسحاب. لقد عدّ الأفغان هذه الحروب حروباً عقيدية فاندفعوا

يلوذون من دينهم. وليس في البلاد من ينتمي إلى عقيدة الصليبيين ليُساعدوهم وليقفوا إلى جانبهم، ولينقلوا إليهم أخبار المسلمين، كما حدث في أمصار إسلامية أخرى. غير أنه وجد - مع الأسف - في هذه الأونة الأخيرة من أبناء البلاد من يرتبط مع الغزاة الروس برابط الإلحاد والحزبية، ومع المستعمرين الصليبيين الغربيين برابط العلمانية والفكر المادي، وهذا ما جعل صفوفنا مخترقةً وحصوننا مهددةً من داخلها بأعوان الصليبيين.

الصراع الحزبي:

لم تكن هناك أحزاب في بلاد الأفغان، ولم يكن الناس ليهتمّوا بأمور السياسة والمشكلات الدولية، وموضوع الحكم، وإنما كانوا منصرفين إلى تأمين حياتهم المعاشية، وجلّ ما يعرفون أن الصليبيين يدخلون في صراعاتٍ فيما بينهم للسيطرة على بلاد غيرهم في سبيل استغلال الأرض واستعباد العباد، وأنهم يُعادون المسلمين، وهمّهم إبادة المسلمين أو إخراجهم من دينهم لذا فهم على استعدادٍ للجهاد في سبيل الله صدّهم فيما إذ اقتربوا منهم، وهم يعلمون علم اليقين أن مجيء الصليبيين إن جاءوا لم يكن إلا للنيل من الإسلام.

ورأى الأفغان الصراع بين الدول النصرانية فظنّوا من باب الغفلة أو الجهل أن ذاك الخلاف في سبيل السيطرة، والسباق على امتلاك مصادر الثروة، ومدّ النفوذ، ولكنهم لم يلبثوا أن توصّلوا إلى حقيقة وهي أن الصراع بين الدول الصليبية وأحلافها ومعسكراتها لم يكن إلا خلافاً ظاهرياً وسياسياً بالدرجة الأولى فإذا ظهرت انطلاقة إسلامية، أو وُجدت صحوة، أو حصل المسلمون على نصرٍ، أو أصابهم خير إذا بالصليبيين يُسرعون إلى اللقاء، ويزول كل خلافٍ بين المعسكرات، وينتهي كل صراع بين الأحلاف، ويقف الجميع في وجه المسلمين ليردعوهم، ثم تحدث تصفية الحساب وتوزيع الغنائم، وتعود بعدها الحرب الباردة التي كانت من قبل

وكان الأفغان ينظرون إلى صلة حكومتهم مع هذا الخصم الصليبي أو ذاك على أنها نوع من التعاون الدولي، وتسيير المصالح، وتبادل المنافع الاقتصادية من التجارة والسلاح وغير ذلك، ويُفسّرها بعضهم على أنها السياسة، ولا يعرفون للسياسة غير هذا المعنى لذا فهم يكرهونها. . . ويصبّون عليهم كلمات البغض والكراهية.

وبعد الحرب العالمية الثانية عادت الحرب الباردة بين الرأسماليين والشيوعيين، وبدأت محاولات التسلّل ومدّ النفوذ إلى البلدان المجاورة، والمناطق الغنية، والبقاع ذات الأهمية الخاصة. وكان الروس قد وطّدوا أمرهم في مستعمراتهم في بلاد القفقاس وآسيا الوسطى تلك المناطق القريبة لبلاد الأفغان والتي تجاور بعضها بعضاً، بعد أن أصابها ما أصابها أثناء الحرب العالمية الثانية إذ اهتزت الأرض تحت أقدام الروس في بعض الأجزاء، كما زلزلت في أجزاء أخرى مثل جمهوريات الشاشان، والقرطاي، والقرم، فلما استقرّ وضع الروس أخذوا بالتحرّك نحو الجنوب.

منذ أن آل الأمر إلى (خروتشوف) في الإمبراطورية الروسية بدأ نوع من التعاون الودّي بين روسيا وأفغانستان كمقدمةٍ لمدّ النفوذ الشيوعي، ووسيلةٍ للتغلغل الروسي، فإضافة إلى غنى أفغانستان هي طريق للوصول إلى جنوب شرقي آسيا حيث نباتات البلاد الحارة وخاصةً المطاط، وهو ما تسعى روسيا إليه بكل جهودها، وترسم المخططات في سبيل ذلك، وكذا فإن أفغانستان على حدود شبه القارة الهندية ذات الإمكانات الضخمة، وذات القصة الأسطورية بالنسبة إلى انكلترا التي تحرص دائماً على المحافظة عليها، وتضع كل إمكاناتها في سبيل ذلك، وتعمل على تمهيد الطريق للوصول إليها وتزيل كل عقبةٍ يمكن أن تعترض دربها، وتُذلّل كل عثرةٍ قد تُنغص عليها سيرها، وتُعلن ذلك صراحةً وأمام دول العالم جميعها، وترسم سياستها على هذا الأساس، وتعمل المخططات لتنفيذ هذه السياسة.

فأفغانستان ذات أهمية بالنسبة إلى المُخطَّطات التي ترسمها روسيا، وبالنسبة إلى الأحلام التي تحلم بها، وتعمل على تحقيقها، وبالنسبة إلى السياسة التي يضعها الروس نصب أعينهم، ويطمعون بالوصول إليها.

أخذت الأموال الروسية تتدفّق إلى أفغانستان باسم مُساعداتٍ، وأخذت الدعاية تُرافقها، بإعلان تلك المساعدات، وحسن الجوار، وحبّ التعاون، والرغبة في السلام، وتلك الكلمات البرّاقة التي تُخفي تحتها الأطماع. وجاءت معونات من الصين الشيوعية كذلك من باب التفاهم بين الدولتين الشيوعيتين الكبريين. وإن كانت الدولة الأفغانية تحرص بالوقوف على الحياد، وتعمل على أخذ المساعدات من كل الأطراف، غير أن المساعدات الروسية فاقت غيرها كثيراً ووصلت إلى ما يعادل ثلثي مجموع المساعدات التي حصلت عليها أفغانستان كما أن رئيس الوزراء الأفغاني آنذاك وهو محمد داود كان يظهر تعاطفاً نحو الروس: مُدّت المواصلات في بلاد الأفغان ومهدت الطرق وأنشىء مطار كابول وسُلحت القوات الأفغانية وخاصة الجوية منها بالمساعدات الروسية، وغدت كلمة (روس) محببةً لدى الناس بعد أن كانت ممقوتةً ممجوجة تظهر منها رائحة الكراهية والبغض.

وجاءت المساعدات الفنية لمشروعات الريّ، فكان الفنيون الروس خبراء بالدعاية الشيوعية، وعلى معرفةٍ كبيرةٍ بالفكر الشيوعي والنظريات المادية، وأخذوا بالاتصال بالأفراد والرجال الذين عندهم استعداد للفتنة، والتبعية، والعبودية للهوى فقدّم لهم الخبراء الجنس، والمال، وعملوا على إبرازهم فوقعوا في الشراك، وانطلقوا وراء الروس أو وراء الهوى، وكانت بداية التنظيم الشيوعي في أفغانستان.

وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على منافسة روسيا، ورغبت أن تدخل عن طريق المؤسسات والإرساليات التنصيرية غير أنه لم يسمح لها بدخول أفغانستان التي جميع سكانها مسلمون، فلجأت إلى طريق التحايل، واستظلت بظلّ مؤسسةٍ أمريكيةٍ لرعاية المكفوفين، وأقيمت الأبنية اللازمة،

وبدأ التعليم، وأخذ طريق الرعاية مجراه، ولكن تبيّن أن أحد الأبنية كان كنيسةً فثار الشعب، واضطرت الحكومة أن تطلب من المؤسسة صاحبة العلاقة هدم الكنيسة، واضطرت المؤسسة إلى الرضوخ إلى الأمر وهدم الكنيسة خوفاً من إحراج الحكومة أمام الشعب الذي لا يمكن أن يهدأ إلا إذا رأى الهدم يتمّ أمام عينه، وفشلت الولايات المتحدة في منافستها لروسيا، ووجدت الولايات المتحدة أن السبيل الوحيدة التي يمكن أن تلجأ إليها وهي قطع المساعدات الأمريكية لأفغانستان، مع العلم أنها كانت قد وعدت بتقديم المساعدات لتطوير الشؤون الصحية والتعليمية، فسحبت وعدها، وتخلّت عن تقديم أية مساعدةٍ، ولكن الولايات المتحدة كانت قد كسبت إلى جانبها بعض العناصر الأفغانية، وتمكّنت من إغراء بعض العناصر الثانية، وسار هؤلاء، وأولئك تحت مظلّةٍ واحدةٍ بشكلٍ هادىءٍ ريثما تسمح لهم الفرص، للحركة والعمل للدعوة إلى المناهج والأفكار التي حملوها رغبة في تحقيق مصالحهم وتأمين شهواتهم.

وهكذا وُجدت فئتان من الأفغان المرتبطين إحداهما بروسيا وهي الأقوى دعايةً والأكثر عدداً، وثانيهما بالولايات المتحدة دون أن تكون واضحة التنظيم، وكان الصراع بين هاتين الفئتين، وكانت المنافسة، وهذا ما حرّك المسلمين ونبّههم، فالخلاف يقع على أرضهم لصالح غيرهم، ويحدث بين أبنائهم بدافعٍ خارجيٍ، وهم لا يدرون، ويأخذ الأعداء منهم أفرادهم على غير علم منهم، ويُبعدونهم عن عقيدتهم ليصبحوا حرباً عليهم يا للمصيبة!!!!

لا يمكن أن يكون التحرّك إلا حسب اتجاهٍ إسلاميٍ ما دام السكان قد اقتنعوا أن مناورات الاستعمار كلها لم تكن إلا صليبيةً، ولم يكن هدفها إلا ضرب الإسلام، وما دام لا يوجد بين السكان إلا مسلمون فالشكل الطبيعي أن يكون التحرّك إسلامياً، وليس القصد الانتماء الإسلامي فالشعب كله ينتمي إلى الإسلام، حتى أولئك الذين ارتبطوا مع الأعداء إنما ينتمون إلى الإسلام، غير أنهم لا يلتزمون به، ولا يأخذون بتعاليمه، ولا يُبالون

به، لا تهمّهم عقيدة، ولا يفكّرون إلا بمصلحة، ولو التزموا به لما تصرّفوا تصرّفهم الذي سلكوه، وإنما القصد بالاتجاه الإسلامي الالتزام به سلوكاً وعبادةً ومنهجاً، وليس عاطفةً وادعاءً.

وما دام الموضوع موضوع التزام واتباع فلا بدّ من أن يكون العلماء هم المحرّكون للرعية، وهم قادة الأمة أصلاً يوجّهونها إلى المنهج وإلى ما يجب أن يسلكوه، وهذا أمر واجب اتباعه، وذلك أمر محرّم لا يصحّ اقترابه، في معاملة الأعداء، والسلوك مع الأصدقاء، والتعاون مع الدول، وفي سياسة الرعية، وممارسة الاقتصاد، وعلاقة الأفراد بعضهم مع بعض، وإذا كانت هذه الصورة قد اختفت من الواقع فذلك يعود للجهل بالإسلام لدى الرعية، وعجز العلماء أمام الطغاة، وضغط المتحكّمين، وظلم المستبدين، ومحاربة العالم للإسلام، وتنشئة الأجيال على غير هذه الصورة بل على صورةٍ مقابلةٍ لها تماماً وتسخير وسائل الإعلام كلها لأفكارهم وصحة معتقداتهم، وحشو المناهج التعليمية بما يريدون، ورسم المخططات لتحقيق ما يعملون له، وغدا المسلمون ضعفاء لا ناصر لهم إلا الله، ولن ينصرهم إذا تخلّوا عنه، حسب ما وعدهم، وأبان لهم فيما أنزل إليهم، وعلى لسان من أرسل إليهم.

والتحرّك لا يكون إلا بالتنظيم، فالفوضى تُربك ولا تُثمر، بل لا تكون بها إلا بعثرة الجهود، ووأد العمل، والهزيمة أمام الخصم. والعمل الفردي لا يؤدّي إلى نتيجة، ويُسحق تحت أقدام الركب، ويلحق به كل من اتبع رأيه، وسار على قوله، فكم من حقٍّ ضاع في غياهب الباطل لأنه لم يأخذ بالأسباب، وكم من عدلٍ صُرع لأنه لم يسلك طريق الاستعداد. ومن الأخذ بالأسباب وسلوك طريق تنظيم الجهود، ورسم المخططات، وتهيئة الظروف، ومعرفة العوامل وإلا لما وجدت القيادات، ولا رُتّبت الجيوش، ولا أُسّست الهيئات، ولا قامت الحكومات.

ووجد المسلمون الشيوعيين يُنظّمون أنفسهم ضمن حزب الشعب

الديمقراطي الذي وجد منذ أيام محمد نادر خان، فهل يقابلون التنظيم بالفوضى؟ إذن لا بدّ لهم من أن يُنظّموا أنفسهم، ومن هنا بدأ العمل.

أخذ الشباب المسلم يتعاون بعضه مع بعض، ويلتقي بالعلماء، وتشكّلت النواة الإسلامية الأولى، وكان أفرادها على صلة بالعلماء أمثال: محمد يونس خالص، وعبدالرزاق باريس، والملا بن وزير، وخداياتورا، وكان الهدف في البداية جعل الإسلام أساساً للتربية والتعليم، ثم الوقوف في وجه العملاء، سواء أكانوا أعواناً للروس أم أتباعاً للإنكليز والأمريكان.

كان أفراد الشباب المسلم ينقلون آراءهم إلى الشعب ويبثّون أفكارهم إلى أترابهم عن طريق الكتابة باليد وكذلك نسخ صور عن الأصل إذ أن إمكاناتهم ضعيفةً، فقوي أمرهم، وخاف الشيوعيون من نشاطهم فعملوا على جرّهم إلى معركةٍ في سبيل القضاء عليهم، وإخافة الآخرين كي لا يسلك سلوكهم أحد، ولا يُفكّر إنسان بالوقوف في وجه الشيوعيين. ولكن المعركة كانت خاسرةً بالنسبة إلى الشيوعيين، وانتصر الشباب الإسلامي نصراً مُبيناً - بإذن الله -، وهذا ما شجّعهم وقوّى من عزيمتهم، فخاف الشيوعيون حقّاً فجمعوا كيدهم، وتسلّحوا، وأتوا صفاً واحداً يوم ٢٦ ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ (٣٠ حزيران ١٩٧٠ م)، فتعاطف الشعب مع الشباب المسلمين لمعرفتهم بإلحاد خصومهم، وإخلاص هؤلاء الشباب وصدقهم، وأخلاقهم، وكانت معركة بين الطرفين هُزم فيها الشيوعيون، وفرّوا من الساحة بعد أن تركوا على أرضهم مائة وسبعين جريحاً.

وتقدّم إلى الساحة الشيوعيون من أتباع الصين نجدةً لرفاقهم وإسعافاً، وإظهاراً للقوة، ومحاولةً للقضاء على الحركة الإسلامية قبل أن يشتدّ ساعدها فلقوا ما لقي رفاقهم، وهذا ما زاد من نشاط الإسلاميين ودفعهم للعمل، وبرز نشاطهم في جامعة كابول، ودخلوا انتخابات مجلس الطلاب في الجامعة فحصلوا على أربعة وأربعين مقعداً من أصل أربعة وخمسين وهذا ما أخاف خصومهم أعداء الدين من شيوعيين ورأسماليين فوحّدوا

صفوفهم، فأخذت تتميز في الجامعة وفي المجالات الأخرى فئتان أولاهما ملتزمة بالإسلام والأخرى منفلتة من القيم والأخلاق وكل ما يمتّ إلى العقيدة بصلة.

تجمّع الشباب المسلمون الملتزمون في جمعيات كان منها:

١ ـ تجمّع الشباب المسلم في جامعة كابول.

٢ ـ جمعية العلماء المحمدية.

٣ ـ جمعية خدام الفرقان.

وأخذ الدعم من قبل الشعب يرفد المسلمين الملتزمين، كما أخذ الصحفيون الملتزمون ـ إن وجدوا وأصحاب العاطفة الإسلامية يتعاطفون مع الحركة الإسلامية، وينحازون إليها، وهذا ما جعلها تبرز في الأوساط كلها، ولم يجد الشيوعيون وسيلةً لإخضاع خصومهم سوى الإبادة، وهي طريقتهم العادية، وخاصةً إن كانت السلطة بأيديهم، وإن لم تكن بأيديهم أقدموا على الطريقة نفسها بالسرّ وتحت الظلام، وقد رأينا فيما سبق كيف اغتالوا صاحب جريدة الفجر (منهاج الدين جاهز) وابنه الصغير في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ (٨ آب ١٩٧٢ م)، وعندما تصبح السلطة بأيديهم يُجاهرون بجرائمهم، ويتباهون بالأعمال المنكرة التي يفعلونها، وقد تسلّموا السلطة أخيراً في أفغانستان، فلا بدّ من المواجهة، وهذا ما حدث، ولا بدّ من مقابلة التنظيم بالتنظيم، والاستعداد بالاستعداد.

غير أن المفهوم التنظيمي غير واضح ـ مع الأسف ـ لدى الأفغانيين سواء عند المسلمين الملتزمين أم عند غيرهم من العلمانيين والملحدين، لذا ترى الانقسامات الحزبية دائمةً في صفوف الجماعة الواحدة. ولعلّ أهم التجمّعات على أرض أفغانستان:

١ ـ حزب الشعب الديمقراطي:

وهو شيوعي، ووجد كتجمع منذ أيام محمد نادر خان، نتيجة الدعاية

الشيوعية، والإغراءات المادية، وإعطاء الأماني والأحلام العريضة بالمناصب والمراكز، وتلبية الشهوات، وتحقيق الأهواء، أو بالأحرى نتيجة البعد عن الإسلام والقيم الأخلاقية. وقد انقسم عام ١٣٨٧ هـ إلى فرعين رئيسين.

أ ـ حزب خلق: ويرى العمل إلى الشيوعية المحلية، وليس من الضروري الارتباط بموسكو، فزعماؤه أكثر طموحاً من الآخرين، إذ لا يرغبون بتلقّي التوجيه من مراكز أعلى، أو لا يريدون أن يكونوا تبعاً لغيرهم يدورون في أفلاك سواهم، ومن زعماء هذا الحزب: محمد تراقي، وحفيظ الله أمين.

ب ـ حزب برشام: ويرى العمل ضمن فلك الشيوعية العالمية، وضرورة تلقي التوجيهات من مصدرٍ واحد، وهو موسكو، ومن زعمائه هذا الجناح بابراك كارمل.

جـ ـ الحزب الشيوعي الصيني: وقد انفصل عن حزب الشيوعي الرئيسي (حزب الشعب الديمقراطي) عام ١٣٨٨ هـ برئاسة طاهر بدخشي.

٢ ـ الحركة الإسلامية:

تأسست بتوجيه من غلام محمد نيازي، وكان من أعضائها البارزين برهان الدين ربّاني، وعبد رب الرسول سيّاف، قلب الدين حكمتيار، وعبد الرحيم نيازي، وحبيب الرحمن، ثم تفككت، وتشكّلت عدة أحزاب وجمعيات إسلامية، بعضها انفصل عنها، وبعضها تأسس من البداية مستقلاً وحده، ودون أن يكون له ارتباط سابق مع غيره، ومن هذه الأحزاب:

أ ـ الحزب الإسلامي: وتأسس عام ١٣٩٨ هـ، وأوسع مجالات عمله في ولايات: ننغرهار، وباكتيا، وقُندهار، ويرأسه محمد يونس

خالص[1]. وقد انفصل بجماعته عن جماعة قلب الدين حكمتيار، وإن بقيت كل جماعة تحمل اسم الحزب نفسه «الحزب الإسلامي».

ب ـ الحزب الإسلامي: ورئيسه قلب الدين حكمتيار[2]، وهو من قبيلة البشتو، وانشق الحزب عن سابقه، وبقي كلاهما يحمل الاسم نفسه.

جـ ـ الجمعية الإسلامية: ورئيسها برهان الدين ربّاني[3]، ومعظم أعضاء الجمعية من المناطق الشمالية، من العناصر الفارسية (الطاجيك) والعناصر التركية (الأوزبك) و (التركمان). تأسست الجمعية عام ١٣٩٥ هـ.

د ـ الاتحاد الإسلامي: ورئيسه عبد رب الرسول سياف[4]، وتأسس عام ١٤٠١ هـ، ويعدّ أكثر الجمعيات والأحزاب الأفغانية صلةً بالحركة الإسلامية في البلدان العربية.

---

(١) محمد يونس خالص: من مواليد ١٣٣٨ هـ، وأسرته أهل علم، ودرس على والده، وخاله، وأصبح عام ١٣٧٠ هـ مدرساً وخطيباً، ثم عمل في وزارة الإعلام فكانت له برامج في تفسير القرآن الكريم في إذاعة كابول.

(٢) قلب الدين حكمتيار: من ولاية قندوز، ولد عام ١٣٦٨ هـ، ودرس الهندسة في جامعة كابول، وشغل منصب وزير الخارجية في حكومة المجاهدين الانتقالية الثانية، ثم علّق عضويته في الحكومة المؤقتة في شهر صفر من عام ١٤١٠ هـ (أيلول ١٩٨٩ م)، واشترط العودة إلى الوزارة الشروع في الانتخابات العامة. استشهد أبوه، وأخواه، وأعمامه الثلاثة، ويعيش في بيشاور مع أمه وأولاده الأربعة.

(٣) برهان الدين رباني: ولد عام ١٣٦٠ هـ، ودرس الشريعة في جامعة كابل، وتابع دراسته العليا في مصر، ونال الدكتوراه، ورجع للتدريس في جامعة كابول في كلية الشريعة، وساهم مع غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة في تأسيس حركة الشباب المسلم في الجامعة. ويشغل الآن منصب وزير الإعمار في حكومة المجاهدين المؤقتة الثانية.

(٤) عبد رب الرسول سياف: ولد عام ١٣٦٥ هـ، درس في جامعة كابول، وأكمل دراسته العليا في القاهرة، ورجع ليدرس في جامعة كابول، وسجن ست سنوات في عهد محمد داود، ومحمد تراقي، ثم هرب من السجن، والتحق بصفوف المجاهدين، وترأس اتحاد المجاهدين مرتين، ثم أسّس الاتحاد الإسلامي عام ١٤٠١ هـ. وهو الآن يشغل منصب رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة الثانية.

وتعدّ هذه الأحزاب الأربعة ذات فكرٍ متقاربٍ، وتوجّهٍ أقرب إلى الإسلام. ومع ذلك فإن أعنف الخلافات تقع بين هذه الجماعات.

ثم هناك ثلاثة أحزاب أخرى تُشكّل مع سابقتها مجلس الائتلاف السباعي، وهذه الأحزاب الثلاثة تظهر عليها ملامح الفكر القومي، وهي:

هـ ـ الجبهة الإسلامية الوطنية: ويرأسها أحمد الجيلاني، الذي هو من مواليد ١٣٥١ هـ، وكان أبوه صوفياً، ودرس أحمد الجيلاني في كلية الشريعة في القاهرة، وتخرّج منها. ويؤيّد عودة الملك السابق محمد ظاهر شاه. وتضمّ الجبهة كثيراً من الرجال من ذوي الاتجاه غير الإسلامي، وتُعرف هذه الجبهة محلياً باسم «جبهة محاز محلي».

و ـ جبهة التحرير الوطنية الأفغانية: وتعرف محلياً باسم «جبهة نجاة ملي»، ويرأس الجبهة صبغة الله المجددي[1]، وقد تأسست عام ١٣٩٨ هـ، وساحة نشاطها في المناطق الشرقية.

ز ـ حركة الانقلاب الإسلامي: وتأسست عام ١٣٩٨ هـ، ويرأسها محمد نبي المحمدي[2].

وتشكل هذه الأحزاب والجمعيات السابقة مجلس الائتلاف السباعي

---

(١) صبغة الله المجددي: ولد عام ١٣٤٣ هـ، وينتمي إلى أسرة تتسلّم مشيخة الطريقة النقشبندية الصوفية، تعلّم بالأزهر في مصر. وغدا عالماً معروفاً في أفغانستان، وسجن عدة مرات في العهد الملكي، ومع ذلك فليس عنده من مانعٍ في عودة الملك السابق محمد ظاهر شاه. له صلة بالمؤسسات الغربية العاملة في نشاط الإغاثة، وخاصةً السويدية منها، ويتسلّم رئاسة الدولة باسم المجاهدين.

(٢) محمد نبي المحمدي: ولد عام ١٣٤٤ هـ، درس الشريعة والفلسفة وتخرج عام ١٣٦٦ هـ، عيّنه علماء (لوغر) وكيلاً لمجلس الشعب عام ١٣٩٠ هـ، عمل إماماً لمسجدٍ في (الزيلة)، ويؤيّد عودة الملك السابق، وهو من أتباع الطريقة الصوفية النقشبندية

للمجاهدين الأفغان، غير أنه توجد مجموعات أخرى على الساحة خارج الائتلاف، وتُعدّ جماعات من الدرجة الثانية وهي:

أ ـ مجموعة جميل الرحمن: ويدعو أميرها إلى تطبيق القرآن والسنة، ويقول بالدعوة السلفية، وتعدّ منطقة «كونار» أوسع ساحات عمل هذه الجماعة.

ب ـ مجموعة نصر الله منصور.

جـ ـ مجموعة قاضي محمد أمين: وكان قائد هذه المجموعة من قادة الحزب الإسلامي، ثم انفصل بجماعته عنه، وله صلة مع المنظمات الشيعية.

المنظمات الشيعية:

توجد ثمان منظمات شيعية في بلاد الأفغان رغم أن نسبة الشيعة لا تزيد على ١٠ ٪ ـ كما مر معنا ـ وتعود كثرة عدد هذه المنظمات لإيهام الناس بارتفاع نسبة الشيعة في أفغانستان، ولمشاركتهم في السلطة فيما إذا وفق الله المجاهدين، وتسلّموا الأمر وانتصروا على أعداء الأمة. وهذه المنظمات صغيرة، وليس لها دور في الجهاد، وهي:

١ ـ حركة باسداران جهاد: ويُمثّلها آية الله عقفي إحساني.
٢ ـ جبهة متحدة: ويُمثّلها آية الله عالمي.
٣ ـ حزب حركة إسلامي: ويمثله محمد آصف محسني.
٤ ـ نيروري إسلامي أفغانستان: ويمثلها سيد آغاي هاشم.
٥ ـ حزب سازمان نصر: ويمثله عبدالكريم خليلي.
٦ ـ دعوة اتحاد إسلامي: ويمثّلها آية الله محمد حسين غزنوي.
٧ ـ حزب النهضة: ويمثله آية الله افتخاري أخلاقي دكي.
٨ ـ حزب الله: ويمثله قاري أحمد.

وأفراد هذه المنظمات من قبائل الهزارة، وقليل منها من الطاجيك

والبشتو. وتتخذ سبع منظمات طهران مقراً لها، أما الثامنة وهي: حزب حركة إسلامي، وأكثر أعضائه من قبيلة البشتو من الشيعة فيتخذ من مدينة بيشاور في باكستان مقراً له. وقد اندمجت هذه الأحزاب الشيعية بعضها مع بعض عام ١٤١٠ هـ في حزبٍ واحدٍ هو حزب «الوحدة الإسلامية».

يقوم صراع بين المسلمين الملتزمين وبين غيرهم من أهل الزيغ والهوى الذين ساروا وراء النصارى من الروس والإنكليز والأمريكان وغيرهم، وقد دعم الروس أعوانهم فغزوا البلاد ودخلوها، وقاموا بقتل خصومهم، والعمل على إبادتهم واستعملوا وسائل القتل الجماعي المحرّمة دولياً، كما ارتكبوا مختلف الجرائم من سلبٍ ونهبٍ واغتصابٍ وهتكٍ للأعراض، ووقف الآخرون ساكتين يتفرّجون ما يحلّ بالمسلمين، وقد وجد أعوان الغرب وأتباع الشرق راحةً لما يجري مع أنه يجري قتل أبناء وطنهم بل وأبناء قبائلهم، وجيرانهم وأقربائهم فالصراع عقيدي بين الإيمان والكفر على مختلف عناوينه.

ويقوم صراع بين المسلمين (السنة) مع الشيعة فالمسلمون يُجاهدون، والشيعة لا يُشاركون مشاركةً فعّالةً غير أنهم يدّعون ذلك، ويعملون على المشاركة بالغنم إذا تمّ ـ بإذن الله ـ وهؤلاء يُقيمون في بشاور في باكستان وأولئك يُقيمون في طهران في إيران، فالصراع عقيدي وسياسي.

ويجري صراع بين المسلمين الملتزمين تماماً وبين المسلمين أصحاب العاطفة الإسلامية الذين عندهم مرونة في التطبيق وسياسة الحكم، فمحمد ظاهر شاه لا يُقبل إسلامياً لاستلام الأمر وله ماضٍ غير سليم ولم يُعلن توبته وتبرؤه مما سبق له أن فعل، وهذا ما يحدث بين أطراف ائتلاف المجاهدين السباعي إذ تُؤيّد فئة محمد ظاهر شاه وعودته إلى سدة الرئاسة وترفض فئة أخرى، وهي على حقّ، فالصراع عقيدي فكري.

ويدور صراع بين المسلمين الملتزمين أنفسهم على السيادة

والمصلحة، وتقع معارك بين الطرفين ـ مع الأسف ـ ولم يحصلوا على النصر بعد. ولكن السلاح بأيديهم، ولا شك أن هناك أيد خفية تعمل في الظلام، ولكن هذا لا يبرر ما يجري على الساحة من قتال. فنرجو من الله أن يلهمهم الصبر والاستعانة بالله، والرجوع إلى الحق، والإخلاص، والنظر إلى مصلحة الأمة.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

التاريخ الإسلامي

١ - قبل البعثة.
٢ - السيرة.
٣ - الخلفاء الراشدون.
٤ - العهد الأموي.
٥ - الدولة العباسية (١).
٦ - الدولة العباسية (٢).
٧ - العهد المملوكي.
٨ - العهد العثماني.
٩ - مفاهيم حول الحكم الإسلامي.

• • •

التاريخ الإسلامي المعاصر

١٠ - بلاد الشام.
١١ - بلاد العراق.
١٢ - جزيرة العرب.
١٣ - وادي النيل.
١٤ - بلاد المغرب.
١٥ - غربي إفريقية.
١٦ - وسط وشرقي إفريقية.
١٧ - تركيا.
١٨ - إيران وأفغانستان.
١٩ - بلاد الهند.
٢٠ - جنوب شرقي آسيا.
٢١ - المسلمون في الإمبراطورية الروسية.
٢٢ - الأقليات المسلمة في العالم.

• • •

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(في آسيا)

١ ـ تركستان الغربية.
٢ ـ تركستان الشرقية.
٣ ـ قفقاسيا.
٤ ـ باكستان.
٥ ـ أندونيسيا.
٦ ـ اتحاد ماليزيا.
٧ ـ فطاني.
٨ ـ المسلمون في قبرص.
٩ ـ المسلمون في الفيليبين ودولة مورو.
١٠ ـ جزر المالديف.
١١ ـ أفغانستان.
١٢ ـ تركية.
١٣ ـ إيران.
١٤ ـ شبه جزيرة العرب.
ـ عسير.
ـ نجد.
ـ الحجاز.
ـ البحرين والإحساء والكويت وقطر.
١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية.
١٦ ـ خراسان.

(في إفريقية)

١ ـ غينيا.
٢ ـ نيجيريا.
٣ ـ الصومال.
٤ ـ موريتانيا.
٥ ـ أريترية والحبشة.
٦ ـ تشاد.
٧ ـ تانزانيا.
٨ ـ السنغال.
٩ ـ أوغندة.
١٠ ـ ليبيا.
١١ ـ السودان.
١٢ ـ جزائر القُمُر.
١٣ ـ المسلمون في بوروندي.
١٤ ـ مالي.
١٥ ـ سيراليون.

بُناة دولة الإسلام ١ ـ ٦:

المجموعة الأولى: (١ ـ ١٠)

١ ـ أبو سَبْرة ابن أبي رُهْم.
٢ ـ أبو سلمة عبد الله المخزومي.
٣ ـ عبد الله بن جحش.
٤ ـ الزبير بن العوام.
٥ ـ زهير ابن أبي أمية.
٦ ـ سهيل بن عمرو.
٧ ـ سعد بن معاذ.
٨ ـ عباد بن بشر.
٩ ـ محمد بن مسلمة.
١٠ ـ أسيد بن الحضير.

المجموعة الثانية: (١١ ـ ٢٠)

١١ ـ الفضل بن العباس.
١٢ ـ جعفر ابن أبي طالب.
١٣ ـ عبد الله بن الزبير.
١٤ ـ عبد الله بن حذافة.
١٥ ـ المقداد بن عمرو.
١٦ ـ عقيل ابن أبي طالب.
١٧ ـ صخر بن حرب.
١٨ ـ زيد بن حارثة.
١٩ ـ أبو العاص ابن ربيع.
٢٠ ـ ثابت بن قيس.

المجموعة الثالثة: (٢١ ـ ٣٠)

٢١ ـ العباس بن عبد المطلب.
٢٢ ـ سعد بن الربيع.
٢٣ ـ عبادة بن الصامت.
٢٤ ـ عبد الله بن رواحة.
٢٥ ـ أبو حذيفة ابن عتبة.
٢٦ ـ سالم مولى أبي حذيفة.
٢٧ ـ أبو عبيدة ابن الجراح.
٢٨ ـ سعيد بن زيد.
٢٩ ـ سعد بن عبادة.
٣٠ ـ قيس بن سعد.

المجموعة الرابعة: (٣١ ـ ٤٠)

٣١ ـ مصعب بن عمير.
٣٢ ـ كعب بن مالك.
٣٣ ـ أبو أيوب الأنصاري.
٣٤ ـ سعد ابن أبي وقاص.
٣٥ ـ حمزة بن عبد المطلب.
٣٦ ـ عاصم بن ثابت.
٣٧ ـ عبد الله بن عبد الله.
٣٨ ـ طلحة بن عبيد الله.
٣٩ ـ أبو طلحة زيد بن سهل.
٤٠ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة.

المجموعة الخامسة: (٤١ ـ ٥٠)

٤١ ـ عمرو بن العاص.
٤٢ ـ عكرمة بن عمرو بن هشام.
٤٣ ـ شرحبيل بن حسنة.
٤٤ ـ أبو موسى الأشعري.
٤٥ ـ عياض بن غنم.
٤٦ ـ جرير بن عبد الله البجلي.
٤٧ ـ المثنى بن حارثة الشيباني.
٤٨ ـ خالد بن الوليد المخزومي.
٤٩ ـ عدي بن حاتم الطائي.
٥٠ ـ ثمامة بن أثال.

المجموعة السادسة: (٥١ ـ ٦٠)

٥١ ـ خبّاب بن الأرتّ.
٥٢ ـ صُهيب بن سنان.
٥٣ ـ بلال بن رباح.
٥٤ ـ عمار بن ياسر.
٥٥ ـ عامر بن فُهيرة.
٥٦ ـ مرثد ابن أبي مرثد.
٥٧ ـ سلمان الفارسي.
٥٨ ـ أبو ذر الغفاري.
٥٩ ـ عبد الله بن مسعود.
٦٠ ـ عبد الرحمن بن عوف.

* * *

المجموعة السابعة: (٦١ ـ ٧٠)

٦١ ـ أنس بن مالك.
٦٢ ـ البراء بن مالك.
٦٣ ـ جابر بن عبد الله.
٦٤ ـ الطُّفيل بن عمرو الدّوسي.
٦٥ ـ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر.
٦٦ ـ أبو أمامة أسعد بن زُرارة.
٦٧ ـ عُتبة بن غزوان.
٦٨ ـ معاذ بن جبل.
٦٩ ـ زيد بن ثابت.
٧٠ ـ أُبي بن كعب.

